الجامعـة الإسلامية- غـزة

عمادة الدراسـات العليـا

كليـــــــــة الآداب

قســـم التـاريخ والآثار



الأوضـاع الدينية للمسلمين في الشـام فـي العهـد المملوكـي

(648هـ/922هـ / 1250م /1517م)

إعداد الطالب/

منصور إحميد سالم الصوفي

إشراف/

الاستاذ الدكتور/ رياض مصطفى شاهين

الاستاذ في التاريخ الإسلامي

قدم هذا البحث استكمالاً لمتطلبات الحصـول على درجــة

الماجستير فـــي التاريــخ الإسلامي

1431 هـ/2010م


بسم الله الرحمن الرحيم

الإهـــداء

..

..

..

: ..

..

شكـــر وتقديـــر

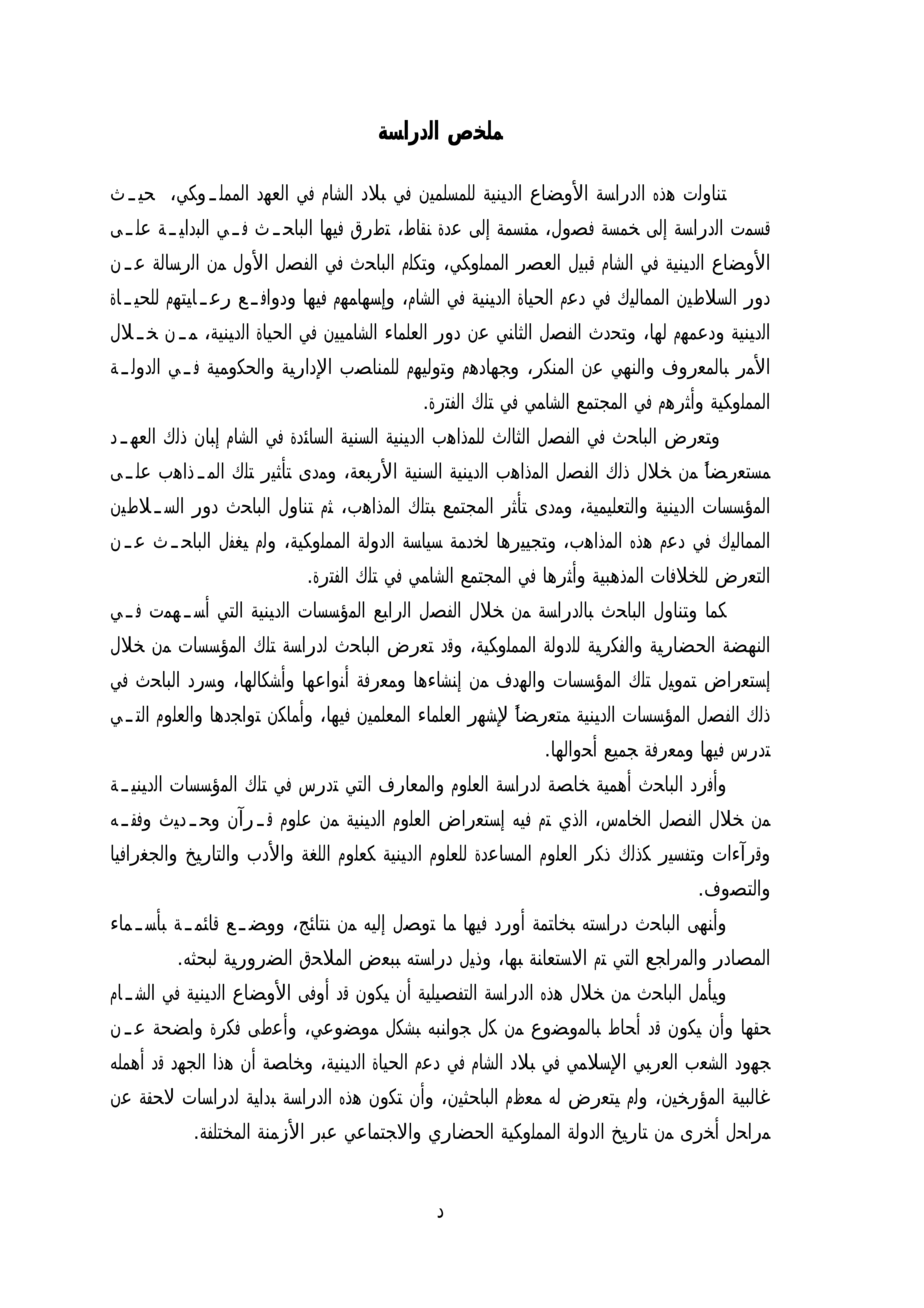
وفي نهاية هذا الجهد المتواضع أتقدم بجزيل شكري، وخالص تقديري إلى أستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور/ رياض مصطفى شاهين الذي شرفني مشرفاً على رسالتي هذه، فضلاً عن أنه هون علي الصعاب، وأمدني من فيض علمه، حتى ظهر هذا العمل للوجود، ..أسأل ا العلي القدير أن يديم عليه تمام الصحة والعافية، وجزاه عني كل خير.

كما أتقدم بالشكر إلى الأساتذة الأفاضل وذلك بالنظر إلى ما بذلوه من جهد غير مقلٍ في قراءة هذه الرسالة، وعلى موافقتهما بتشريفي في مناقشة هذه الرسالة، والحكم عليها وإبداء ملاحظاتهم الدقيقة، وتوجيهاتهم المفيدة، فلهم مني كل شكر وتقدير، كما أتوجه بالشكر الجزيل إلى الأستاذ/ حسن العمور، على جهده المبذول في طباعة الرسالة، والشكر موصول إلى معلمة اللغة العربية /منى الصوفي التي راجعت الرسالة ودققتها لُغوياً ونحوياً، كما وأتقدم بالشكر إلى كل من ساهم معي في إنجاز هذا العمل المتواضع، آملاً من المولى عز وجل أن أكون مستحقاً لما بذله الجميع نحوي من جهد وعون ومساعدة، وراجياً أن أكون قد وفقت في هذه الدراسة، وأن يؤتي هذا الجهد المتواضع ثماره المرجوة.

والسلام عليكم ورحمة ا وبركاته

المختصـــــــــرات

الكلمة	:	الرمـــز
توفي	:	ت
الجزء	:	ج
دون مكان نشر	:	د.م
دون تاريخ نشر	:	د.ت
دون طبعة	:	د.ط
دون ناشر	:	د.ن
الطبعة	:	ط
مجلد	:	مج
ميلادي	:	م
هجري	:	هـ
قسم	:	ق



ملخص الدراسة

تناولت هذه الدراسة الأوضاع الدينية للمسلمين في بلاد الشام في العهد المملوكي، حيث قسمت الدراسة إلى خمسة فصول، مقسمة إلى عدة نقاط، تطرق فيها الباحث في البداية على الأوضاع الدينية في الشام قبيل العصر المملوكي، وتكلم الباحث في الفصل الأول من الرسالة عن دور السلاطين المماليك في دعم الحياة الدينية في الشام، وإسهامهم فيها ودوافع رعايتهم للحياة الدينية ودعمهم لها، وتحدث الفصل الثاني عن دور العلماء الشاميين في الحياة الدينية، من خلال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجهادهم وتوليهم للمناصب الإدارية والحكومية في الدولة المملوكية وأثرهم في المجتمع الشامي في تلك الفترة.

وتعرض الباحث في الفصل الثالث للمذاهب الدينية السنية السائدة في الشام إبان ذلك العهد مستعرضاً من خلال ذلك الفصل المذاهب الدينية السنية الأربعة، ومدى تأثير تلك المذاهب على المؤسسات الدينية والتعليمية، ومدى تأثر المجتمع بتلك المذاهب، ثم تناول الباحث دور السلاطين المماليك في دعم هذه المذاهب، وتجييرها لخدمة سياسة الدولة المملوكية، ولم يغفل الباحث عن التعرض للخلافات المذهبية وأثرها في المجتمع الشامي في تلك الفترة.

كما وتناول الباحث بالدراسة من خلال الفصل الرابع المؤسسات الدينية التي أسهمت في النهضة الحضارية والفكرية للدولة المملوكية، وقد تعرض الباحث لدراسة تلك المؤسسات من خلال إستعراض تمويل تلك المؤسسات والهدف من إنشاءها ومعرفة أنواعها وأشكالها، وسرد الباحث في ذلك الفصل المؤسسات الدينية متعرضاً لإشهر العلماء المعلمين فيها، وأماكن تواجدها والعلوم التي تدرس فيها ومعرفة جميع أحوالها.

وأفرد الباحث أهمية خاصة لدراسة العلوم والمعارف التي تدرس في تلك المؤسسات الدينية من خلال الفصل الخامس، الذي تم فيه إستعراض العلوم الدينية من علوم قرآن وحديث وفقه وقرآءات وتفسير كذلك ذكر العلوم المساعدة للعلوم الدينية كعلوم اللغة والأدب والتاريخ والجغرافيا والتصوف.

وأنهى الباحث دراسته بخاتمة أورد فيها ما توصل إليه من نتائج، ووضع قائمة بأسماء المصادر والمراجع التي تم الاستعانة بها، وذيل دراسته ببعض الملاحق الضرورية لبحثه.

ويأمل الباحث من خلال هذه الدراسة التفصيلية أن يكون قد أوفى الأوضاع الدينية في الشام حقها وأن يكون قد أحاط بالموضوع من كل جوانبه بشكل موضوعي، وأعطى فكرة واضحة عن جهود الشعب العربي الإسلامي في بلاد الشام في دعم الحياة الدينية، وخاصة أن هذا الجهد قد أهمله غالبية المؤرخين، ولم يتعرض له معظم الباحثين، وأن تكون هذه الدراسة بداية لدراسات لاحقة عن مراحل أخرى من تاريخ الدولة المملوكية الحضاري والاجتماعي عبر الأزمنة المختلفة.

المحتويـــــات

المقدمـــــة

تتمحور هذه الدراسة حول الأوضاع الدينية للمسلمين في بلاد الشام في العهد المملـوكي، ومن خلال هذه الدراسة نلقي الضوء على اهم معالم الحياة الدينية في الشام من خلال أستعراضنا لدوافع وإسهامات سلاطين المماليك في دعمهم للحياة الدينية، ثم تتطرق الدراسة الى دور علماء وفقهاء المسلمين في تلك الفترة وجهادهم ضد الصليبيين والتتار، ودورهم الفاعل في إدارة الدولة ووظائفها، وتستعرض كذلك طبيعة المؤسسات الدينية السائدة أنذاك ودورها في بنـاء المجتمـع المسلم إبان تلك الفترة ومعرفتها عن كثب ومعرفة أنظمتها وقوانينها وتمويلها .

وضمن هذا الإطار، حاولت الدراسة التعرف على ملامح الحركة التعليمية ومـا يعتـري سيرها من المعوقات كالخلافات المذهبية، وقلة التمويل بسبب التقلبـات السياسـية فـي العهـد المملوكي، ودور السلطة المملوكية في دعم هذه المؤسسات حيناً وإخفاقها في رعايتها حيناً آخر، وتهدف الدراسة لإستخلاص العبر والمعاني المفيدة لنا في زمننا هـذا لنحـذو حـذو سـلاطين المماليك العظماء في العناية بالحياة الدينية ومؤسساتها من خلال دعم العلماء والذود عن هـذا الدين والتصدي لقوى البغي والإستكبار.

ومما لا شك فيه أن دراسة الأوضاع الدينية في عهد المماليك، من المواضيع المهمة التي يتعين على القارئ الولوج إلى غمارها، خاصة وأنها تأتي في مرحلة خطيرة من مراحل التاريخ الإسلامي حيث الغزو المغولي والإحتلال الصليبي للشام إذ تنبـه المماليـك لهـذه المرحلـة الحساسة، فقاموا بتعزيز الدولة المملوكية من خلال إثراءهم للحضارة الإنسـانية بإسـهامات واضحة في العمارة الدينية المتمثلة في المؤسسات الدينية كالمساجد والمدارس والكتاتيب والزوايا والربط وغيرها من مؤسسات وقاموا بإعادة صياغة العلوم والمعارف الإنسانية .

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة من خلال الأسباب التالية:

1. ان معظم المؤرخين والباحثين لم يولو جانب الأوضاع الدينية حقه في البحث والتحليل وإنما درسوه ضمن وصف عام للفترة المملوكية بجميع جوانبها.
2. أن معظم الدراسات التي تناولت تاريخ المماليك في بلاد الشام (في حدود علم الباحث) لم تتحدث عن مظاهر الحياة الدينية وأوضاعها بشكل متخصص ومحدد.
3. أن المعلومات عن الأوضاع الدينية في الفترة المملوكية في الشام قليلة ومتناثرة في المصادر التاريخية المختلفة لذلك جاءت هذه الدراسة ،لترصد هذه المعلومات وتجمعها وتظهرها بشكل يخدم موضوع الدراسة.

دوافع إختيار الدراسة:

الدافع الذاتي: إذ يرجع اختيار الموضوع إلى الإعجاب بفترة المماليك التي حققت الإنجازات العظيمة في الحياة الدينية في بلاد الشام.

الدوافع العامة لإختيار الموضوع:

1- تزويد المكتبة الإسلامية التاريخية ببحث إجتماعي عله يضيف جديداً الى ما كتب من قبل ، إذ إن معظم كتب التاريخ لم تقم بالتركيز على هذا الجانب من الدراسة.

2- الحاجة إلى الإطلاع على نماذج من صور دعم الحياة الدينية في تلك الفترة من قبل الدولة المملوكية وسلاطينها.

3- محاولة تدعيم الجهود التي تهتم بالتاريخ الاجتماعي للأمة الإسلامية.

4- الإلمام بالمراحل التي واكبت تطور الأوضاع الدينية في الشام، وأثر ذلك على المؤسسات الدينية ومسيرة الحياة الدينية ابان تلك الفترة .

5- تسليط الضوء على دور المؤسسات الدينية وتأثيرها على مجرى الأحداث السياسة والإجتماعية وتأثيرها على العلماء وطلبة العلم و على المجتمع الشامي أنذاك.

أهداف الدراسة:

تتركز الدراسة حول:

1- تسليط الضوء على دور سلاطين المماليك ودعمهم للنواحي الدينية وبناء مؤسساتها و التعرف على مدى تأثير المماليك على الأوضاع الدينية في الشام سلباً وإيجاباً.

2- معرفة دور علماء وفقهاء المسلمين في الحياة السياسية والاجتماعية والحكم والإدارة المملوكية.

3- وتأتي الدراسة لقياس مدى الإلتزام الديني عند الخاصة والعامة في المجتمع المملوكي.

4- جاءت الدراسة لإبراز دور العلماء الجهادي ودورهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

5- إلقاء الضوء على الأوضاع الدينية للمسلمين متمثلة بالمذاهب الدينية الإسلامية السنية في الشام في العهد المملوكي.

6- جمع أكبر قدر من المعلومات عن المؤسسات الدينية المملوكية في الشام والتعرف على أهم علماءها و العلوم السائدة فيها.

7- محاولة لجمع ما تفرق من تاريخ المجتمع الشامي خلال هذه الفترة.

حدود الدراسة:

شملت الدراسة الفترة المملوكية في الشام من سنة 648هـ/1250م الى نهاية الدولة المملوكية سنة 922هـ/1517م.

المشاكل والصعوبات: فتتلخص في صعوبة الحصول على بعض المصادر والمراجع التي تتحدث عن الأوضاع الدينية في الشام، وذلك خلال فترة الدراسة، وندرة المعلومات المتعلقة بالموضوع في بعض الجوانب، وإنقطاع التيار الكهربائي المتكرر الذي أثر كثيراً على الدراسة وطباعتها.

وفيما يتعلق بالدراسات السابقة التي تناولت الأوضاع الدينية في الشام، فقد كتبت رسـالة ماجستير في الجامعة الإسلامية بغزة بعنوان (الحياة العلمية في فلسطين في مرحلـة الصـراع

الصليبي الإسلامي) للطالب رشاد المدني، وقد تناول فيها الطالب الأوضاع الدينية فـي العهـد الأيوبي وتطرق يسيراً للأوضاع الدينية في العهد المملوكي بلإضافة الى رسالة ماجستيربعنوان (الحركة الصوفية في عهد الحروب الصليبية) للطالب رياض حشيش بالإضافة الى متفرقات في بعض الكتب والرسائل والتي لم تعط الموضوع حقه ومرت على الموضوع عرضاً لا قصـداً ، وكذلك لم تعط صورة واضحة كاملة للأوضاع الدينية في الشام، إنما مرت على ذلـك مجـرد مرور عابر، وبمعلومات مجتزئة هنا و هناك، وبإذن ا ستجمع الدراسة ما تفـرق وتعطـي صورة شبه كاملة للأوضاع الدينية للمسلمين في الشام إبان الحقبة المملوكية...ولقد قمت بتقسيم هذا البحث إلى خمسة فصول هي:

الفصل الأول: وفيه تطرقت إلى دور سلاطين المماليك في العهد المملوكي، وسياستهم الدينية ودوافعهم للإهتمام بالنواحي الدينية وإسهامهم فيها.

الفصل الثاني فقد تناولت فيه دور العلماء والفقهاء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،ودورهم في إدارة الدولة ووظائفها،ودورهم الجهادي.

الفصل الثالث: فقد تطرقت فيه إلى المذاهب الدينية السنية السائدة في الشام وتأثيرها على المؤسسات الدينية ودور سلاطين المماليك في توظيف هذه المذاهب، وتأثير الخلافات المذهبية على الدولة والمجتمع.

الفصل الرابع: فقد أفردتُ فيه الحديث عن المؤسسات الدينية وكيفية نشأتها وتمويلها ودورها في المجتمع، وعددت أنواعها.

الفصل الخامس فقد تطرقت فيه الى العلوم الدينية والعلوم المساعدة للعلوم الدينية في المؤسسات التعليمية المملوكية في الشام.

وفي نهاية المطاف اشكر ا على توفيقي بإنهاء هذه الدراسة، فإن أحسنت فمن توفيق ا لي وعنايته، وإن قصرت فمن نفسي والشيطان والهوى ، و الفضل والمنة والحمد .

دراسة تحليلية لأهم مصادر البحث:

تعتبر المصادر التاريخية من أهم الأدوات التي يمكن أن يعتمد عليها الباحث في جمع دلالات مفيدة عن الأوضاع الدينية في الشام ابان العهد المملوكي، وتتركز هذه المصادر في كتب الحوليات، وكتب السيرة والأدب؛ وملاحظات المؤرخين والرحالة والجغرافيين الذين زاروا الشام خلال فترة المماليك أو قبلها، وأوردوا دلالات عن الحياة الدينية، وقد ركزت هذه الدراسة على الاوضاع الدينية في المصادر العربية المتنوعة من اجل رسم صورة للأوضاع الدينية في المجتمع الشامي في تلك الحقبة التاريخية.

- **المصادر العربية:**

1- ابن إياس: أبي البركات الناصري محمد بن احمد بن إياس الحنفي ت930هـ/1523م:

وله كتاب بدائع الزهور في وقائع الدهور تحقيق محمد مصطفى، تحدث فيه عن تاريخ مصر، وقد تطرق فيه ابن إياس لأخبار سلاطين مصر في العصر المملوكي، خاصة في عصر المماليك الجراكسة، وبداية الدولة العثمانية وذكر صفاتهم وأهم أعمالهم، وكان كتابه على نظام الحوليات، تطرق فيه للأوضاع الدينية والسياسية وغيرها من مجالات ولكتابه ميزة خاصة أفادت منها الدراسة وهي ذكر مدى الالتزام الديني عند السلاطين، حيث تطرق الفصل الأول والثاني لأخلاق وتدين بعض سلاطين المماليك حيث استعان الباحث بقدر ليس بالهين من معلومات الكتاب من صفحة 19وما بعدها .

2- المقريزي: أحمد بن علي (ت845هـ/1442م):

ولد سنة 766هـ/1364م، بحارة برجوان بمدينة القاهرة، وهو بعلبكي الأصل، مصري المولد والمنشأ، عرف باسم المقريزي نسبة إلى حارة المقارزة في مدينة بعلبك، عكف على دراسة القرآن، وعلوم الدين، والتاريخ وغيرهما، وتقلد العديد من الوظائف، كان آخرها وظيفة الحسبة بالقاهرة، ويعد المقريزي من أشهر المؤرخين المسلمين، وله مؤلفات تاريخية كثيرة، وقد تميزت كتاباته بالدقة في إيراد الحقائق والاعتماد على مصادر ووثائق لا تزال أصولها مفقودة[(1)].

(1) السخاوي، الضوء اللامع، ج2، ص21. زيادة، دراسات، ص7-8. الغامدي، بلاد الشام، ص9.

من مؤلفاته: كتاب السلوك في معرفة دول الملوك وكتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار.

وفي هذه المؤلفات تحدث المقريزي عن الكثير من الحقائق التي أفادت موضوع الدراسـة على امتداده، وتميزت مؤلفاته بأنها نقلت من عدة مصادر اندثر بعضها، ويعد أسلوبها واضـح وبسيط، وتعرض المقريزي في كتاباته المختلفة، إلى الأوضاع الدينية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والفكرية والأخلاقية للمجتمع الإسلامي في الشام ومصر.

أما كتابه السلوك يعد دقيق المعلومات، وواضح العبارات، اتصف بالشمول حيث أشار خلاله إلى الكثير من التغيرات في النظم الدينية والإدارية والاقتصادية والسياسية للسلطة المملوكية، وأعمال السلاطين والأمراء الدينية؛ منها انه زودنا بأخبار علاقة المماليك مع العلماء ؛ وتطور الحالة الدينية اثناء حكم السلاطين المماليك، أما الكتاب الثاني الخطط فأفاد الدراسة بصفة عامة بكثير من الظواهر الحضارية والدينية، وبعض الجوانب التاريخية، وقد استفادت الدراسة منه في جميع الفصول.

3- **القلقشندى**: زين الدين عبد الرحمن بن الشيخ شمس الدين محمد بن إسماعيل القلقشندي الشافعي ت 820هـ/1421م صاحب كتاب" صبح الأعشى في صناعة الانشا" وقد عاصر القلقشندي فترة هامة من العصر المملوكي ومن خلال عمله في الوظائف والإدارة المملوكية اسهم مؤرخنا في كتابة وتسجيل ووصف تلك الحقبة ببراعة ودقة متناهية فكتاب صبح الأعشى كتاب ضخم يتمثل في أربعة عشر جزءا، وفيه معلومات على جانب كبير من الأهمية، وهو يدل على عملية تطور تاريخي وظهور المؤرخ المدقق، ويقدم إشارات قيمة في كثير من العلوم، ويتميز مؤلفه انه يتمتع بفكرة ثابتة وعقل نافذ ينفذ عبره في الحوادث، ويعد الكتاب موسوعة علمية في التاريخ والجغرافيا والسياسة والأدب والعلوم الاجتماعية ويتميز الكتاب بان مؤلفه كان رئيسا لديوان الإنشاء في القاهرة، ويشمل الكتاب الكثير من النصوص الدينية والإدارية والتجارية، والمعاهدات، والاتفاقيات التي تبحث شتى المجالات، وخاصة تفصيل الوظائف الدينية وشعائر العصر المملوكي الدينية، ومكاتبات السلاطين وكبار الموظفين في المناسبات الدينية وغيرها.

4- **ابن كثير** عماد الدين إسماعيل بن عمر(ت774هـ/1372م) ولد ابن كثير سنة 700هـ/1300م،وقدم دمشق وله سبع سنين مع أخيه بعد موت أبيه، اجتهد كثيراً، وسمع من كثير من العلماء حتى برع في علوم الحديث والتفسير والتاريخ، ولابن كثير العديد من التصانيف المهمة مثل كتابه "البداية والنهاية" يعد من المصادر التاريخية الهامة ذكر فيها

الأحداث منذ بدء الخليقة وحتى سنة768هـ/1365م،واتبع فيه الترتيب الحولي،وقد أفادت الدراسة كثيراً من هذا الكتاب حيث ذكر كثير من المعلومات التي تتعلق بالمجتمع في بلاد الشام في العهد المملوكي.

5- العليمي، مجير الدين عبد الرحمن بن محمد الحنبلي ت(914هـ/1507) من اشهر الذين أرخوا لفلسطين وكتابه "الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل " من أوسع المصنفات التي تناولت تاريخ بيت المقدس والخليل والكثير من المدن الفلسطينية التي هي جزء من الشام، منذ بدء الخليقة وحتى سنة900هـ/1494م، وقد اعتمد الباحث بشكل كبير على هذا المصدر في جميع فصول الدراسة حيث قدم معلومات كبيرة عن الحياة الدينية والاجتماعية وغيرها من مجالات في الشام وخصوصاً فلسطين خلال العهد المملوكي.

6-النعيمي، عبد القادر بن محمد(ت927هـ/1520م)وكان مؤرخ الشام الشهير وقاضي الشافعية في دمشق وكتابه،"الدارس في تاريخ المدارس" من أوسع المصنفات التاريخية وأغناها بعد تاريخ دمشق لإبن عساكر ومن المصنفات المهمة التي تناولت الحياة العلمية في بلاد الشام منذ القرن الخامس وحتى القرن العاشر الهجري، فقد ذكر عدد كبير من المدارس ودور القرآن والحديث والزوايا والربط والمساجد، إضافة إلى ذكر عدد كبير أيضا من العلماء والفقهاء والمدرسين، وقد أفادت الدراسة من هذا المصدر من خلال المعلومات التي أوردها النعيمي عن المدارس التي أسسها العلماء في مدن الشام واستفادت الدراسة من معلومات الكتاب ايما إستفادة في الفصل الرابع من الرسالة [1].

7-سبط ابن الجوزي: شمس الدين أبو المظفر بن قزاواغلي بن عبد ا (ت654هـ/1256م):

وهو حفيد أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، وقد ولد سنة 582هـ/1186م في بغـداد ونشأ في كنف جده لأمه المؤرخ ابن الجوزي مؤلف كتاب المنتظم في تاريخ الأمم والملوك تنقل بين بغداد ودمشق ومصر، وعمل كاتباً ومدرساً ومحدثاً، حيث تلقى علومه على يد العديـد مـن الشيوخ والعلماء[2].

يعد كتاب "مرآة الزمان في تاريخ الأعيان" من أهم المصادر لموضوع البحث، ومن أشهر الكتب التي وصلتنا خلال مرحلة الدراسة وهو تاريخ عام يبدأ من بدء الخليقة وينتهي بعد نهايـة

(1) الفصل الرابع إستفاد الباحث من كتاب النعيمي" الدارس " رصد أغلب مؤسسات دمشق الدينية الصفحات125 ومابعدهامن الرسالة.

(2) الغامدي، بلاد الشام، ص15.

سنة 654هـ/1256م، أي نفس السنة التي توفي فيها المؤلف[1]. ومن المعلومات التي اسـتفاد منها الباحث في هذا المصدر ما يتعلق بتراجم بعض العلماء والفقهاء، ونظراً لأهمية هذا الكتاب فقد ذيل عليه قطب الدين موسى بن محمد بن أبي الحسن اليونيني ت726هـ/1326م كتاباً مهما سماه "ذيل مرآة الزمان في تاريخ الفضلاء والأعيان"، ورتبه على أساس حولي، وقد أفاد البحث من هذا الكتاب في الكثير من الأحداث، خاصة وأن معظم كتابات اليونيني هي عبارة عما شاهده وسمعه بنفسه في تلك الحقبة من تاريخ بلاد الشام[2]، أما التي سبقت عهده فقـد دون معلوماتـه عنها نقلاً عن مؤرخين معاصرين أمثال ابن واصل، وابن شداد الحلبي وغيرهما[3].

8-أبو شامة: شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي (ت665هـ/1267م):

ولد بدمشق 599هـ/1203م، وعرف بأبي شامة لوجود شامة كبيرة فوق حاجبه الأيسر، تفقه على المذهب الشافعي[4].واستفاد الباحث من كتـاب ابـي شـامة ألا وهـو"الـذيل علـى الروضتين"، الذي تحدث فيه عن الفترة من 590هـ/1192م حتى وفاته سنة 665هـ/1266م، وأكثر فيه من التراجم للعلماء والفقهاء الذين عاشوا في بلاد الشام خلال تلك الحقبة.

- **كتب الجغرافيا والرحلات:**

أعطت المصادر الجغرافية معلومات قيمة عن الكثير من المدن والقرى الوارد ذكرها في الدراسة وحددت هذه المعلومات المواقع الجغرافية لتلك المدن والقرى، أما كتب الـرحلات فقـد كان لصاحبها دور كبير في جمع المعلومات المتنوعة من خلال مشاهدتهم، وتجارتهم، وعلاقاتهم العامة والخاصة مع الناس من مختلف الطبقات الاجتماعية وقـد أفـادت الدراسـة مـن هـذه المعلومات في مواضع مختلفة، ومن أهم كتب الجغرافيا والرحلات التي أفادت الدراسة.

1-ابن جبير: الرحالة المغربي الشهير الذي زار الشام وفلسطين ووصف معالمها في رحلته المعروفة باسم "اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك": ذكر ابن جبير في رحلته الكثير من الجوانب المتعلقة بأوضاع بلاد الشام الدينية ، ومن ذلك وصفه للمساجد والمدن

---

(1) السبكي، طبقات الشافعية، ج8، ص165-167.

(2) اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج2، ص30، 42، ج3، ص133، ج4، ص94.

(3)المصدر نفسه، ج2، ص114، 115، 161.

(4) مصطفى، التاريخ، ج2، ص266.

المقدسة ، كذلك تطرق لدور المهاجرين المغاربة في المجتمع الشامي، والتشكيلة المذهبية لتلك البلاد، ووصف للحالة الدينية في الشام عموماً.

2- ياقوت الحموي: هو أبو عبد ا ياقوت بن عبد ا الحموي ولد في الفترة الواقعة بين سنتي 574-575 1178-1179م ببلاد الروم ولكنه وقع في الأسر وهو صغير واشتراه احد تجار بغداد لكي يعتمد عليه في تجارته وتنقل ياقوت بين كثير من الأمصار توفى بظاهر مدينة حلب سنة 622هـ 1228م [(1)]:وفي كتابه "معجم البلدان" وصف ياقوت الحموي العديد من الجوانب المتعلقة بأوضاع بلاد الشام ، ووصف مدن الساحل الشامي أنها ذات أهمية خاصة، وذكر الوضع الديني لبعض المدن الشامية كمدن فلسطين المقدسة ، والعوامل الدينية المؤثرة في الأماكن المقدسة والمقامات والمزارات الدينية، وهذا يقدم دليل أن التعمق في تلك العناصر التي تعرض لها الحموي تعكس مدى اهتمامه ببلاد الشام فهو قدم دلالات واضحة عن الأوضاع الدينية لبعض المدن الشامية في عهده من حيث وصفه للمؤسسات الدينية كالمساجد والربط والخانقاوات وغيرها .

3- العمري ابن يحيى بن فضل ا (ت749هـ/1348م) [(2)]:واهم كتبه التي اعتمد عليها الباحث"مسالك الأبصار في ممالك الأمصار" خاصة وانه تحدث عن أهم العلامات الدينية وقدم وصف لمدن الشام من الناحية الجغرافية وما احتوت عليه من مؤسسات دينية واجتماعية أفادت الباحث في معرفة بعض المعلومات التي تتعلق بأحوال المجتمع خلال العهد السابق.

4-ابن شاهين الظاهري (ت873هـ/1468م) ولد ببيت المقدس.وتعلم بالقاهرة.وولي نظر الإسكندرية ثم نيابتها سنة 837 وحمدت سيرته فنقل إلى الوزارة بالقاهرة، فاستعفي بعد مدة يسيرة.وسافر سنة 840 أميرا للحاج المصري.وولي نيابة الكرك، فأتابكية صفد، فنيابة ملطية، فأتابكية حلب.وشكا نائبها منه، فاعتقل وسجن بقلعتها مقيدا، ثم أطلق.وولي إمرة الحاج الدمشقي مرتين، وتوفي في طرابلس.نسبته إلى الظاهر برقوق، وكان أبوه شاهين من مماليكه. [(3)]:وكتابه "زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك" اشتمل على معلومات إدارية تتعلق بنيابات بلاد الشام وما فيها من تفصيلات إدارية شملت الوظائف الدينية أفادت البحث بشكل مباشر.

---

(1)ابن خلكان وفيات ج6 ص127-139.

(2)العمري،مسالك الأبصار ،ج1مقدمة المحقق، ص6

(3)الظاهري،زبدة كشف الممالك ،مقدمة الكتاب،ص4-5.

- **كتب التراجم:**

قدمت هذه الكتب،من خلال ترجمتها للعلماء والحكام والأمـراء وغيـرهم الكثيـر مـن المعلومات المهمة حول ،الأوضاع الدينية في الشام وتعرضت في بعض الأحيان خلال ترجمتها لأولئك الأشخاص الى إظهار بعض الجوانب الحضارية المختلفة؛ الاجتماعية والإدارية والدينية، وكذلك الجوانب السياسية، فهي متكاملة من الجوانب الموضوعية؛ فبعضها يتخصص في تراجم الساسة والقادة العسكريين، والبعض منها في العلماء والأدباء والشعراء، والقسم الثالث يخـتص بالقضاة والأطباء والمحدثين، ومن هذه التراجم التي اعتمدت عليها الباحث:

1- كتاب ابن أيبك الصفدي (ت 764هـ/1363م) "الوافي بالوفيات" ،وقد أفاد منه الباحث كثيرأفي ترجمة العلماء والشخصيات السياسية داخل البحث. ،وتظهر أهميته؛ لأن مؤلفه اعتمد على مصادر متنوعة، و ترجم لعدد كبير من سلاطين وملوك الأيوبيين والمماليك ،وكان لبعضهم دور في النواحي الدينية والاجتماعية والاقتصادية والتعليمية؛ إضافة لذلك ترجم لعدد من العلماء والقضاة والأدباء وغيرهم وقد أفادت الدراسة من هذه التراجم في جميع الفصول .

2-الذهبي: هو شمس الدين محمد ولد بدمشق سنة 673هـ 1211م برع في علوم الحديث والقراءات والتاريخ صنف مصنفات عديدة بلغت حوالي مائة مصنف وفي عام 741هت 1340 فقد بصره فانقطع عن التأليف واكب على التدريس بمدارس دمشق حتى وفاته سنة 748هـ/ 1340 م [(1)]:وكتابه " سير أعلام النبلاء " : من أضخم الموسوعات التاريخية التي تتصف بالشمول لأنها بحثت في التراجم، والطبقات، ومن ايجابيات كتاب الذهبي أنه شمل سبع قرون ونيفا من تاريخ رجال الإسلام، وذلك منذ بداية الدعوة الإسلامية وحتى سنة 746هـ/ 1345م كما أنها تناولت جميع طبقات الناس من خلفاء وسلاطين وملوك وحكام وأمراء وشعراء وأدباء مسلمين وغير مسلمين وقد أفادت الدراسة من هذه الكتاب في معظم فصولها.

3- ابن حجر العسقلاني أحمد بن علي المصري ولد في القاهرة (ت853هـ/1449م) ويعتبر من كبار المؤرخين في عصره،وتميز بثقافة واسعة واهتم بدراسة الحديث والتاريخ [(2)]: وأهم ماكتبه في التاريخ والتراجم"إنباء الغمر بأبناء العمر"وكتاب "الدرر الكامنة في أعيان المائة

---

(1)الذهبي سير، ج1 مقدمة المحقق ص13-15 ابن تغري، النجوم ج10 ص 145-144 ابن العماد شذرات ج3 ص 153-155.

(2)ابن حجر،انباء الغمر، مقدمة المحقق،ج1، ص7ـ9.

الثامنة" ويعتبر هذا الكتاب هام؛ لأن صاحبه كانت له علاقة مع بعض السلاطين في عصره وكان يحب الرحلة ليجمع الأخبار وأفادت منه الدراسة كثيراً في الفصل الخامس وغيره.

ومن **كتب التراجم الأخرى** "طبقات الشافعية الكبرى" للسبكي (ت 771هـ/1369م)، وكتب الطبقات الأخرى، ككتاب "المنهل الصافي" لابن تغري بردي (ت 874هـ/1464م)، وكتاب "شذرات الذهب في أخبار من ذهب" لابن عماد الحنبلي (ت 1089هـ/1678م). **وابن خلكان**(ت681هـ/1282م) وكتابه:"وفيات لأعيان وإنباء أبناء الزمان": يعتبر هذا الكتاب من كتب التراجم الهامة.

- **كتب ومصادر أخرى:**

بالإضافة إلى المصادر سالفة الذكر فقد استفاد الباحث خلال دراسته من عدد من المصادر الأخرى المخطوطة والمطبوعة ومن بينها على سبيل المثال لا الحصر: "المنتظم في تاريخ الأمم والملوك" لابن الجوزي (597هـ/1202م)، وكتاب "الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة" لابن شداد الحلبي (ت 684هـ/1285م)، وكتاب "نهاية الأرب في فنون الأدب" للنويري (ت 732هـ/1331م)، ومصادر عديدة أخرى.

تمهيد

الأوضاع الدينية للمسلمين في الشام قبيل العهد المملوكي:

شهدت الشام عهداً جديداً بقدوم صلاح الدين الأيوبي اليها سنة 570هـ/1174م، وبمقدمه استقرت أوضاع الشام السياسية والاجتماعية وغيرها من المجالات الأخرى، ولم يكن قدوم صلاح الدين الى الشام بدوافع ذاتيه لملئ الفراغ الناجم عن الصراع بين أمراء مدن الشام من الزنكيين والأمراء المحليين، بل لإنقاذها من هذا الصراع ولتكون منطلقاً للتحرير[1].

لذلك شهدت الشام في العهد الأيوبي نشاطا ملحوظا في الحياة الدينية والحركة العلمية و الثقافية [2]برغم ماتعرضت له من محن الإحتلال الصليبي، وكان من أهم مظاهر هذا النشاط اهتمام ملوك وحكام بني أيوب بإحياء الشرع، وقمع البدع، وذلك من خلال إنشاء العديد من المراكز التعليمية الدينية، وتوفير أوقاف تدر عليها دخلاً منتظماً، وتوجيه التعليم فيها نحو خدمة هذا الغرض، متطلعين من وراء ذلك إلى حفظ الناس من الإنحراف عن الدين الإسلامي، من خلال تصحيح عقائدهم وجمعهم على مذهب أهل السنة، حتى يكونوا في منأى عن التيارات الفكرية المنحرفة، والمناهضة للدين الإسلامي .

وقد أشار ابن جبير الى تلك الإسهامات الدينية من خلال وصفه، لكثرة الأوقاف المعدة للمؤسسات الدينية التعليمية في بلاد الشام، إذ يقول: " ولكل مشهد من هذه المشاهد أوقاف معينة من بساتين وأرض ، حتى أن البلد تكاد الأوقاف تستغرق جميع ما فيه" [3] .

وقد حرص منشئوا هذه المراكز التعليمية على توفير مصدر دخل ثابت يكفل لمنشآتهم التعليمية الاستمرار في تقديم خدماتها، ومن أجل ذلك رصدوا لها الأوقاف الوفيرة التي تضمن للملتحقين بها العيش في مستوى مناسب يمكنهم من الانصراف إلى طلب العلم دون عناء كبير[4].

---

(1) ابو شامة، الروضتين، ج2،ص48.

(2) الأصفهاني، الفتح القسي. ص 137 – 138 ابن شداد ، النوادر السلطانية ص 82، أبو شامة الروضتين ج2، ص97 .

(3) ابن جبير، رحلة ص 213.

(4) السبكي، طبقات الشافعية، ج4 ، ص222. بدوي، الحياة العقلية، ص 5-6 .

ولعل هذه الرعاية والعناية التي حظيت بها المؤسسات الدينية والتعليمية في معظم فترات العهد الأيوبي كانت سببا في شيوع العلم بين عدد كبير من أفراد المجتمع وعلى الأخص الفقراء والأيتام، فتهيأت أمامهم سبل تحصيل العلم والاشتغال به، وقد دفع هذا الوضع الكثير من طلاب العلم في مختلف أنحاء العالم الإسلامي إلى أن يجعلوا من بلاد الشام محط أنظارهم ومنتهى أحلامهم للتعلم والدراسة فيها، لما زخرت به من مراكز تعليمية، تتوافر بها سبل الرعاية والتشجيع التي يرجوها كل من أراد التعلم[1].

ومن مظاهر إهتمام الأيوبيين بالمساجد كمؤسسات دينية، الإهتمام ببنائها وإعادة ترميم القديم منها، فعمد الملك الناصر صلاح الدين بعد تحريره القدس من الصليبيين، بإعادة الحياة العلمية والدينية إلى المسجد الأقصى، وعين للمسجد الأقصى إماما و خطباء ومدرسين، ونقل إليه عددا من المصاحف الشريفة، ووقف على المسجد الأوقاف الكثيرة [2].

وأصبح المسجد الأقصى محط رحال العلماء والفقهاء، تدارسوا فيه القرآن ورواية الحديث وتعليم الناس[3].

وكذلك كانت عناية الأيوبيين بالجامع الأموي في دمشق كبيرة، حيث اهتموا بدعم التعليم فيه، ورفده بالعلماء حتى غدا من أكثر المساجد في الشام أهميةً لوجود تدريس المذاهب الفقهية فيه، فيقول ابن جبير"وهذا من مفاخر هذا الجامع المكرم، فلا تخلو القراءة فيه صباح مساء، وفيه حلقات للعلم والتدريس"[4].

وتدلنا العمائر الدينية الأيوبية، على مدى ما وصل إليه اهتمام الأيوبيين بالنواحي الدينية، فقد بلغ عدد المساجد في دمشق وحلب زهاء الف وثلاثمائة وخمس وستون مسجداً[5].

ومن المؤسسات الدينية التي كانت موضع اهتمام من قبل سلاطين الأيوبيين المدارس وحلق العلم، لذلك تنافسوا في بنائها فبلغت المدارس نحو سبع وتسعين مدرسة في الشام وحدها ، وبقي كثير منها يؤدي دوره التعليمي حتى نهاية عهد المماليك[6].

---

(1) أبو الفداء ، المختصر ج2 ، ص 157 . العسلي ، مؤسسة الاوقاف . ، ص 95 .

(2) الأصفهاني، الفتح ، ص140-141. العسلي ، معاهد ، ص 35-40. عبد المهدي ، الحركة الفكرية ص54.

(3) الأصفهاني، الفتح ، ص198. عبد المهدي، الحركة ص54-55 .

(4) الرحلة، ص210.

(5) ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج1،ص59-138.

(6) ابن شداد، الأعلاق الخطيرة،ج2ص245. اليونيني، ذيل مرآة الزمان،ج1،ص71.

وقد درست المدارس الأيوبية بالدرجة الأولى العلوم الدينيـة والمـذاهب ، وقـد أتـاح الأيوبيين للمذاهب حرية الظهور والنمو مع احتفاظهم بمذهبهم الشافعي كمذهب رسـمي للدولـة الأيوبية[1].

وفيما يخص المدارس في مدينة دمشق بالذات فقد حظيت بإنشاء عدد وافر منها، ويعـود ذلك إلى الإستقرار السياسي والإزدهار الاقتصادي الذي نعمت به مدينة دمشـق فـي اغلـب مراحل العهد الأيوبي إضافة إلي أن دمشق كانت مركزا للأيوبيين في منطقة بلاد الشام، الأمر الذي جعلها مقرا لبعض أرباب الحكم، وبالتالي موطنا لكثير من العلماء والفقهاء فغدت في اغلب مراحل ذلك العهد قبلة لطالب العلم من كافة أنحاء العالم الإسلامي آنذاك مما أدى إلى قيام نشاط تعليمي كبير فيها خلال تلك الفترة .

كذلك شهدت مدينة حلب نشاطاً كبيرا في مجال إنشاء المدارس في عهد صـاحبها الملـك الظاهر غازي بن الملك صلاح الدين [2] .

ومن أسباب اهتمام الأيوبيين بالمؤسسات الدينية والتعليمية، رغبتهم القوية في التقرب ، وكسب الأجر والثواب، فقد رأوا فيها وسيلة لتعليم القرآن والدين الإسلامي، والتمسـك بالـدين والعقيدة، ورغبتهم في مواصلة الإحياء الديني والعلمي والثقافي[3].

وليس من المستغرب كثرة الإغداق المادي من قبل الأيوبيين على تلك المؤسسات ما داموا يملكون تلك الرؤية الدينية الصادقة والقوية، فقد ذكرت بعض المصادر التاريخية إغداق صلاح الدين الأيوبي أكثر من مئتي الف دينار من إقطاع ورواتب على العلماء في دولته[4].

ومن اهتمام الأيوبيين بالعلماء والفقهاء التواضع لهم وحضور مجالسهم حيث كان المعظم عيسى يقرب العلماء ويسامرهم ويأويهم في قصره ولا يفارقونه،[5] وكذلك فعل الملك الظاهر غازي بن السلطان صلاح الدين فقد كان يجمع العلماء ويكرمهم[6].

---

(1) أنظر: غوانمه، تاريخ ، ص144. البيطار ،التعليم في دمشق،ص42.

(2) ابن خلكان، وفيات، ج3، ص494 .

(3) أنظر: البيطار، التعليم في دمشق،ص42.المدني، الحياة العلمية، ص170.

(4) ابو شامة، الروضتين، ج2، ص321.

(5) ابن واصل ، مفرج الكروب، ج4،ص614.

(6) ابن خلكان ، وفيات الأعيان، ج2، ص178.السبكي، طبقات السافعية،ج4، ص210.

ومن مظاهر عناية الأيوبيين بالنواحي الدينية وما ارتبط بها من النواحي العلمية، اهتمامهم ببناء المكتبات التي الحقت بالمساجد والمدارس وغيرها من مؤسسات، كمكتبة الملك المعظم عيسى، وكانت تحوي الكتب النافعة والنادرة، فوصفها ياقوت الحموي بأنها تحوي "النادر من الكتب"[1]، وكذلك مكتبة الملك المنصور محمد بن تقي الدين عمر ملك حماه، حيث كثرت بها الكتب النفيسه[2]وعرف عن أغلب سلاطين الأيوبيين حبهم لجمع الكتب النفيسة واقتنائها[3].

وكانت عناية سلاطين بني أيوب لنظام الوقف على المؤسسات الدينية، أحـد الأسـباب الهامة في تفعيل الحياة العلمية والحركة الثقافية ، إذ أن الأيوبيين بتطبيقهم هـذا النظـام أثبتـوا حرصهم وتشجيعهم لتطوير واستمرارية الحياة العلمية [4].

ولما كانت الأوقاف هي المورد الرئيسي للصرف على المراكز التعليمية المختلفة، فإن استمرار تلك المراكز في أداء رسالتها، كان مرهوناً بما تغله الأوقاف المخصصـة لهـا، فـإن حـدث وصودرت أو خربت الأوقاف المخصصة لمركز علمي معين، كان ذلك إيذاناً لبدايـة تـدهوره وتوقفه عن أداء رسالته .

وبما أن الباعث الديني يمثل اتجاهاً قوياً لدي عامة الناس في تلك الفترة، إذ اتجه عدد من أهل التقوي والصلاح وذوي البر والإحسان صوب المشتغلين بالعلم، وبذلوا في سبيلهم الأموال والممتلكات، على اعتبار أن الاهتمام بهذا الجانب، يعني الاهتمام بالشرع الإسلامي والعمل علي رفعته ونشره . فقد وجدوا في إنشاء المدارس وغيرها من مراكز العلم ، ورصد الأموال والممتلكات عليها، وعلي من فيها من علماء وطلاب، فرصة طيبة للبذل والعطاء ، خاصة وأن الكثير من المراكز التعليمية كانت في تلك الفترة تعني عناية فائقة بالعلوم الشرعية ، وبالتالي فإن الإنفاق على تدريس تلك العلوم وعلى المشتغلين بها كان يعد هدفاً دينياً .

وعرف عن الأيوبيين إهتمامهم الشديد بالعلم والعلماء، فهم عماد المسيرة التعليمية وبناتها الحقيقيون، فتمتعت فئة العلماء والمدرسين وأرباب الوظائف الدينية المختلفة، بمستوى عالي من المعيشة، بفضل الرواتب الكثيرة التي يغدقها سلاطين بني أيوب عليهم، فذكر العماد الأصفهاني أن صلاح الدين الأيوبي " لم يترك قارءاً إلا قراه ،ولا راوياً للحديث إلا أشبعه وأرواه، ولا

---

(1) الحموي، معجم الأدباء، ج2،ص270.

(2) الكتبي ، فوات ، ج4، ص12.

(3) اليونيني، ذيل مرآة الزمان،ج1ص145.

(4) أحمد، الحياة العلمية، ص12.

حافظ حديث إلا حفظه من الفقر، ولا محسن صنعة إلا اصطنعه بالإحسان ، ولا ناظم مدائح إلا نظم له المنائح، ولا موافياً بقريض إلا وفى قروضه، "[1].

وذكر ابن شداد أن صلاح الدين الأيوبي كان يجمع الأموال ويفرقها على الأمراء والعلماء[2].

وبذلك ندرك مدى أهتمام الأيوبيين بالنواحي الدينية، وكان هدفهم بالأساس من ذلك مواجهة التحديات التي تواجه دولتهم الناشئة، مثل بقايا الفكر الفاطمي الشيعي ولذلك سعوا الى التمكين للمذهب السني، من خلال دعم المؤسسات الدينية وخصوصاً المدارس التي نشرت المذاهب السنية الأربعة، وحاربت ذيول التشيع، ومن التحديات التي واجهت الدولة الأيوبية الخطر الصليبي وتأثيره على المجتمع الشامي، لذلك حرص الأيوبيين على بث روح الجهاد من خلال المساجد والعلماء والمؤسسات الدينية المختلفة، ومما يجدر ذكره أن الدولة المملوكية أتبعت سياسة الدولة الأيوبية في دعم النواحي الدينية وسارت على نهجها في دعم الحياة الدينية من خلال دعم العلماء والمؤسسات الدينية المختلفة، وهذا ما سنتعرف عليه في فصول هذه الدراسة.

---

(1) الفتح القسي، ص182.

(2) النوادر السلطانية، ص82.

الفصل الأول

دور سلاطين المماليك في الحياة الدينية

المبحث الأول: سياسة سلاطين المماليك في النواحي الدينية.

المبحث الثاني: دوافع اهتمام سلاطين المماليك بالنواحي الدينية.

المبحث الثالث: إسهامات وجهود سلاطين المماليك في دعم النواحي الدينية.

المبحث الأول

سياسة سلاطين المماليك في النواحي الدينية

تجلى موقف سلاطين المماليك واضحاً في الحياة الدينية في بدايات حكمهم لمصر والشام، حيث كان الزحف المغولي من الشرق يلتهم الممالك الإسلامية واحدة تلو الأخرى[1] مدمرا كـل ما يمت للحضارة بصلة، فإحراقهم للمدن وقتلهم للمسلمين وتهجيرهم، وطمـس معـالم الرقـي والإزدهار الإنساني، سمة من سمات هذا الغزو الهمجي، وليس هذا فحسب، بل كـان الخطـر النصراني يعصف بالأندلس ومسلميها الذين هجروا قسرا إلى المشرق الإسلامي، وبالتالي كـان لزاما على الدولة المملوكية وبصفتها وارثة الكيانات السياسية التي تسـاقطت أمـام الغـزو الصليبي والمغولي ، أن تقوم بمسؤولياتها تجاه الأمة الإسلامية، في الـذود عنهـا واحتضـان الآلاف من المشردين المسلمين من الشرق ومن الغرب [2].

لذلك حرص المماليك على الظهور بمظهر الحامي والراعي للأمة الإسلامية، فاسـتقبلوا العلماء والفقهاء والدعاة والمفكرين من تلك البلاد المنكوبة، وابتنـوا لهـم المراكـز العلميـة والمدارس والمعاهد والمكتبات في القاهرة ودمشق والقدس، وأغلب مدن مصـر والشـام، بـل وحضر السلاطين بأنفسهم مجالس العلم والتعلم، وحثوا أولادهم ونساءهم ومماليكهم، على التفقه والتعلم.

وليس أدل على ذلك من هذا التراث الضخم، من موسوعات أدبيـة وكتـب تاريخيـة، ومؤلفات في العلوم الدينية تركها علماء هذا العصر[3] .

ولذلك كان على المماليك أن يترجموا سياستهم الدينية إلى واقع ملموس، لذا كان التـدين صفة غالبة على جل السلاطين والأمراء، وحاول المماليك الظهور بمظهر إسلامي دائماً وظهر ذلك في عدة مواقف زخرت بها كتب ومصادر التاريخ المملوكي، سوف نتطرق إليها لاحقاً في ثنايا البحث، فإحياء الخلافة العباسية في عهد السلطان الظـاهر بيبـرس، وتسـمي السـلاطين

---

(1) ابن كثير، البداية، ج13، ص98.

(2) أنظر: الغامدي، جهاد المماليك، ص289_290..

(3) ابن الوردي، تاريخ، ج2، ص18. نصار، وساءل الترفيه ص21. عاشور، العصرالمماليكي، ص241؛ سليم، تاريخ الأدب، ص6. أنظر الفصل الخامس من نفس الرسالة به عن العلوم والمؤلفات.

بالتسميات الدينية في مكاتباتهم الرسمية والعملة، مثل (نصير أمير المؤمنين) و(سلطان الإسـلام والمسلمين) و(القائم بسنته وفرضه)كان أهم سمات السياسة الدينية المملوكية[1] .

وبالنظر إلى عشرات الروايات التي تثبت تدين بعض سـلاطين المماليـك، وأمـرآءهم وحرصهم على التفقه وتعلم الدين وحفظ القرآن والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ ليثبت أن التدين كان من صفات أغلبهم، وإن شذ بعضهم فقليل ما هم، كما أن أغلـب السـلاطين كـانوا متمسكين بأحكام الدين ويؤدون الفرائض كاملة، ويحجون الى بيت ا الحرام، ونبـغ العديـد منهم ومن أمراءهم في الفقه والأدب والتاريخ والتصوف بل تصدى بعضهم للإقراء والتـدريس، فالسلطان قانصوه الغوري[2] مثلا كان يناقش العلماء ويرد عليهم في مجالس العلم [3].

والحق ما كان لهذه النهضة العلمية والدينية أن تتقدم، لـولا تشـجيع بعـض سـلاطين المماليك لذلك ،وهذا ما دعا بعض المؤرخين لوصف مصر والشام بانها "محل سـكن العلمـاء ومحط رحال الفضلاء"[4].

وذكر لنا التاريخ نماذج كثيرة من اهتمام السلاطين والأمراء المماليك بالنواحي الدينية، من بناء للمساجد والمدارس والمعاهد، وتشجيع التأليف والترجمة، وإغداق الأموال الطائلة على البحث والتأليف وإكرام العلماء، كيف لا وقد أدركوا أنه بالعلم والتمسك بالدين تقوم الممالك وتتأسس الحضارات، ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ﴾[5]، وانطلاقاً من هذه الآية أعاد المماليك إحياء المؤسسات الدينية، وبنوا المجمعات الدينية التعليمية كالمدارس في مصر والشام، ليؤصلوا هذا الدين في مجتمعهم[6].

وهذا ما يفسر إهتمام المماليك بالتربية الدينية، فقد كان السلاطين والأمراء يخضعون مماليكهم للتعليم الديني، وحفظ القرآن والإلمام بالسنة، ويعينون لهم مؤدب فقيها عالماً، يعلمهم

---

(1) القلقشندي،صبح، ج6،ص120.علي،القدس،ص26 .عاشور،العصر المماليكي ،ص347.

(2) قانصوه الغوري، سلطان مملوكي،كان اقل امرآء المماليك مكانه وولاه الامراء الكبار حتى يسهل خلعه،ولكنه ثبت في السلطنة،أنظر:المكي، سمط النجوم،ج4،ص61.الشوكاني،البدر الطالع،ج2،ص55.

(3) ابن اياس ،بدائع الزهور،ج 4ص،344. القدسي،دول،ص105.

(4) السيوطي، حسن المحاضرة،ج2، ص86 .عاشور ، العصر المماليكي ، ص348.

(5) سورة النور،آية55 .

(6) القدسي،دول،ص110 .

القرآن والخط وأحكام الدين، وآداب الشريعة بالإضافة للعلوم الأخرى، ويعودهم على التمسك بالدين وملازمة الأذكار والصلوات[1]، وكذلك ببناء المكاتب لتعليم النشء ووقف الأوقاف الوفيرة، لتوفير مصدر دخل ثابت يكفل لمنشآتهم التعليمية والدينية الاستمرار[2] .

ومن مظاهر سياسة المماليك الدينية اهتمامهم بالعلماء ووضعهم في مكانة سامية في المجتمع، لينالوا بذالك احترام السلاطين والمجتمع المملوكي، فكان العلماء في العهد المملوكي، يحضون بالإجلال لعلمهم وفضلهم وتقديراً لدورهم المميز الذي يمارسونه في رفعة الأمة، وخدمة المجتمع وتثبيت معالم الحكم[3]، مع احتفاظهم باستقلاليتهم بالرأي حتى ولو خالف ذلك رغبة السلطان ومؤسسة الحكم .

ومن الملاحظ أن أغلب سلاطين المماليك حرصوا على إستمالة وإسترضاء العلماء وقدروهم وبوءوهم المناصب الدينية والإدارية الرفيعة في الدولة[4]، للإستفادة من خبراتهم لترسيخ سياستهم، ولإحياء فكرهم المذهبي الوارث لحركة الإحياء السني التي اتبعها الأيوبيين قبلهم في مواجهة الفكر الفاطمي الشيعي، لذا كان من مظاهر السياسة الدينية تقريب العلماء والمتصوفة منهم بالذات، لمعرفة الساسة المماليك بمدى تأثير العلماء والتصوف في المجتمع آنذاك، بسبب نفوذهم المباشر على الرأي العام ليس باعتبارهم أئمة المسلمين فحسب بل نتيجة احتكاكهم المباشر بطبقات المجتمع واختلاطهم بهم من تجار وأصحاب حرف فضلاً عن اتصالهم بالطبقة الحاكمة من المماليك[5]، وهم الذين حرصوا – أي سلاطين المماليك- على مصاهرة هؤلاء العلماء لكي يكتسبوا مكانة اجتماعية نظراً لأنهم غرباء عن المجتمع .

وقد كانت الحياة الدينية والاجتماعية تتركز غالباً حول العلماء والمؤسسات الدينية نظراً لكثرة الثروات بأيديهم لإشرافهم على الأوقاف وتوليهم المناصب الهامة، وهم المتحدثين الرسميين في كافة الشؤون القانونية والاجتماعية والمدافعين عن حقوق الناس خاصة أن فقهاء

---

(1) ابن اياس،بدائع ،ج3 ص4 .ابن العماد ،شذرات،ج6،ص212.

(2) الشوكاني، البدر الطالع ،ج1، ص28.السخاوي،الضوء اللامع ،ج1، ص138.عاشور، العصر المماليكي، ص342 .

(3) عاشور، العصر المماليكي، ص 341 .

(4) ابن تغري،النجوم الزاهرة،ج4،ص327.ابن العماد،شذرات،ج7،ص253. الغزي،الكواكب،ص437.لابيدوس، الغزي،الكواكب،ص437.لابيدوس، مدن الشام، ص174 .

(5) القدسي، دول، ص108. لابيدوس، مدن الشام، ص174.

وقضاة المذاهب كانوا بمثابة زعماء دينيين ينافسون السلاطين في قوتهم وسيطرتهم على الجماهير[1] .

ومن سياسة المماليك الدينية دعم الصوفية كما أسلفنا، خاصة أن التصوف يلقى قبولاً عند عامة الناس، ويؤثر عليهم تأثيراً كبيراً، لذلك كانت سياسة المماليك الدينية واضحة في مجال التصوف، فأنشئوا الزوايا والربط والخانقاوات والترب، _سيأتي تعريف هذه المؤسسات في فصل المؤسسات الدينية_ ، وأغدقوا عليها الأموال والطعام، وشحنوها بالقراء والمتصوفة وطلبة العلم، وجعلوها كمراكز إيواء للفقراء والمساكين وعابري السبيل، من الغرباء والمهجرين، وكانت هذه المؤسسات تقوم بنشر العلم والتعليم أيضاً[2]

ومن مظاهر سياسة المماليك الدينية اهتمامهم بنشر الوعي الديني في دولتهم، فإنشاء المدارس ودور القرآن والحديث، دليل واضح على التوعية الدينية، ولم يحتكر المماليك بناء تلك المؤسسات الدينية، بل فتحوا الباب للعلماء والميسورين في إنشاء الأوقاف الخاصة بهم، والتي تنسجم مع تطلعات المماليك الدينية، بل أعطوهم الحرية في اختيار المذهب ووضع شروطهم الخاصة في أوقافهم، فبنى بعض العلماء والأعيان في دمشق داراً للقرآن "واشترطوا في الإمام أن يكون حنفياً ، وان يكون معه عشرة قرآء من جنسه يقرءهم القرآن"[3] .

ومن المظاهر الأخرى لسياسة المماليك الدينية، اهتمامهم بطلبة العلم لذلك كفلوا لهم الرعاية والنفقة والكسوة صيفاً وشتاءا، عدا عن المسكن والرعاية الصحية، ليوفروا لهم الجو الدراسي الملائم للتعلم، ولم يقتصر التعليم على أبناء الأغنياء فقط، بل كان للفقراء منه نصيب وافر، وقد حرص المماليك على أن يتولى التدريس مدرسين أكفاء مشهورين بالعلم والسلوك الحسن والسمعة[4]، وبالطبع كان الشيخ المدرس يتولى العمل في أكثر من مدرسة[5].

---

(1) أنظر: علي، القدس، ص173. لابيدوس، مدن الشام ص173_175 .

(2) العليمي، الأنس، ج2، ص77. عبد المهدي، الحركة، ص203. عبد المهدي، المدارس، ج2، ص195،194.

(3) النعيمي، الدارس، ج1، ص 11،13 .

(4) المصدر نفسه ، ج1 ، ص24 .

(5) العليمي، الأنس الجليل، ج2، ص242 .

ومن مظاهر إهتمام المماليك بالنواحي الدينية، إهتمامهم بالعلوم المختلفة، فعلـوم الـدين والعلوم الطبيعية وعلوم اللغة والأدب وغيرها من العلوم، إزدهرت بشكل كبيـر فـي عصـر المماليك، بل فاقت العصر الأيوبي إزدهاراً وتنوعاً[1].

وقد عاشت الشام عصرها الذهبي في مجالات الثقافة والتعليم أيام الحكم المملوكي ونشطت الحركة الثقافية في المساجد والمدارس والزوايا والربط والخوانق والكتاتيب والمشافي[2]، وكانت موضوعات التدريس تتمركز حول العلوم الإسلامية كالقرآن وقرآءاته وتفسيره والحديث والفقـه واللغة والأدب والنحو والصرف والعروض والبلاغة والسير والتاريخ والتراجم وعلـم الكـلام والمنطق والحساب وعلوم الهيئة والميقات[3] .

ومما لا شك فيه أن عناية المماليك بالحياة الدينية، وبهذه العلوم كـان لإدراكهـم حجـم التحديات التي تواجه دولتهم الناشئة، فالأخطار السياسية المحيطة بهـم كالصـليبيين والمغـول وتأثيرهم الفكري والحضاري على المجتمع الإسلامي، والأوضاع الداخلية في مواجهة التيارات الفكرية والدينية، كالتشيع والباطنية والخلافات المذهبية كان يستوجب قيام فكر وثقافة إسـلامية قوية ومنافسة .

لذلك نشطت حركة التأليف بشكل لافت في العصر المملوكي، خاصة في المجالات الدينية، وغيرها من المجالات، فالمكتبة العربية اليوم تزخر وتفيض بآلاف الكتب من شـتى المعـارف تعود للعصر المملوكي كيف لا وقد أسهم السلاطين أنفسهم في دعم التأليف وبناء المكتبات فـي كل مسجد وزاوية ومدرسة بل وفي قصورهم وبيوت امرآءهم وعلمائهم، وتعـدى ذلـك إلـى الأعيان والتجار وعامة الناس، حتى وصل الأمر للتنافس في إقتنائها وشرائها بأغلى الأثمان[4].

وبما أن الكتاب هو أساس العلم ونشره، فان الإقتصار على تشييد الأبنية وتـوفير جهـاز التدريس، غير كاف فاهتموا بوقف الكتب على المدارس والزوايا وحلقات العلم لتكـون وسـيلة

---

(1) العليمي،الأنس الجليل،ج2،ص242.و للإطلاع على المزيد من العلوم التي تطورت في عهد المماليك يرجى النظر في الفصل الخامس من نفس الرسالة.

(2) ابن خلدون، العبر، ج 1ص778، 779. فرغلي، الحركة التاريخية،ص61 .

(3) المقدسي، دول، ص 105. زكار، الموسوعة، ص605 .

(4) الكتبي، فوات، ج1، ص59. ابن العماد، شذرات، ج7، ص205. طرازي، خزائن، ج1، ص294. الحجي، صور من الحضارة، ص19 .

ميسرة للتحصيل والمراجعة، وتوفر مادة علمية يستند عليها المعلم والمتعلم، فأصبح من البديهي وجود مكتبة في كل مؤسسة دينية أو تعليمية في هذا العصر.

فقد أنشأ الظاهر بيبرس[1]، عام662هـ/1263م، المدرسة الظاهرية بدمشق وجعـل بهـا مكتبة عظيمة[2] وقد أرسل سلاطين المماليك وراء كل كتاب لشحن مكتباتهم، كمـا وأرسـلوا نفائس الكتب للمسجد الأقصى، بل شاركهم ملوك المغرب العربي في ذلك، لما للمسجد الأقصـى من أهمية في نفوس المسلمين[3].

وما كان لهذه السياسة الدينية، أن تستمر لولا حماتها من السلاطين والأمـراء المـؤمنين، فقد كان الوازع الديني عندهم قوياً وفاعلاً، يحثهم دوماً على التمسك بالدين والذود عن حياضه والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإقامة شرع ا في أرضه، لذلك لم ينسى التاريخ لهـم إسهاماتهم الواضحة في دعم الحياة الدينية من خلال عرض سيرتهم العطرة عبر عشرات الكتب التي وصلت إلى أيدينا، فهذا صاحب كتاب البدائع يصف السلطان الظاهر بيبرس فيقول: "كـان الظاهر بيبرس منقاداً إلى الشريعة يحب العلماء والصلحاء وفعل الخير وفيه قال الشاعر:

تاريخه في الملوك أضحى   يحير العرب والأعـاجم

فاكتـبه بالتبر لابحبر   وأعجب لأخباره العظائم

إختاره ا من إمـام   لقمع أهل الفساد صارم

اظهر العـدل في الرعايا   وأبطل الجور و المظالم

فا يرحمه كل يـ ـ ـوم   مادام هذا الوجود قائم[4]".

ويصف النعيمي بعض العمائر الدينية ليدلل على اهتمام المماليك بالنواحي الدينية، من خلال بناء المؤسسات الدينية فيقول:

---

(1) هو الظاهر بيبرس العلائي البندقداري، صاحب الفتوحات والأخبار أصبح في عهد الصالح نجم الدين الأيوبي، أتابك العسكر تولى السلطنة658هـ،1259م، ينظر:ابن تغري، النجوم الزاهرة،ج7، ص120. الزركلي، الأعلام، ج2ص72.

(2) الأصفهاني،الفتح، ص141-142.ابن واصل،مفرج ،ج2،ص230 .فرغلي،_الحركة التاريخية ،ص64 .

(3) العيني،عقد الجمان،ج1، ص244. العليمي، الأنس ج2، ص64.علي،القدس،ص 169 .

(4) ابن إياس،ج1، ص342 .

"ولأبواب الحديث شكلا غير شكل أبواب مدارس الفقه والعلوم، ويميزون أبواب أبنية السلاطين والأمراء لمعاهد الحديث، عن أبواب أبنية غيرهم ومن تأمل مآثرهم رأى ذلك عيانًا"[1].

وقد بلغ الإنفاق على تلك المؤسسات، حداً جعلها أشبه بمنظومة اقتصادية متكاملة حيث بلغت رواتب المؤسسة الواحدة المئآت من الدراهم والدنانير، ناهيك عن تكلفة إنشائها الضخم فقد نقل لنا العليمي وصف هذه المؤسسات من حيث النفقة والأعطيات فقال:

"و بها إماما وله من المعلوم مائة درهم، وقيما وله مثل الإمام، وستة أنفار من الفقراء الغرباء المهاجرين في قراءة القرآن، ولكل واحد منهم ثلاثون درهما في كل شهر، ولشيخهم عشرة دراهم ومن شرط الإمام الراتب أن يتولى قراءة القرآن للجماعة وله على ذلك عشرون درهما زيادة على معلوم الأمامية، وقرر لهم شيخا وله من المعلوم ستون درهما في كل شهر، ورتب أيضا قارئا لصحيح الإمام البخاري في كل من شهر رجب وشعبان ورمضان، وجعل له من المعلوم مائة وعشرين درهما، وناظرا وله من المعلوم في الشهر ستون درهما، وعاملا وله من المعلوم في السنة ستمائة درهم، وجعل للشمع ـ للإنارة ـ وإمام التراويح مائة درهم، ولأرباب الوظائف الدينية خمسة عشر رطلا من الحلوى، ورأسي غنم أضحية، ولكل يتيم جبة قطنية وقميصا ومنديلا في كل سنة، وعين فقيها في يوم الثلاثاء من كل أسبوع وله في الشهر ثلاثون درهما، وشرط على أرباب الوظائف حفظ حزب الصباح والمساء، يقرؤونه بعد صلاة الصبح والعصر وان يكون الإمام هو القارئ على ضريح الواقف"[2].

لذلك ألمح كثير من المؤلفين المعاصرين، لطابع الدولة المملوكية الديني، وذلك لأنها متأثرة بمسيرة الجهاد التي تمسكت بها الدولة الأيوبية قبلها لتدافع عن العقيدة وترد العدوان[3]، ويدل على هذا الطابع النشاط الديني المنقطع النضير[4]، وبذلك فإن السياسة الحكيمة التي أنتهجها سلاطين المماليك وأمراءهم في دعم النواحي الدينية كانت سمة ذلك العصر ورد واضح على كل المشككين بصدق نوايا المماليك الدينية.

---

(1) النعيمي، الدارس ج1، ص8. بدران ،منادمة ،ص16 .

(2)العليمي، الأنس،ج1،ص61. النعيمي، الدارس ج1، ص8.

(3) أنظر: فهيم، الفن الحربي للجيش، ص9 .

(4) عاشور، العصر المماليكي، ص348 .

وليس أدل على ذلك من وصف صاحب كتاب دول الإسلام الشريفة البهية، عندما وصف المماليك بقوله :"أنهم القائمون الآن عن عامة أهل الإسلام، بفرض الجهاد في سبيل ا ، والقتال لأعداء ا ورسوله، من التتار والفرنجة، وغيرهم من الخوارج والعصاة الباغون الخارجون عن طاعة ا ، وطاعة إمام المسلمين، إذا قصدوا ديار الإسلام لسلبها واستئصال أهلها، فهم القائمون بذلك ابتداء ظهورهم بهذه المملكة الإسلامية"[(1)] .

وظهر من سياسة السلاطين في النواحي الدينية، نصرتهم للمسلمين في شتى بقاع الأرض ولأنهم اعتبروا أنفسهم حماة الدين وولاة أمر المسلمين في كل مكان، وذلك عندما بلغ السلطان المؤيد شيخ[(2)] ما حل بالمسلمين في الحبشة من الذل فاستدعى بطرك النصارى عام 822هـ/1419م وأنكر عليه اضطهاد المسلمين[(3)] بل حرض المحتسب على أن ينفذ القوانين الشرعية في النصارى واليهود من حيث ملبسهم وهيئتهم فنفذ المحتسب أمر السلطان[(4)]، وعرف عن السلطان المؤيد شيخ أنه محباً لأهل العلم يجالسهم، ويجل السنة النبوية، ويذعن لها، وينكر على أمراءه معارضة القضاة والعلماء في أحكامهم[(5)].

ومن سياسة المماليك الدينية، تقوية الجبهة الداخلية في مواجهة الرذائل والغش والفساد ومخالفة الشرع، وذلك بإحياء وتفعيل الحسبة كمؤسسة للأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، حيث أوكل للمحتسب مراقبة الآداب العامة وتطبيق الشرع في المجتمع ومنع شرب الخمر[(6)].

وذكر القلقشندي نصاً من تكليف أحد المحتسبين من قبل السلطان في دمشق وقد ظهر فيها سياسة المماليك الدينية واضحة في تقوية الجبهة الداخلية ومحاربة الفساد وحيث قال: "فليباشـر ذلك معطيا هذه الوظيفة من حسن النظر في حقها، محققاً بجميل تصرفه تقدم أولوياته فيهاوليكن الأمر الأقوات ملاحظاً، وعلى منع ذوي الغدر من الاحتكار المضيق على الضـعفاء محافظـاً،

---

(1) القدسي، ص119..

(2) هو السلطان المؤيد ابو النصر شيخ المحمودي الظاهري، من مماليك الظاهر برقوق، ولي طرابلس وأسره تيمورلنك المغولي، وهرب من سجنه، تولى السلطنة عام 815هـ/1412م، ينظر:ابن تغري النجوم الزاهرة، ج14، ص129. ابن تغري، اللطافة، ج2 ص136. الجبرتي، عجائب الأثار،ج3، ص104.العليمي،الأنس،ج2، ص95.

(3) المقريزي، السلوك، ج6، ص22 .ابن تغري، النجوم الزاهرة،ج14،ص81.

(4) المقريزي، السلوك، ج6، ص22.

(5) ابن تغري، النجوم ،ج4 ،ص76.

(6) ابن كثير، البداية، ج13،ص355. ابن خلدون ، العبر،ج3،ص108.أبو زيد ، الحسبة ، ص90.

وعلى الغش في الأقوات مؤدباً، ولأجراء الموازين على حكم ا لقسط مرتباً، ولمن يرفع الأسعار لغير سبب رادعاً "[1] ويضيف في موضع آخر: "وعلى ترك الجمع والجماعات لعامـة النـاس مؤاخذاً، ولتقوى ا تعالى في كل أمر مقدماً"[2].

ومن التوصيات ذكر القلقشندي بعض الوصايا للقائمين على الحسبة في دمشق وتظهر من خلال تلك الوصايا الرغبة بالتمسك بالدين و تطبيق الشرع، وهذا من سياسة المماليك الدينيـة، حيث قال "فاتق ا في أحوالك وانتق من يجمع عليه من النواب في المماليك، وأمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، فمنك المنكر لا يعرف والمعروف منك لا ينكر "[3] .

ويوصي السلطان كما ذكر القلقشندي بعد أن يعدد أسباب الغش والفساد والتدليس والقضايا الأخلاقية: "فاجعل يدك مبسوطة عليهم، وأحكامك محيطة بهم ومن خلفهم ومن بـين يـديهم"[4]، فأي فساد وانحراف بعد هذه التوصيات القوية الواضحة في قمع الفساد وأهله .

لذلك نجحت مؤسسة الحسبة في تنقية شوائب المجتمع المملوكي آنذاك، فذكر المقريزي أن السلطان المظفر بيبرس الجاشنكير المنصوري[5] 708هـ /1311م، قد عزم على إبطـال الخمر في مصر والشام، وأمر بإهراق الخمور وإذا علم بيتاً يبلغه أن فيـه الخمـر إلا سـكبوه ويكسر ما فيه، وضرب جماعه بالمقارع حتى يدلوا على من عصر العنب أو من عنده خمـر، فكتب أسمائهم فكان فيهم عدة من الأمراء والكتاب والأجناد والتجار، وإذا ظفر بـأواني الخمـر كسرت وحتى دور اليهود والنصارى سكب ما فيها من الخمور "[6] .

وبذلك نلاحظ مدى قوة سياسة المماليك الدينية، ووضوح معالمها وحرصهم الشديد علـى نشر الدين، ومحاربة الفساد بكافة أشكاله، وكان من ينفذ هذه السياسة غالباً السلاطين فهم رأس

---

(1) صبح ، ج12 ، ص 59.

(2) القلقشندي،صبح ،ج12،ص59. .

(3) القلقشندي،صبح ،ج12،ص62.

(4) المصدر نفسه ج12 ، ص63 .

(5) السلطان بيبرس الجاشنكير المنصوري ركن الدين المظفر من سلاطين المماليك بمصر والشام شركسي الأصل، كان من مماليك المنصور قلاوون ينظر : ابن تغري ، النجوم ج8 ص 232، 276. والزركلي ، الاعلام، ج2 ، ص 79- 80 .

(6) السلوك ،ج2 ، ص 430

الأمر وبيدهم تطبيق الشرع، لذلك كانت إسهاماتهم واضحة في نصرة الدين وإقامة الشـريعة، وصدق رسول ا صلى ا عليه وسلم حيث قال :"إن ا يزع بالسلطان مالا يزع بالقرآن"[(1)].

ومن سياستهم في محاربة الفساد وأهله، تحدث صاحب كتاب البدائع أن السلطان برقوق[(2)] 787هـ /1385، أصدر أمرا إلى المحتسب، بإبطال ما يحدث في الأعياد من القبـائح واللهـو والفجور، وما يترتب على ذلك من كثرة المشاحنات والمشاجرات وتعطيل الأسـواق[(3)]، وكـذا حصل في عهد السلطان طومان باي[(4)] سنة 922هـ/1516م، حيث حلف السلطان الأمـراء أن لا يعودوا لما كانوا عليه من ظلم الرعية، وان لا يشوشوا على أحد بغير طريـق شـرعي ولا يجددوا مظلمة، وأن يبطلوا جميع ما أحدثوا من مظالم[(5)].

ولعل الشام كانت أقل فساداً من مصر بسبب قوة جذوة الجهاد فيها، وتعرضـها لغـارات الصليبيين والتتار ولقلة سكانها وتباعد مدنها ووعورة مسالكها، عدا عن وجود المسجد الأقصـى وقبة الصخرة والحرم الإبراهيمي حيث يضفيان القدسية على بلاد الشام وسـكانها، كـل هـذه الأمور جعلتهم يتقربون إلى ا حكاماً ومحكومين وجعلتهم مجاهدين ومبتلين في أنفسهم وأموالهم وديارهم، ولذلك نلاحظ أن أغلب المشاكل الاجتماعية كانت ظاهرة أكثر في مصر دون سـواها من السلطنة المملوكية، وهذا بالإضافة إلى جهود المماليك في دعم النواحي الدينيـة فـي تلـك البلاد[(6)].

وبما أن دولة المماليك حاملة للواء الجهاد في سبيل ا ، فقد كان لهذا الدور أثـره علـى مسيرة التدين، فسياسة المماليك الداخلية والخارجية أسست على فكرة الجهاد وملاقـاة العـدو، وهذا ما يفسر طبيعة الدولة المملوكية العسكرية، وذلك بدوره يستوجب وجود سـلطاناً مؤمنـاً

---

(1) ابن الأثير، جامع ، ج4، ص83، السيوطي، جامع، ج29، ص8.

(2) هو السلطان الظاهر سيف الدين برقوق العثماني الجركسي، ترقى حتى تسلطن بعد خلع السلطان الصالح حاجي ،عام 784هـ/1382م ينظر:ابن تغري ،اللطافة، ج2،ص109.

(3) ابن اياس ،ج1 ، ص263-264 .

(4) هو السلطان الملك العادل سيف الدين طومان باي، من مماليك قايتباي ، بنى المدرسة العادلية في القاهرة وله مآثر في الشام ،ينظر: ابن العماد شذرات الذهب ،ج8 ص27 .المكي، سمط النجوم ، ج4،ص61.

(5) ابن العماد شذرات الذهب،ج3 ، ص57 .

(6) ابن كثير، البداية ،ج12 ، 156- 323. أبو شامة ، الروضتين ،ج3 ، ص396.

مجاهداً وأمراء فرسان صلحاء، وجيش يدين بشريعة الإسلام والجهاد، وأمـة مسـاندة مؤمنـة صابرة، وكل هذه الصفات كانت تتوفر بشكل نسبي في المجتمع المملوكي بشكل عام[1] .

ومن المعروف أن سياسة المماليك الدينية، كانت واضحة في حملاتهم العسكرية وجهادهم وظهر ذلك من خلال مراسلاتهم التي حوت الآيات والأحاديـث والتمسـك بالشـريعة لطلـب النصر[2]، وكيف أنهم يستشيرون العلماء والفقهاء في أمر الجهاد، وكذلك يحثون جنودهم علـى الصبر والتقوى وكيف يدعون العامة إلى الدعاء للسلطان وجيشه بالنصر[3] كل هـذه الأمـور كانت تتم في طابع ديني واضح وجلي.

فمن سياسة المماليك الدينية في حال الحرب مشاورة العلماء والفقهاء، حيـث فعـل ذلـك السلطان المظفر قطز[4] 657هـ/1259م، عندما جمع القضاة والفقهاء والأعيان لمشاورتهم فيما فيما يعتمد عليه في أمر التتار[5]، وبذلك نلاحظ تواجد العلماء والفقهاء بقوة في محفل السياسـة المملوكية، وكأنهم جزء أصيل من الكيان المملوكي، لا يمكن الاستغناء عنه.

وذكر ابن كثير أن الظاهر بيبرس 658هـ/ 1260م،" كان مشفقاً على الإسلام وله قصـد صالح في نصرة الإسلام "[6]، وقوله: "كان مجاهداً ومناجزاً لأعداء الإسلام "[7]، ويعد وصـف ابن كثير للظاهر بيبرس، من أعظم الأدلة على صـدق توجـه السـلاطين المماليـك الـديني، وسياستهم الدينية الحكيمة.

وبذلك نلاحظ أن الأسس التي قامت عليها الدولة المملوكية كانت أسس متينة ذات طـابع إسلامي، ما فتئ يظهر في كل جنبات السياسة الدينية المملوكية الداخليـة والخارجيـة، وبـذلك

---

(1) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج10، ص236. الغامدي،جهاد المماليك، مقدمة الكتاب، ص9.
(2) القلقشندي، صبح، ج7، 153.
(3) ابن كثير، البداية، ج13، ص244. الجبرتي، عجائب الأثار، ج3، ص406.الصفدي، الوافي بالوفيات، ج4، ص252.
(4) الملك المظفر قطز بين عبد ا الشهيد كان أكبر مماليك المعز أبيك التركماني بطلا شجاعاً مقداماً حسن التدبير يرجع إلى دين الإسلام وله اليد البيضاء في جهاد التتر، ينظر الصفدي، الوافي، ج24، ص189. الوفيات ج2، ص243. الكتبي، فوات ج2ً 253.
(5) ابن تغري، النجوم، ج2، ص 269. العيني، عقد الجمان، ج1، ص61.
(6) البداية والنهاية، ج13، ص275.
(7) المصدر نفسه، ج13، 276.

حفظت الدولة الإسلامية من الإندثار، أمام أعتى قوى البغي في العصر الوسيط، وكانت سياستها الدينية واضحة وضوح الشمس، حتى نظر إليها المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها على أنها حاضرتهم ووارثة شرعية للخلافة العباسية[1] .

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا، ما هي يا ترى دوافع المماليك الحقيقية، من وراء هذه السياسة الدينية ؟ وهل كان الالتزام الديني هو الدافع الحقيقي وراء تلك السياسة، هذا ما سنعرفه في المبحث التالي.

---

(1) أنظر: الغامدي، جهاد المماليك، ص291 .

المبحث الثاني

دوافع اهتمام سلاطين المماليك بالنواحي الدينية

لم يكن اهتمام سلاطين المماليك بالنواحي الدينية ترفاً فكرياً، بل كان ينبع من تدين حقيقي التزم به سلاطين المماليك وأمرائهم، وكانت دوافعهم الدينية ورغبتهم في إعـلاء شـأن الـدين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أولوياتهم، خاصةً أن دولتهم رفعت راية الجهاد فـي سبيل ا وأخذت على عاتقها الذود عن هذا الدين وإظهار أمره.

ولذلك ليس من المستغرب أن نجد من السلاطين والأمراء من تبحر فـي علـوم الـدين والشريعة، وتصدر للإقراء والتدريس، بل ظهرت من أحوالهم ما يدل على علو هممهم، وصدق تدينهم[1]، ليس كما ادعى بعض الكتاب والمؤلفين، من أن الدوافع المادية من اقتصـاد ونفـوذ وسيطرة، هي المحرك الأساسي للسلاطين وأمراءهم للاهتمام بالنواحي الدينية[2].

وبما أنه لا يمكن إغفال العوامل المادية الأخرى، إلا أن الدوافع الدينية هي محور جميـع الدوافع حيث كان الدافع الديني هو الدافع الأكثر وضوحاً من بين الدوافع الأخرى، فقـد سـعى سلاطين المماليك بمساعدة العلماء والفقهاء، إلى إحياء الشرع وقمع البدع، وذلك من خلال إنشاء العديد من المؤسسات الدينية، وتوفير مصادر الدخل المغلة، متطلعين من وراء ذلك إلـى حفـظ الأمة من الانحراف من خلال تصحيح العقائد ومحاربة التشيع، وإحياء ودعم المذاهب السـنية، ولحماية دولتهم من التيارات الفكرية المنحرفة والمعادية للدين الإسلامي، كيف لا وقـد عـرف عصرهم بكثرة المحن، وانتشار الخلاف المذهبي، لذلك أرادوا إنشاء جيـل متسـلح بالإيمـان والجهاد[3].

وقد أدرك المماليك أن بلاد الشام، بحاجة إلى سياسة دينية خاصة، بحكم وجود القدس وما فيها من مقدسات، وبحكم وجود الخطر الصليبي والمغولي؛ لذلك كانت العناية الفائقة بالمقدسات وبناء المراكز والمجمعات الدينية الضخمة في القدس ودمشق وغيرها من مدن الشام

---

(1) ابن خلدون، العبر، ج1،ص779، 780.

(2) أنظر:عاشور ،العصر المماليكي، ص342-343.

(3) المقريزي،السلوك،ج2،ص32.ابن العماد، شذرات،ج6،ص204. أنظر: زكار، الموسوعة،ص589. فرغلي الحركة التاريخية،ص59. العريني، المماليك ، ص89 .

خاصة أن بلاد الشام شهدت الاستقطاب الكبير لعلماء المشرق الفارين من المغول، وعلماء المغرب والأندلس بعد حروب الاسترداد المسيحي[1].

ولذلك نظر بعضهم إلى المماليك كفاتحين للشام فقال الشاعر :

هلك الكفر في الشام جميعاً واستجد الإسلام بعد دحوضه[2]

فكان إحياء الدين بإحياء مؤسساته، مثلما فعل الظاهر بيبرس عندما أعاد افتتاح الجامع الأزهر ودعم الجامع الأموي، وأمر بالعمل بالمذاهب السنية الأربعة[3] .

"فالاهتمام بالعلم والأدب والعلوم الدينية خاصة، كان هدف المماليك، حتى أنهم فاقوا العصر الأيوبي في ذلك، ولذلك دفع التدين سلاطين المماليك، إلى نهضة علمية ودينية وعمرانية ضخمة لدعم الحياة الدينية"[4] .

وقد كان الاتجاه العام للدولة المملوكية، والمجتمع المصري والشامي آنذاك، اتجاها دينياً ولاقى هذا الاتجاه ترحيباً من جميع طبقات الشعب، فأسهم الجميع من سلاطين وأمراء وعلماء وتجار، وعامة الناس في إنشاء المساجد والخوانق والربط، وغيرها من المؤسسات الدينية، وأغدقوا عليها الأموال الطائلة تقرباً إلى ا ، وما كان ذالك ليتم لولا الإرادة القوية والأيمان الصادق، عند أولي الأمر من المماليك وتشجيعهم على ذلك[5]، الذين ضربوا أروع الأمثلة في صدقهم، فهاهو السلطان قطز في عين جالوت يبتهل ويتضرع إلى ا لنصرة المسلمين، وكان في تضرعه يحاكي تضرع رسول ا في بدر[6]، وكذا فعل السلطان الملك الظاهر بيبرس حين" يستجلب خواطر الرعية بالأفعال المرضية حتى قال فيه الشاعر :

---

(1) أنظر: زكار،كتاب فلسطين،ص532.

(2) ابن الوردي ، تاريخ،ج3، ص201. زكار، الموسوعة، ص589.

(3) ابن إياس،بدائع ج1،ص341. القدسي، دول ،ص34.

(4) أنظر: فرغلي،الحركة ،ص61.

(5) اليونيني، ذيل،ج3،ص59-60. اليافعي، مرآة،ج4 ، ص82. العليمي، الأنس،ج2،ص240-241. النعيمي ، الدارس، ج2 ، ص153.

(6) ابن تغري ، النجوم ،ج7 ، ص 79 .

"لم يبق للجور في أيامكم أثر   إلا الذي في عيون الغيد من حور"[1] .

ولهذا قرب بيبرس العلماء والقضاة والفقهاء، وجعل القرآن الكريم والحديث الشريف ركيزة التعليم والثقافة[2].

وهذا ما دفع مؤلف كتاب حياة الملك الظاهر، إلى القول :"ثبت عندنا أن بيبرس حاكم إسلامي يطبق أحكام الإسلام، ويحتكم إلى كتاب ا وسنة رسوله، صلى ا عليه وسلم ما استطاع إلى ذلك سبيلاً[3].

ومن الأدلة الواضحة على قوة الوازع الديني، عند أغلب سلاطين المماليك، اهتمامهم الجم بإنفاذ أوامر الشرع الحنيف، والتمسك به، ورفد مؤسساته بالمال والعمران، والرعاية فالعادل كتبغا[4] 694هـ / 1294، عمر الصخرة في القدس، بمال وفير وأوقف على المسجد الأقصى حوانيت وضياع[5] وكان المنصور قلاوون 687هـ/ 1289 م، قد سبقه في عمارة القدس ومقدساتها[6]، وعرف عنه الورع والتقوى ، وهو من باشر حفر قبر الملك السعيد ابن الظاهر بيبرس وعيونه دامعة والقرآن يتلى، والوعاظ يتكلمون بأحسن ما يملى ويكتب[7].

وقد مسح الناصر محمد[8]، 692هـ/1293م، الحرم المكي بيده وكنسه بنفسه وتواضع وتواضع هناك إلى الغاية، ودخل المدينة المنورة ماشياً حافياً وطاف ليلاً[9]، وهو من قوى الشام وأهله ودعمهم، أمام الصليبيين بمسامحتهم من جميع الضرائب، برغم حاجة الدولة

---

(1) ابن كثير،البداية،ج13،ص221. ابن إياس، بدائع، ص311.

(2) ابن كثير، ج13، ص306-307ابن تغري، النجوم،ج7 ،ص193قاسم،عصر المماليك،ص92.

(3) انظر: شبلي، ص407 .

(4) هو العادل كتبغا المنصوري من المماليك البحرية أصله تتري وكان شجاعاً دينا توفي في دمشق،ابن حجر، الدرر،ج2،ص334. ابن تغري،اللطافة،ج2،ص284. أنظر: الزركلي ،ج5،ص215.

(5) ابن إياس،بدائع ،ج1،ص311. علي ، القدس،ص29 .

(6) ابن إياس،بدائع ،ج1،ص 27 .

(7) الكاتب،الفضل المأثور،ص59 .

(8) هو الملك ناصر الدين الناصر محمد بن قلاوون تولى السلطنة ثلاث مرات ولد عام 698 هـ/1289م وتوفي عام 1309/741م وكان ملكاً عظيما دانت له البلاد والعباد ،ينظر :الكتبي ،فوات ، ج4ص35. ابن العماد:شذرات ،ج6،ص134.

(9) ابن إياس،بدائع ،ص450 .

المملوكية لضرائب الشام، وهذا من الاهتمام بالجهاد، ورفد سكان الشام بالمدد حتى يقفوا أمام الصليبيين[1].

وقام سلاطين المماليك، برفع درجة مدينة القدس الإدارية إلى نيابة، وعينوا نائباً عنهم في إدارتها الدينية والدنيوية، وكان من دأب أغلب سلاطين المماليك، الاهتمام بالقضاة والحكام في القدس، ومراقبتهم وعزلهم إذا تعسفوا بأهل القدس[2].

وحتى السلطان برقوق بلغ من تدينه محاربة الرشوة وأهلها، وإتباع الحق والسنة[3]، وشهد بعض المؤرخين للسلطان قايتباي المحمودي، بأنه دين عفيف الفرج لا يزني ولا يسكر، وله ورد من الليل صلاة وقيام، وعنده خضوع لأهل العلم والصلاح[4]، وكان وقافاً عند الشرع، الشرع، يمتحن العلماء، ويسألهم المسائل المحيرة[5] .

وكان من فقهه، يتدخل في الخلافات الفقهية، بين العلماء ويرجحها بنفسه[6]، ويعيب على على الشعراء مدحه، ويوجههم إلى مدح النبي صلى ا عليه وسلم، وكان له أوراد وتهجد، وعمارة ظاهرة في القدس ودعم فقراءها[7].

وبعد كل هذا العرض هل من شكك في صدق وإخلاص وتدين أغلب سلاطين المماليك وهل هناك دوافع أقوى من تلك الدوافع الدينية، بل إن باقي الدوافع المادية تتقازم أمام هذا الزخم الكبير للدوافع الدينية، برغم أننا لم نتطرق إلا لليسير من أخبار تدين السلاطين المماليك وآثارهم الجلية في ذلك، ويكفيهم فخراً وزلفى عند ا ، وقوفهم سداً منيعاً في وجه الغزو المغولي والتوسع الصليبي، فقد كانوا رأس الجهاد ومن المنافحين عن هذا الدين.

فجهادهم كان أكبر دليل على صدق دوافعهم الدينية، فمعركة عين جالوت جسدت ما كان

---

(1) القلقشندى،صبح ،ج5،ص342.إسماعيل، النظم ، ص324 .

(2) ابن حجر،الدرر،ج2،ص139. السخاوي، الضوء،ج2،ص113. أنظر:علي ، القدس،ص36-39 .

(3) الذهبي، تذكرة الحفاظ،ج1،ص116. أنظر:أحمد ، البذل ، ص99

(4) الكاتب ،الفضل المأثور، ص94 .

(5) المصدر نفسه،ص64 .

(6) الكاتب، الفضل المأثور، ص45 .

(7) المصدر نفسه،ص42.

عليه سلاطين المماليك وامرآءهم من الالتزام الديني، والرغبة الصادقة في نصرة الدين[1].

وكذا فعل الظاهر بيبرس، حين أسترد مناطق هامة من فلسطين والشام[2]، وقد تابع الأشرف خليل قلاوون ومن قبله أبيه سيف الدين قلاوون إنهاء الوجود الصليبي بإسقاط مملكة عكا عام 690هـ/1291م واستعادة صور وحيفا من مدن الساحل في بلاد الشام[3].

ومن الدوافع الأخرى المادية والتي في الغالب إرتكزت على الدوافع الدينية، الدوافع السياسية فالرغبة في تأصيل وإضفاء الشرعية على حكمهم كان هاجس المماليك الملح، لذلك سعى سلاطين المماليك لإحياء الخلافة العباسية، واستقبال الخليفة العباسي في القاهرة، والدعاء له في الخطب وتقديم اسمه في العملة، والمعاملات الرسمية على اسم السلطان المملوكي،الحاكم الفعلي في الدولة[4].

وبرغم أن بعض المؤلفين المعاصرين، قد عزوا إحياء الخلافة لأسباب مادية بحتة تتعلق بشرعية المماليك، إلا أن الشواهد لا تؤيد تلك الآراء على الإطلاق، فقد كانت الدولة المملوكية الفتية وارثة الخلافة العباسية المنهارة أمام المغول، وحملها لراية الجهاد جعل منها حامية للإسلام والمسلمين والخلافة الإسلامية[5] .

وقد سعى المماليك لتثبيت حكمهم سياسياً، من خلال العديد من الإجراءات مثل إقامة المؤسسات الدينية، التي تتبع لسياسة الدولة وتنفذ برامجها وأهدافها، لذلك اعتنوا أيما اعتناء بإحياء العلوم والمعارف الدينية، ودعم العلماء والفقهاء[6].

وكانت سياسة المماليك في تعاملها مع الدول الإسلامية المحيطة بها واضحة، حيث أظهرت الدولة المملوكية تعاطفها غير مرة مع المسلمين[7] .

---

(1) ابن كثير،البداية، ج13 ، ص248.الذهبي، العبر، ج5 ، ص252. ابن الأثير، الكامل في التاريخ،ج10 ، ص246.

(2) ابن كثير ،البداية ،ج13 ص276.ابن تغري ،اللطافة،ج2،ص33.ابن حجر،الدرر،ج1،ص503.

(3) ابن كثير ،البداية ،ج13،ص356 .الحموي،معجم،ج1، ص106. ابن تغري، النجوم ، ج ، ص 26 -27.

(4) ابن إياس،بدائع ،ج1ص312- 313. ابن كثير ، البداية ، ج13 ، ص266 .

(5) المالكي، توضيح ، ج1ص16 .

(6) المصدر السابق ، ج1ص16.

(7) أنظر:حجة،مواقف، ص33 .

وكان ظهور المماليك بمظهر الحامي والمدافع عن الوطن والشريعة، يدفع الجماهير والعلماء والصلحاء إلى الولاء لهم، والالتفاف حول رايتهم، وبذلك يكونوا قد اكتسبوا دعم واعتراف لا محدود بشرعيتهم كونهم مماليك[1] .

ولذلك كان الدعم كبيراً للعلماء والفقهاء مادياً ومعنوياً، لإدراك المماليك مدى تأثيرهم على العامة، وتأثيرهم في المدى البعيد على طلابهم، الذين سيصبحون موظفين، وقادة في الدولة ينفذوا سياستها[2].

ومن الدوافع الأخرى الدوافع الاقتصادية، فقد أسهم الرخاء الاقتصادي لدولة المماليك في نهضة دينية، وحركة عمرانية دينية ضخمة، فالمدارس المملوكية في الشام ومصر، وغيرها من مؤسسات دينية، كان هدف المماليك من وراءها تثبيت دعائم الحكم المملوكي ومحاربة ذيول التشيع، والمخالفين للمماليك من المتمردين على السياسة المملوكية، من بقايا الأيوبيين والفاطميين والشيعة وغيرهم، لذلك سعى المماليك لزيادة عدد المدارس والمؤسسات الدينية، وأوقفوا عليها الأوقاف المغلة الكثيرة، وزخرت مدنهم بالمدارس المشهورة، وحتى القرى كان لها نصيب وافر من المدارس والمؤسسات الدينية الأخرى[3].

وقد بلغت المدارس في مصر والشام المئات وفي القدس وحدها زهاء الأربعين مدرسة[4]، ومن جملة الدوافع الاقتصادية، وجود الأوقاف الضخمة التي يديرها الفقهاء والعلماء، والعلماء، والتي شكلت منظومة اقتصادية لدعم المجتمع المملوكي، وقامت بعبئ إغاثة جماهير عريضة من الفقراء، والمعوزين، وشكلت دعامة رئيسية في دعم الدولة المملوكية، إثناء جهادها ضد التتار والصليبيين[5] .

وقد ذكرت بعض المصادر ، لجوء السلاطين لأموال الأوقاف في كثير من الأحداث التي ألمت بالدولة المملوكية[6] وكان ذلك غالباً يحدث نتيجة كثرة الحروب والحملات العسكرية حيث ذكر صاحب كتاب البدائع، أن السلطان قايتباي قد أنفق كل خزينة الدولة على الحروب

---

(1) أنظر: عاشور،العصر المماليكي، ص343 .

(2) المالكي ،توضيح ، ج1، ص17 .

(3) النعيمي،الدارس،ج2،ص34.المالكي،توضيح ،ج1، ص18. عاشور، العصر المماليكي، ص344 .

(4) العليمي،الأنس،ج2ص33_40 .بدران ،منادمة،ص342.

(5) ابن إياس،بدائع ج3،ص337 .

(6) ابن إياس، بدائع ،ج3،ص261،262. عبد التواب، قيتباي المحمودي، ص49 .

والحملات العسكرية ، حتى عجز عن الإنفاق على مماليكه، وأراد عزل نفسه لولا تدخل الفقهاء والقضاة[1].

ومن الدوافع الأخرى للاهتمام بالدوافع الدينية، الدوافع العلمية حيث ظهرت رغبة بعض السلاطين بالتعلم والتفقه، فمنهم من اشتغل بتحصيل شيء من أنواع العلوم الشرعية، من فقه وتفسير وحديث، ونحو وأصول وتاريخ وعلوم وتصوف، "فيصبح عالماً مشاركاً في كثير من العلوم، مباحثاً مناظراً مع أهل تلك الفنون"[2] .

وعرف من الدوافع التي أدت إلى الاهتمام بالنواحي الدينية ، الدوافع الاجتماعية حيث سعى سلاطين المماليك، بمساندة العلماء والفقهاء إلى العناية بإحياء الشرع، وقمع البدع، وإرجاع الناس إلى جادة الصواب، وحفظهم من الانحراف عن الدين، وتصحيح عقائدهم وجمعهم على المذهب السني[3]، ويرى الباحث ان ذلك حتى يكونوا بمنأى عن التشيع والتيارات الفكرية المخالفة للمذهب السني، لذلك سعوا إلى إعداد جيل مؤمن قوي، متحصن ضد التيارات الفكرية التي تعصف بزمانهم، يضاف إلى ذلك حاجة الناس في ظل ظروف اجتماعية واقتصادية وسياسية عسكرية قاسية، خاصة في الشام في مواجهة الخطرين الصليبي والمغولي، حاجتهم إلى تثقيف ديني وتعبئة جهادية.

ولهذا انتشر ما يعرف بالرباط[4]، على ثغور الشام[5]، وكان إحساس الناس أن ما حل بهم من احتلال وحروب ما كان ليوجد لولا بعدهم عن الدين، ولذالك نشطت الحركة الدينية من خلال دعم الجهاد والتصوف، وبناء زواياه لبث روح الزهد والعزوف عن الدنيا، لحمل العامة في الشام على الجهاد، والدفاع عن المقدسات، فقد كانت الشام بحاجة إلى دعم مادي ومعنوي كبير، أمام "الكفار الفرنج المعتدين، وإلا فجيوشهم كثيرة كالجراد، وأموالهم كالأمطار لكثرتها ، فأقام ا هذه الطائفة القليلة المؤيدة المنصورة -يقصد المماليك-، في وجوه المعتدين،

---

(1) ابن إياس،بدائع،ج3،ص261،262 .

(2) القدسي ، دول،ص105 .

(3) المصدر نفسه ، ص 108 .

(4) أنظر تعريف الرباط في الفصل الرابع من نفس الرسالةص151.

(5) أنظر: عبد المهدي، الحركة ، ص75

ففي قلوبهم من ديار الإسلام حسرات، وفي نفوسهم زفرات، -يقصد الصليبيين والتتار- خصوصاً في القدس وما والاها من البقاع المباركات"[1] .

ومن الدوافع الأخرى للاهتمام بالنواحي الدينية، الدوافع الخاصة ببعض الأمراء وكبار الموظفين في الدولة وبعض الأغنياء، الذين أسهموا في بناء العديد من المؤسسات الدينية كالربط والخانقاوات والأسبلة والترب وغيرها، وأوقفوها على أولادهم أو أقاربهم خوفاً من عادية السلطان، والمصادرات التي يقوم بها مماليك السلطان أثناء الصراع على السلطة؛ لكون الأوقاف في الغالب في منأى عن المصادرات، و لصاحب كتاب دول الإسلام الشريفة البهية، رأي رائع في ذلك ، إذ عزى أن أغلب المصادرات كانت تقع على " لئام الناس ومناحيسهم الذين علم ا منهم، أنهم لو تمكنوا في الأرض، فعلوا كل مكروه من الظلم والفساد وإضرار العباد "[2] .

وكان هناك جملة من الدوافع الشخصية والخاصة، للاهتمام بالنواحي الدينية والتي حملت أصحابها على إنشاء المؤسسات الدينية، من خانقاوات وربط ومدارس وأسبله ومساجد وزوايا وغيره[3]، بدافع حب الظهور وتخليد الذكر والمباهاة والتفاخر، إلا أن هذه النماذج كانت قليلة وهامشية أمام صدق وإخلاص جماهير عريضة، من المجتمع المملوكي في الشام ومصر[4].

ومن الدوافع الهامة لعناية السلاطين بالنواحي الدينية، العوامل العسكرية، فقد كان النظام العسكري قائم على فكرة ،الجهاد وطاعة أولي الأمر، وقد ربى السلاطين مماليكهم تربية دينية عسكرية فيما يعرف بالطباق[5]، فبالإضافة لتعليمهم الفروسية، كانوا يتعلمون العربية والفقه والأذكار، ولا يختلطون بالعامة خوفاً عليهم من التأثر والانحراف، وسموا بعد ذلك بأولاد الناس[6].

---

(1) القدسي، دول، ص120 .

(2) المصدر نفسه، ص125 .

(3) ابن كثير، البداية، ج13ص 351. ابن تغري بردي، النجوم، ج6، ص54. النعيمي، الدارس، ج1، ص15، 49، 84، 119 .

(4) النعيمي، الدارس، ج1، ص125.

(5) الطباق: هو مكان سكنى المماليك الجدد، غالباً يكون في القلعة، به يتعلم المماليك علوم الدين والأخلاق والفروسية،ثم يخرج منه المماليك بعد سنين لخدمة السلطان، ابن تغري، النجوم الزاهرة، ج9، ص53. الجبرتي، عجائب الأثار، ج3، ص151

(6) ابن حجر،الدرر،ج2،ص33.السخاوي،الضوء،ج1،ص479.عبد التواب، قيتباي،ص117.

وأكدت المصادر أن أحد دوافع المماليك للاهتمام بالنواحي الدينية، كان الدافع الإعلامي حيث كان المسجد والخطباء على المنابر، عبارة عن محطات بث إعلامية، لأوامر الدولة والسلطان، والإعلان عن تولية الحكم، وعزل الأمراء وتولية النواب، وكل أمر ألم بشؤون الدولة والمجتمع، ومن ذلك أنه عندما يولى السلطان يخطب الخطيب باسم السلطان في حضور نائب السلطنة والقضاة والدولة[1] .

ومن الملاحظ أن الناحية الإعلامية، حظيت باهتمام كبير جداً عند المماليك، لذلك حرص المماليك على تولية خطباء المساجد الكبيرة في مصر والشام من الموالين لسياستهم ومن يسير في ركابهم، فعند إعلان الفرمانات السلطانية على منابر المساجد يوم الجمعة، يذكر ابن كثير أنه تم فرض الضرائب، وغيرها من أمور في الخطبة في جامع دمشق-يقصد الجامع الأموي[2].

وكذلك لم يكن ليتولى أحد الإداريين أو أرباب الوظائف الدينية منصبه، الا بعد أن يتم إعلان ذلك على الناس في المساجد، وقد عين قاضي القضاة تقي الدين السبكي، في منصب قضاء الشام وقد قرأ مرسوم تعيينه على المنبر[3] .

ونلاحظ مما سبق أن المؤسسات الدينية، لعبت دوراً إعلامياً خطيراً، في تثبيت أركان الدولة المملوكية، وبث ونشر رواية الدولة عن الأحداث المتلاحقة خاصة أن أغلب جماهير الأمة تستمع للخطباء يوم الجمعة، فهي السبيل الوحيد ، لنقل أخبار السلطان وأوامره وأخبار إنتصاراته إليهم .

ومما لا شك فيه أن فترة الاستقرار التي مرت بالدولة المملوكية، من سلام وأمن ورخاء اقتصادي، كان دافعاً قوياً لدعم النواحي الدينية[4]، فقد عاشت الدولة المملوكية، فترات استقرار، مكنتها من الاهتمام بالنواحي الدينية، ودعم العلم والعلماء وبناء المؤسسات الدينية بأنواعها، فأصبحت تلك البلاد ملاذ الآمنين، تتوجه إليها العقول والقلوب قبل الأبدان لينهلوا من علومها ومعارفها.

---

(1) ابن كثير ، البداية ، ج14 ، ص269 –270 .

(2) ابن كثير ، البداية ، ج14 ، ص364 .

(3) ابن كثير،البداية،ج13، ص270 .

(4) المصدر نفسه،ج13، ص276. الحجي ،صور، ص135.

ومن جانب آخر، يمكن القول أن رغبة المماليك في التقرب إلى الشعب كانت من الدوافع الهامة لدعم النواحي الدينية والتعليمية، لذلك حرصوا على التقرب للشعب، بكافة طبقاته "فأوجدت المساجد لأهل الدين، والمدارس لطالبي العلم والتعليم، والأربطة والزوايا للفقراء والمحتاجين والزهاد، والخانقاوات للصوفية المتعبدين، وبالنتيجة زادت أوقاف العصر زيادة كبيره إستلزمها الإنفاق على هذه المراكز والمؤسسات الدينية "[1] .

وقد شارك في تدعيم هذه الرابطة الدينية مع الشعب، السلاطين والأمراء وزوجات السلاطين على حد سواء وحسب إمكاناتهم المالية[2]، وبذلك يثبت أن الدوافع الحقيقية مرجعها أصلاً إلى تدين معظم الطبقة الحاكمة، ورغبتها في التقرب ، وهذا ما يدل عليه ما رصدوه من أموال ودور وأراضي هائلة، لضمان استمرار الحياة الدينية، على أكمل وجه[3].

وبذلك ومن خلال استعراض دوافع المماليك، كسلاطين وطبقة حاكمة، ندرك مدى العناية والإخلاص في التدين، الذي تمكن من قلوب أغلبهم، حتى ترجموه إلى واقع ديني عظيم، القى بظلاله على مسيرة الإسلام في ذلك العصر، لذا أسهم المماليك في نهضة دينية علمية عريقة سوف نتعرف على تلك النهضة الدينية العلمية، من خلال المبحث القادم إسهامات وجهود السلاطين المماليك في الحياة الدينية.

---

(1) ابن كثير، البداية، ج13ص 351. ابن تغري بردي، النجوم، ج6، ص54. النعيمي، الدارس، ج1، ص15، 49، 84، 119 .

(2) أنظر، حجي، صور، ص135 .

(3) المقريزي،السلوك، ج6، ص342 .

المبحث الثالث

إسهامات وجهود سلاطين المماليك في دعم النواحي الدينية

أسهم سلاطين المماليك وامرآءهم في دعم النواحي الدينية بشكل كبير، وليس أدل على ذلك من هذا التراث الديني والعلمي الضخم الذي ورثناه عن المماليك، وما التطور الحاصل اليوم في النواحي الدينية والأدبية والعلمية، إلا نتاج هذا الموروث الغزير الذي أفاضته علينا المؤسسات والعمائر الدينية المملوكية الماثلة أمامنا اليوم، والتي ضمت في جنباتها العلماء الأفذاذ والمؤلفات القيمة في شتى صنوف العلم، والتي زخرت بها المكتبة العربية اليوم، حتى دفع ذلك بعض المؤرخين، للقول أن الدولة المملوكية فاقت الدولة الأيوبية في هذا المجال كثيراً[1].

وبالطبع هذا لم يتم إلا بجهود السلاطين المخلصين من المماليك وأمراءهم، وبفضل سياستهم الدينية الحكيمة، وصدق نواياهم الدينية، وساعدهم الرخاء الاقتصادي الذي عاشوا فيه لتأسيس حياة دينية زاهرة، بإنشاء المؤسسات الدينية، والقيام بنهضة دينية راسخة، عمادها احترام العلماء ودعمهم مادياً ومعنوياً، والدليل على إسهامات المماليك في النواحي الدينية، كثرة المؤسسات الدينية من مدارس ومساجد وغيرها[2] .

ومن سلاطين المماليك الذين اهتموا وشجعوا العلم الملك الظاهر ركن الدين أبو الفتح بيبرس البندقداري، [3] ومن شدة اهتمامه بالعلم أنه كان يقرب إليه النابغين في كل علم وفن، وكان يميل إلى التاريخ وأهله ميلاً شديداً ويقول: "سماع التاريخ أعظم من التجارب"[4] وكان يحب العلماء ويقدرهم ويشجعهم، ويقوم بزيارتهم، وخير دليل على ذلك زيارته للإمام العالم ابـن حياة[5]في بيته بحمص، وكان ابن حياة قد تولى القضاء ببيت المقدس[6].

---

(1) ابن كثير، البداية ،ج13 ص306. عاشور،العصر المماليكي،ص342. فرغلي،الحركة التاريخية،ص61 .

(2) أنظر:النعيمي، ج1، ص3ـ354. زكار،الموسوعة،ص585 .

(3) أبو شامة، تراجم، ص210. النويري، نهاية، ج30، ص13. الكتبي، فوات، ج1، ص237. ابن كثير، البداية ،ج13 ، ص251. ابن تغري بردي ، النجوم ، ج7 ص86-222.

(4) ابن تغري بردي ، النجوم،ج7، ص162. طقوش، تاريخ المماليك ، ص158.

(5) ابن حياة: الإمام العالم الفقيه القاضي تقي الدين محمد بن حياة بن يحيى الرقي الشافعي ولاه الملك الظاهر قضاء حمص ، توفي سنة 676هـ/1277م ، انظر: الذهبي ، سير ، ج17 ، ص313.

(6) الذهبي ، سير، ج17 ، ص313. ابن الفرات ، تاريخ، ج7 ، ص112-113.

وكان الملك الظاهر شهماً شجاعاً مقداماً صبوراً، له فتوحات كثيرة في بلاد الشام[1] وعندما سار إلى بيت المقدس سنة 661هـ/1262م، لتفقد أحواله خصص في كل سنة خمس آلاف درهم للمسجد الأقصى للعمل على تسيير أموره العمرانية والفكرية، كما نظر في الأوقاف وكتب بحمايتها[2].

ومن الطبيعي أن يكون قرار الملك الظاهر بتوفير هذا الدعم المالي للمسجد الأقصى إشارة واضحة لاهتمامه بتحسين وتفعيل النشاط العلمي والحركة الفكرية ببيت المقدس وغيرها من المدن الأخرى، وظل الملك الظاهر مجاهداً معطاء داعماً للدين وأهله حتى وفاته بدمشق سنة 676هـ/1277م[3].

فعهد الظاهر بيبرس شهد أعظم الإسهامات في النواحي الدينية، خصوصاً في الشام حيث ذكر صاحب كتاب النجوم الزاهرة أن الظاهر بيبرس عمر مساجد، وربط ومؤسسات دينية في مصر والشام، فاق ما عمره سلاطين الأيوبيين والمماليك قاطبة[4].

فكثرة المساجد التي بنيت في عهده في الشام وحدها عجز عن إحصائها ابن تغري بردي وقال"وعمر جوامع ومساجد بالساحل يطول الشرح في ذكرها وحذفتها خوف الإطالة"[5].

وقد أسهم السلطان المنصور قلاوون، بكثير من أعمال البر في الشام ، حيث جهاده العظيم، وتحريره للقلاع والمدن الشامية، التي كانت بيد الصليبيين، واعماره للمشافي والمساجد وغيرها من مؤسسات، وإبطاله لكثير من العادات السيئة والمغارم التي لحقت بالناس من القوانين

---

(1) ابن عبد الظاهر، الروض، ص280-281. ابن كثير، البداية، ج13، ص306. ابن تغري بردي ، النجوم ، ج7 ، ص167. عن فتوحات الملك الظاهر ، انظر: القلقشندى ، صبح ، ج3 ، ص43-431.

(2) ابن شداد الحلبي، الأعلاق، ج2 ، ق2 ، ص237. المقريزي ، السلوك، ج1 ، ص556. عبد المهدي، الحركة الفكرية ، ص71.

(3) ابن شداد الحلبي، الأعلاق، ج2 ، ق2 ، ص137. أبو الفداء، المختصر، ج2، ص342. الذهبي، العبر، ج3 ، ص33.ابن كثير، البداية، ج13، ص305. ابن العماد، شذرات، ج6 ، ص3. بنى الملك الظاهر جوامع كثيرة ومساجد عديدة، وجدد ببيت المقدس قبة السلسلة ، ورمم سقف الصخرة وجدد جامع الرملة، وبدمشق المدرسة الظاهرية، وجدد قبر الخليل عليه السلام ،انظر: ابن كثير ، البداية ، ج13 ، ص307. القلقشندى، صبح ، ج3 ، ص431. المقريزي ، المواعظ، ج2 ، ص378. ابن تغري بردي النجوم ، ج7، ص109. النعيمي ، الدارس ، ج1 ، ص264.

(4) ابن تغري،ج7،ص197. ابن إياس،بدائع،ج1،ص340_341. فرغلي،الحركة التاريخية،ص64.

(5) ابن تغري ،النجوم الزاهرة ،ج7،ص197،إسماعيل، النظم المالية،ص 121 .

الظالمة[1]، ومن إسهامات ابنه الأشرف خليل قلاوون تحرير بلاد الشام وفلسطين من أيدي الصليبيين وإعادة الوجه الإسلامي لتلك الديار[2].

وفي عهد الناصر محمد ذكر ابن إياس أن العمائر الدينية في مصر والشام قد زادت في عهده إلى النصف من جوامع وخوانق وغيرها، وهو من إستن التذكير يوم الجمعة على المآذن لتستعد الناس للصلاة، وكان يزور القدس والخليل مراراً، وبنى في الشام الكثير من الجوامع والخوانق وغيرها، ناهيك عن جهاده العظيم ضد التتار، وحماية بيضة الإسلام وثغور الشام ردحاً من الزمن[3].

ومن إسهامات سلاطين المماليك في دعم النواحي الدينية، اهتمامهم بالعلماء فقد كان العلماء والفقهاء هم سادة الدولة الحقيقيين، وكانت مرتبتهم تضاهي مرتبة الأمراء، بل تزيد لأنهم هم أصحاب النفوذ المباشر على العامة، فبلغ من اهتمام سلاطين المماليك بالعلماء، أن زادوا في أعطياتهم حتى بلغ مرتب بعضهم يوميا دينارين[4] .

وكانت فئة العلماء والفقهاء تسمى فئة المتعممين، وهي أعلى وأرقى طبقة في العصر المملوكي، وقد ولاهم السلاطين النواحي الثقافية والعلمية والدينية، اعترافاً بفضلهم وخطورة مرتبتهم ودورهم في حياة الدولة والمجتمع، وكان بيدهم الوظائف الدينية والعلمية والديوانية[5].

لهذا بنى سلاطين المماليك لهم ما يعرف بالمجمعات الدينية الضخمة، في المدن الكبرى كالقدس ودمشق، وغيرها من المدن المملوكية آنذاك[6].

وكان السلاطين يحترمون العلماء، ويوقروهم وينزلون عند آراءهم، ولا يقضون الأمور المهمة إلا في حضرتهم، مما كان له أكبر الأثر في قيام العلماء بدور مهم في تلك الفترة، فلولا

---

(1) الكاتب، الفضل المأثور ، ص170-172. ابن إياس، بدائع ،ج1 ص363 .

(2) ابن إياس ، بدائع ، ج1 ، ص393.

(3) المصدر نفسه ، ج1 ، ص 481- 483.

(4) ابن تغري،النجوم،ج15،ص295. فرغلي ، الحركة التاريخية ، ص57

(5)ابن تغري، النجوم، ج15، ص556. ابن العماد، شذرات، ج8، ص7. المحبي، خلاصةالأثر، ج3، ص187. الشوكاني، البدر الطالع، ج1، ص164. إسماعيل، النظم المالية، ص280.

(6) أنظر:علي، المماليك، ص 164 .

رعاية السلاطين للعلم وأهله، وتشجيعهم للنواحي الدينية وإسهاماتهم الواضحة في ذلك، لما أصبح للدين مكان في مجتمع تتجاذبه رياح التعصب، والفرق الهدامة والغزو الفكري.

وكان من إسهامات المماليك أن جعلوا الوظائف الدينية، تنافس في عددها الوظائف الأخرى في الدولة، فقد ذكرالإمام السبكي ، ما يزيد على العشرين وظيفة كلها للمتعممين[1].

ومن الجهود الدينية الواضحة لسلاطين المماليك، اهتمامهم بالمنشئات الدينية والعمائر الإسلامية ،من تمهيد لطرق الحج وإصلاح مواطن مناسكه،وإعلاء شأنه[2].

ومن الإسهامات في النواحي الدينية، اهتمامهم بحضور مجالس العلم، وتحصيل الإجازات فيه، ناهيك عن إقامة المراسم الدينية لكثير من المناسبات، كإقامة المواكب والزينات إحتفاء بمقدم عام هجري جديد، أو استقبال رمضان وإحياء لياليه أو أحتفالات توديع الحجاج واستقبال مبشر الحاج عند عودتهم [3].

وقد ذكر المقريزي بعض المناسبات التي حرص السلاطين على إحيائها إسهاماً منهم لدعم النواحي الدينية، وغرس معاني تلك المناسبات في نفوس العامة والخاصة، لتأكيد إسلامية الدولة وطابعها الديني، مثل إحياء المولد النبوي الشريف ورمضان والأعياد الدينية وإغداق الأموال على القراء لقراءة القرآن في تلك المناسبات، وحرصهم الشديد على إظهار اهتمامهم الكبير بالمظاهر الدينية أمام العامة[4].

ومن جهود سلاطين المماليك اهتمامهم الشديد بالوقف الإسلامي، حيث بلغت الأوقاف المحبوسة على المدارس والمساجد والتعليم في عهد الناصر محمد مائة وثلاثين ألف فدان في الشام وحدها، وحرص المماليك على تنوع مصادر الوقف حتى يبقى رافداً قوياً يعزز وجود المؤسسات الدينية بأنواعها؛ لذلك حرصوا على الإكثار من وقف الحوانيت والمزارع والطواحين

---

(1) معيد النعم ، ص 105-126.ابن تغري،النجوم الزاهرة،ج14 ،173،وج16،ص77.

(2) ابن حجر، أنباء الغمر، ج1،ص137. زكار ، الموسوعة ، ص587.

(3) المقريزي، السلوك، ج5، ص409. الجبرتي،عجائب الاثار،ج2،ص234.عز الدين، التاريخ والمنهج، ص57.علي، المماليك، ص152.

(4) السلوك ، ج5 ، ص409. عبد المنعم ، المجتمع ، ص28-35 .

والخانات والأموال والضياع وغيرها تقرباً ، وحذا حذوهم نساءهم والأمراء والأعيان والتجار وغيرهم، ففي عصر الناصر قلاوون بلغت الأوقاف في الشام ألف ألف دينار[1].

ومن أشهر الأموال والأوقاف المبذولة، كانت تلك الأموال التي تصرف على المساجد وبنائها، وما يقوم به أمرها، وكانت هذه المساجد في الغالب تبنيها الدولة، ومنها من يبنيه الفقهاء وكبار رجال الدولة والأعيان، وكان رصد الأوقاف عند بناء المساجد أمراً مهماً للإنفاق عليها لتستمر في رسالتها[2].

لذا أدرك سلاطين المماليك أهمية المسجد، ودوره الهام في بناء صرح الحياة الدينية والتعليمية في العصر المملوكي، وهذا ما يفسر اهتمامهم بالنواحي الدينية وإسهامهم فيها[3].

ومن الأدلة على إسهامات سلاطين المماليك وأمراءهم في النواحي الدينية، كثرة الاهتمام ببناء الزوايا والربط وخاصة في الشام، وكذلك الأسبلة والترب، كما ذكرنا سابقاً وغيرها من مؤسسات تخدم الجانب الديني، وتقربهم إلى ا زلفى، وقد كثرت تلك العمائر الدينية حتى فاقت كل العصور الإسلامية السابقة في عددها، وما زال بعضها يؤدي دورها الديني إلى الآن[4].

ولا ننسى الاهتمام الكبير في نشر الدين الإسلامي من خلال الاهتمام بالعلوم الدينية ونشر المعرفة والعلم الشريف، حيث كثرت المؤلفات في عهد المماليك وكثرت المجامع العلمية وأمهات الكتب، وظهرت حلق العلم في كل مسجد ومدرسة ورباط وزاوية وحرص السلاطين وأمرائهم على حضور تلك الحلق والتأدب عليها، وقد بلغ عدد المساجد والمؤسسات الدينية في عهد السلطان الناصر محمد "أكثر من أن تحصى، وأعز من أن تستقصى[5].

---

(1) الكاتب، الفضل المأثور ،ص168 . الحجي ، صور،ص 132 .اسماعيل ،النظم المالية ،ص272 .

(2) المقريزي، الخطط ج2 ، ص 409 .

(3) ابن خلدون، مقدمة ، ص219-220 ، ص349-350. حسن ، تاريخ الإسلام ، ج4 ، ص421-422. الحجي، صور، ص146 .

(4) ابن تغري، النجوم الزاهرة ،ج7 ص167 . أنظر:منصور ، العقائد الدينية، ص31.

(5) المصدر نفسه ،ج7 ص167 ، عاشور ، مصر في العصور الوسطى ، ص393-394.

ويكفينا إسهاما من سلاطين المماليك، حضورهم وإسهامهم شخصياً عند افتتاح المؤسسات الدينية، أو حضور المناسبات الدينية، وجلسات الذكر والسماع الصوفي، وجلسات القضاء، واجتماعات الفقهاء والعلماء، والمشاركة فيها[1] .

ومما لاشك فيه أن توجه مئات العلماء والفقهاء، من مختلف أرجاء المعمورة إلى مصر والشام، ما كان إلا لتشجيع السلاطين والأمراء المماليك لهم، وتعميق المماليك للروابط معهم وجعلهم في علية القوم[2].

وبرز من اهتمامات المماليك الدينية، اهتمامهم بالمجتمع في مصر والشام على حد سواء، وذلك بحرصهم على تعليم المجتمع، وبث روح التدين فيه، لذلك حرص سلاطين المماليك على اختيار المدرسين بأنفسهم[3].

وكذلك بلغ من اهتمام المماليك بتثقيف المجتمع الشيء الكثير، حيث الاهتمام بالتلاميذ وتعليمهم، وصرف الرواتب والأعطيات وتوفير الطعام والمسكن لهم[4].

وقد ذكر ابن طولون عن عناية المماليك ببناء مكاتب السبيل لأيتام المسلمين، وحرص السلاطين على الإشراف عليها بأنفسهم، من أجل تربية أيتام المسلمين تربية إسلامية صالحة، كسباً للأجر والثواب[5].

وبذلك كان العصر المملوكي عصر ازدهار علمي ونهضة فكرية ودينية عظيمة، وما كان ذلك ليتم لولا تعظيم كثير من سلاطين المماليك وأمراءهم للعلم وأهله، إلى جانب ما ارتبط بسياسة المماليك في الحكم، حيث تميز عصرهم بالغنى والثروات الضخمة والإسهام الكبير في نصرة الدين ورفعته[6].

---

(1) ابن طولون ، مفاكهة ،ص 267 .عبد المنعم ، المجتمع، ص 28 ، الحجي ، صور ، ص145 .

(2) زكار، الموسوعة ، ص585 ، الحجي ، صور ، ص 148.

(3) ابن إياس، بدائع ، ج2 ، ص 42 -95 . ابن كثير، البداية، ج13ص 351. النعيمي، الدارس، ج2، ص236. الحجي ،صور من الحضارة،ص188.

(4) ابن إياس ، بدائع ،ج2ص93. أمين، الأوقاف، ص242 وكذلك ص263.

(5) مفاكهة،ص245. الحجي ، صور ، ص 153 .

(6) الجبرتي،عجائب الأثارج2،ص248.علي ، القدس ، ص 169 . الحجي ، صور ، ص 193 .

ومن إسهامات سلاطين المماليك حرصهم الشديد على تتبع ومراقبة الفقهاء والعلماء والمدرسين، وعقد الامتحانات والاختبارات لهم حتى يجيزوهم في مناصبهم وذلك لإدراكهم أن من يتولى تلك المناصب، يجب أن يكون على قدر المسؤولية، فقد ذكر أن السلطان قانصوه الغوري سنة 913هـ /1508م، عقد امتحان لخطباء وفقهاء مصر والشام من كبار الفقهاء واختبر عشرة منهم ولم يجز منهم إلا القليل[1].

وكان السلطان قانصوه الغوري يحكم بين الفقهاء فيما شجر بينهم من مسائل الفقه، فقد عاب تأثر العلماء بهوى أنفسهم فقال " كيف تكون الأحكام الشرعية حظوظ وضغائن " وكأنه كره أن يمتزج الحكم الإسلامي الشرعي بهوى النفس وهذا من التدين والتثبت في الفتوى[2] .

وهو من أصدر في زمانه مرسوم شريف بعدم التعرض والبيع للوقف الإسلامي[3]وكان يعقد المناظرات والمجادلات العلمية بين المذاهب الأربعة، في مخيم خاص يجتمع به فقهاء الشام ومصر وسائر البلاد يتناقشون أمر الدين،[4]أشبه بالمؤتمرات العلمية والدينية اليوم، وفي زيارته زيارته للشام وزع على المؤذنين والخطباء والأئمة مالاً جزيلاً[5].

وبذلك نرى الإسهام الكبير واللا محدود للسلاطين في دعم النواحي الدينية ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا، وقد حرصوا على دعم النواحي الدينية، ليس بالمال فقط، بل في تنظيم ومراقبة من يتصدى لتدريس العامة ووعظهم، واجتهدوا في تصويب المسيرة الدينية لدولتهم من خلال تصويب أوضاع الفقهاء ومراقبتهم، كي يمثلوا الدين الإسلامي أحسن تمثيل، لذلك حاسبوا من أخطأ منهم، حساباً عسيراً وعزلوه، مثل ما فعل الظاهر برقوق781هـ/1382م عندما حبس وعزل أحد الفقهاء وكان مقيماً بالقدس يفعل المنكرات[6].

ومن الإسهامات الجليلة لسلاطين المماليك، أنهم جعلوا للفقهاء والعلماء نصيباً في المشورة واتخاذ الرأي، فلم تحدث حادثة أو ألم كرب بالأمة، إلا لجأ السلاطين للفقهاء والعلماء

---

(1) ابن طولون، مفاكهة، ص262-263. ابن كثير، البداية، ج13ص 351. النعيمي، الدارس، ج2، ص236.

(2) ابن طولون، مفاكهة ،ص 267 ابن العماد،شذرات الذهب،ج4،ص65.

(3)ابن طولون، مفاكهة ، ص282 .

(4) ابن طولون، مفاكهة ، ص329 .

(5) ابن كثير، البداية، ج14، ص342.

(6) ابن العماد، شذرات، ج7، ص63 .

لأخذ مشورتهم، وطلب فتواهم لعلمهم مدى تأثير العلماء على الناس والمجتمع ككل، فقد أشار صاحب كتاب البدائع أن السلطان قطز، استشار العلماء والفقهاء في أمر التتار والخروج إليهم وحاجته إلى جمع الأموال لملاقاتهم، فأشار عليه العز بن عبد السلام بأن يجمع الأموال من الأغنياء والتجار بعد نفاذ بيت المال[1].

وكان المنصور قلاوون يركب كل يوم ومعه المشايخ والعلماء والفقهاء، ويصعد معهم إلى تل يعقد الرأي والمشورة،[2]وهذا قمة التواضع والتقدير للعلماء والفقهاء، لا يقوم به إلا سلطان تمكن الإيمان من قلبه.

وكان الأشرف قايتباي يكثر من مجالسة الفقهاء، لأخذ رأيهم في ما يستجد من أحداث وكان يدلي برأيه فلا يأخذ الفقهاء به، ويقابل ذلك بصدر رحب،[3] وبالتأكيد يدل ذلك على مدى الحرية، وسيادة ثقافة احترام العلم وأهله، واحترام الرأي الآخر، دون عسف ومصادرة للآراء.

ولما اشتد بالناس الطاعون استفتى السلطان قايتباي العلماء في نازلة الطاعون، فأشاروا عليه بإعلان التوبة، والخروج من المظالم، ورد الحقوق والتضرع ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[4].

ومن هنا ندرك أن السلاطين كانوا يخفضون جناحهم إلى العلماء والفقهاء، وذلك بحكم تربيتهم الدينية التي تربواعليها، وهم صغار، فليس من المستغرب أن يهرع السلاطين والأمراء، إلى العلماء في كل نازلة وخطب.

ومما يجدر ذكره قيام السلاطين، بدعم العلم من خلال اقتناء الكتب النفيسة، و تشجيع التأليف، وإنشاء المكتبات الضخمة، حتى أنهم جعلوا في كل مسجد و مدرسة و أي مؤسسة تعليمية مكتبة عامرة، يلجأ إليها الطلاب والمتعلمون للدراسة، وقد كثرت المكتبات الخاصة والعامة، في عصر سلاطين المماليك وحوت الكتب الثمينة والنافعة في شتى العلوم و الفنون،

---

(1) ابن إياس، ج1، ص302.

(2) الكاتب، الفضل المأثور، ص68.

(3) ابن حجر، الدرر،ج4، ص201. سعد، قايتباي المحمودي، ص48.

(4) ابن حجر، الدرر،ج4، ص201.

فالارتباط بين نهضة العلم في بلد ما، و انتشار المكتبات أمر بديهي، فالكتاب هو أهم العناصر في العملية التعليمية والتربوية[1] .

وأكبر دليل على تقدم العلوم الدينية أو ما يعرف بالعلوم الشريفة وكذلك العلوم الدنيوية في عصر المماليك بفضل أسهامهم، هو كثرة تصانيفها [2] كما أن تعظيم كثير من سلاطين المماليك و أمرائهم للعلم وأهله، مكنتهم من الإغداق الكبير على المؤسسات الدينية، من مساجد و زوايا و مدارس ومكتبات وغيرها[3]حيث تميز عصرهم بالغنى والثروات الضخمة التي ساعدت في نشوء هذه النهضة الدينية الماجدة .

وقد لخص لنا الكاتب جمال السيد في كتابه ابن القيم أثاره وجهاده، العوامل التي أدت إلى تطور النواحي الدينية و العلمية الثقافية في ثلاث أسباب هي:-

1- رعاية و إسهام سلاطين الدولة المملوكية للعلم و العلماء و تشجيعهم .

2- انتقال النشاط العلمي و الديني من بغداد و الأندلس إلى مصر و الشام .

3- رغبة السلاطين والعلماء في تعويض ما تم فقدانه من علم وعلماء أثناء الغزو التتاري وإعادة بناء المؤسسة الدينية[4].

وكذلك حرص سلاطين المماليك و أمرائهم على بناء المدارس بالذات، لدورها الفعال في خدمة العلم وطلابه، وتخريج نخبة من خيرة العلماء، وذلك أن تلك المدارس وبفضل توجيهات السلاطين كان يقوم عليها أكابر العلماء، والصفوة منهم في كل فن، [5] مع تفرغ طلابها تفرغاً كاملاً لطلب العلم وتحصيله، إذا كانت تجري عليهم الرواتب والأرزاق، مما أتاح لهم فرصة أكبر للتفرغ لتحصيل العلم، فتخرج من هذه المدارس علماء مشهورين[6].

---

(1) الأصفهاني،الفتح، ص141-142.ابن واصل،مفرج ،ج2،ص230.الحجي،صور من الحضارة، ص190. علي، الحركة التاريخية، ص68 .

(2) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج41،ص354.العيني،عقد الجمان،ج1،ص234. إسماعيل ،النظم، ص279.

(3) أنظر:عاشور ،العصر المماليكي، ص342.

(4) ابن قيم الجوزية، ص68.

(5) النعيمي، الدارس، ج1 ص304.

(6) الذهبي تاريخ الإسلام،ج22 ، ص591 –600. النعيمي الدارس ج2 ص :109 .السيد ،ابن قيم، ص97.

ونلاحظ إسهامات وجهود سلاطين المماليك جلية في الشام وخاصة فلسطين، التي تعرضت للغزو الصليبي، الذي جثم على أرضها سنين طويلة، وغير معالم المدن الإسلامية في الشام وفلسطين بالذات، بل غير عادات الناس وتقاليدهم ونحى بأخلاقهم منحنى خطيراً في الرذيلة والفجور، بسبب غزوه الفكري اللاأخلاقي، ولهذا حرص الأيوبيين ومن بعدهم المماليك، على إعادة الصبغة الإسلامية والعربية للمدن الشامية المحتلة، وبناء المؤسسات الدينية والاهتمام بإحياء السنة، من خلال إحياء المذاهب السنية[1] وبناء المدارس التي وصفها الشعراء بأحسن الأوصاف،فقال أحدهم في وصف مدرسة الظاهر برقوق من مماليك الجراكسة قائلاً:

قَد أَنْشَأَ الظاهر السلْطَان مدرسةً   فَاقَتْ علَى إِرم في سرعة العمل

يكْفي الخَليلَ بِأَن جاءتْ لخدمته   صم الجِبال لَها تَمشي علَى عجل.[2]

ولذلك حرص سلاطين المماليك عموماً، على زيارة القدس والمسجد الأقصى ، والتواجد قدر الإمكان في المدن الشامية، وإصدار الأوامر والفرامانات السلطانية، لمحاربة الفساد في مدن الشام، فالظاهر بيبرس عام 663هـ/ 1264م، أول من حارب تلك الأمور في مدن مصر والشام، حيث أبطل الزنا وحارب البغايا[3]، واحرق بيوت المسكرات وأراق الخمور[4]، ومنع أي تصرف يمس بالأخلاق من لواط وزنى وشرب للخمر والحشيش وزاد في العقوبة حتى قال الشاعر:

لقد كان حد السكر من قبل صلبة   خفيف الأذى إذا كان في شرعنا حلا

فلما بدا المصلوب قلت لصاحبي   ألا تب فإن الحد جاوز الحدا[5].

وحرص سلاطين المماليك على تجديد عمارة المسجد الأقصى وقبة الصخرة والحرم الإبراهيمي والمسجد الأموي، والمسجد الأبيض في الرملة وغيرها من المساجد، فيصف ابن تغري أعمال الظاهر بيبرس مثلاً فيقول : " فقد جدد في القدس ما كان قد تهدم في قبة الصخرة،

---

(1) ابن الأثير، الكامل ج10،ص157 .أبو شامة،الروضتين، ج3، ص396. ابن كثير، البداية، ج12، ص156-323 . ابن تغري ، النجوم ، ج5 ، ص149.

(2) المكي، سمط النجوم،ج4،ص41.

(3) المقريزي، السلوك ، ج3، ص 279 . إسماعيل ، النظم ، ص 200.

(4) المصدر نفسه، ج3، ص279.

(5) ابن إياس، بدائع ، ج1 ، ص311 .

وجدد في السلسلة وزخرفها وانشأ قلعة ، وبني جامعاً وأوقف عليه الكثير من الأوقاف، وبنى في الرملة جامعاً، وبنى عدة جوامع ومساجد بساحل فلسطين، وأنشأ الكثير من الجوامع في صفد عدا عن صهاريج المياه والحمامات والربط "[1].

ومما يجدر ذكره أن المسجد الأقصى، الذي وصفه ابن حوقل بقوله: "وببيت المقدس مسجد ليس في الإسلام مسجد أكبر منه"[2]، كان من أهم المساجد التي لقيت العناية كما ذكرنا لخصوصيته الدينية المقدسة عند المسلمين.

وليس هذا فحسب فالسلطان المؤيد شيخ توفي سنة 820 هـ / 1417م، كان قد زار القدس، وصحبه كثير من المشايخ والفقهاء، وجلس في المسجد الأقصى، وقرأ صحيح البخاري مع فقهاء مصر والشام الحاضرين معه، وأنفق في القدس والخليل الأموال الجليلة وتصدق بالكثير، وصلى في غزة صلاة العيد[3].

وكذا فعل الأشرف قايتباي في القدس والشام، حيث بنى مدرسته الشهيرة في القدس وعمر مسجدها[4]، وفي زيارة السلطان الناصر فرج[5] 880هـ / 1475م نزل الشام وزار بيت المقدس ، وأغدق أموالاً جزيلة في المدرسة التنكزية بالقدس[6] .

ومن السلاطين الذين زاروا القدس، وأسهموا في دعمها السلطان الأشرف برسباي حيث عمر الكثير من الأوقاف في القدس والشام وأصدر مراسيم بصرف معاليم من الأموال ، على الصخرة المشرفة وكتب اسمه على الرخام فيها[7].

---

(1) النجوم الزاهرة ، ج7 ، ص 194 -195 .

(2) ابن حوقل، صورة الأرض ، ص171.

(3) المقريزي ، السلوك ، ج6 ، ص 450-451 .

(4) ابن تغري ، النجوم ، ج14 ، ص 55 .

(5) هو: السلطان ابوالسعدات الملك الناصر فرج بن برقوق،تولى بعد وفاة ابيه،أنظر:المكي،سمط،ج4،ص41.

(6) العليمي ، الانس ، ج1 ، ص 26 .

(7)العليمي ، الانس ، ج2 ، ص 95.

ورفد السلطان الظاهر برقوق الديار المقدسة في فلسطين بمائه وعشرين غرارة قمح تقدر قيمتها بثلاثة الاف وستمائه دينار وزعت على المؤسسات الدينية من مساجد وزوايا ومدارس وربط في القدس والخليل[1]

ولم ينس السلطان الناصر محمد بن قلاوون الشام، فقد عمر بها المؤسسات الدينية وأوقف عليها، وخص مدن فلسطين كصفد والقدس ونابلس والرملة وعجلون بتلك الإسهامات وعمر بالقدس رباطاً جليلاً[2].

وبذلك نرى مدى الاهتمام الزائد بالشام عموماً، وبالقدس خصوصاً، من قبل سلاطين المماليك، وهذا يدل دلالة كبيرة على ما وصل إليه الإسهام الكبير والعناية الصادقة بمقدسات الأمة.

وقد أتاح سلاطين المماليك للفقهاء والعلماء تبوء مركز الصدارة في الدولة، وذلك بأن جعلوا منصب القضاء ومن يتولاه على درجة كبيرة من الأهمية والتأثير في الدولة والمجتمع والجيش ، بعد أن خصص السلاطين قضاة عسكريين متخصصين في قضاء الجيش ، وقد بلغ من نفوذ القضاة أن قال فيهم الشاعر:

قوم إذا غضبوا كانت رماحهم		بث الشهادة بين الناس بالزور

هم السلاطين إلا أن حكمهم		على السجلات والأملاك والدور[3]

لذلك كان لقضاة الشام مكانة عظيمة من بين قضاه الدولة المملوكية، وقد أوكل إليهم القضاء غير مرة في القاهرة نفسها، وبلغ من نفوذ قضاة الشام أن السلاطين يحرصون على رضاهم فقد ذكرت المصادر أن القاضي الشامي برهان الدين بن عبد الرحيم بن جماعة[4]، قد عين في قضاء مصر وعندما شاهد الفساد عزل نفسه، فترضاه السلطان الأشرف زين الدين أبو المعالي ت676هـ /1277م، ولنترك المقريزي يصف لنا ما حدث فقال : " فاستدعاه السلطان

---

(1) العليمي، الانس، ج2 ، ص225 .أبو دية، زوايا ،،ص3وما بعدها.

(2) ابن تغري، النجوم ، ج9 ، ص 158 . ابن حجر ، الدرر ، ج2 ، ص67.

(3) السبكي ، معيد النعم ، ص 63 .

(4) هو محمد بن إبراهيم بن جماعة الشافعي ، ولد بحماة عام 639هـ/1241م،ولي قضاء القدس ومصر توفي عام 733هـ/1323م،ينظر:ابن حجر،الدرر،ج3،ص367.

الأشرف وسأله عن امتناعه من الحكم، فقال – يعني القاضي بن جماعة – بلغني أن ضمان المغاني أعيد ـ وهو مال يؤخذ منهن لقاء السماح لهن بامتهان الدعارة ـ وهذا يوجب الفسق ، فحاف السلطان أنه ما أمر بإعادته ولا عنده علم بذلك، فاعتذر بعذر غير طائل، فرسم بإبطاله وكتب بذلك مراسيم وتواقيع قرئت على الناس وسيرت إلى النواحي، فبطل ذلك ولم يعد "[1]، وكان ابن جماعة قد تولى قضاء الشام، وخطابة المسجد الأقصى وبعد ذلك ولاه السلطان الأشرف زين الدين قضاء مصر[2].

وكذلك رشح ابن حجر العسقلاني لعدة وظائف في اليمن ومصر ودمشق إلا أنه رفض ذلك وأثر التدريس[3] .

وأكدت المصادر أن سلاطين المماليك، قد أولوا الشام عناية خاصة بالعمران، والدعم المادي والمعنوي ، وخصوصا بعد الدمار الهائل الذي خلفته حروب الصليبيين مع المماليك ومن قبلهم الأيوبيين[4]وجاءت الطامة على الشام بقدوم التتار الذين أمعنوا في التخريب والتدمير[5] .

لذلك برزت الحاجة الماسة لإعادة ما تم تدميره من مؤسسات دينية واجتماعية ، مثلما فعل الظاهر بيبرس في إعادة إعمار طبريا وصفد، وعمر بها مؤسسات دينية واجتماعية[6]، وقد وقد كانت هذه المدن، كبيرة وعامرة، وبعد إعادة بنائها عادت مدن صغيرة[7].

ومن إسهامات سلاطين المماليك الدينية، محاربتهم الشديدة للفساد في المجتمع ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا، فالسلطان الأشرف قايتباي، وبعد اجتماعه بالفقهاء وقد اظهروا له خطورة مثل هذه المفاسد والضرائب، التي تجمع من ضرائب الحشيش والخمر والزنا وغيرها

---

(1) السلوك، ج5، ص5 . السبكي ، طبقات ، ج1، ص 35-36. ابن حجر، الدرر، ج2، ص181-182. النعيمي، الدارس ، ج1 ، ص 60- 65 . ابن عماد ، شذرات ، ج6، ص190.

(2) المقريزي،السلوك، ج 5،ص5.

(3) أنظر: فرغلي، التاريخ والمنهج،ص172، 173.

(4) المقريزي، السلوك، ج1 ، ص208 ، ج2 ،ص 48 . ابو الفداء ، تقويم ،ص339 .

(5) ابن كثير، البداية، ج13 ، ص 249 .

(6) العليمي، الانس، ج2 ، ص 86-87 .

(7) الحموي، معجم ، ج5، 251.

من الأمور المنكرة، فأمر بإبطالها فوراً[1]، وقد كانت بعض صور الفساد تشجع من قبل كبار رجال الدولة غالباً، ولم يكن السلاطين يدرون عنها ، وأحيانا لا يدركون خطورتها فينبههم الفقهاء والعلماء لذلك فيبطلونها فوراً، فمثلاً كانت هناك ضرائب تؤخذ من قبل المتنفذين في الدولة على البغايا والمغنيات، وغيرهن كما أسلفنا، مثل ضمان المغاني، وقد انتشرت تلك الأمور الفاحشة في مصر[2].

وكان أول السلاطين ثورة على تلك المفاسد ، السلطان الظاهر بيبرس ، فأمر بارقة الخمور، وأزال آثار المنكرات ، ومنع الحانات من بيع الخمر، في جميع أرجاء المملكة في مصر والشام، ومنع النساء من الزنى وممارسته وحبس الكثير منهن حتى يتزوجن وأمر بإبطال ضريبة المغاني وعمم ذلك في دولته[3].

ومن مظاهر حربهم على الفساد وإسهامهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أن أمر الناصر محمد قلاوون بإبطال بيوت الفواحش وأرباب الملاهي ، وأغلق الحانات ، وكتب لنواب الشام بالذات بإبطال الخمور واستتابة أهل الفواحش ، فعمل بذلك في سائر مدن الشام وضياعها وجبالها[4] .

ولعل اهتمام السلاطين بأمر الشام بالذات، في تلك المسألة نابع من طبيعة جغرافية ومناخ الشام، المناسب لزراعة كروم العنب، ومن ثم إنتاج الخمور.

وأكدت المصادر أن سلاطين المماليك حاربوا الفساد الإداري أيضا، فقد ذكر العليمي في كتابه: "أن بعض أرباب الوظائف الدينية، وصل إلى منصب قاضي قضاة القدس عام 878هـ / 1487، بمال بذله على سبيل الرشوة فلم يمكث حتى عزل "[5]، وكذا عزل قاضى المالكية عن

---

(1) ابن تغري، النجوم ، ج11 ص 291 . المقريزي ، السلوك ، ج4 ، ص 362 .

(2) ابن كثير، البداية ،ج13،ص254.المقريزي ، الخطط ، ج1 ، ص306.

(3) ابن كثير، البداية ،ج13،ص.255المقريزي ، السلوك ، ج2 ،ص 38 ، والخطط ، ج1 ، 305 .

(4) تغري، النجوم ،ج11 ، ص291 . ابن كثير ، البداية ، ج 14ص 328 .

(5) الأنس، ج2 ، ص 297 ، الأغا ، الأوضاع ، ص 287 .

قضاء القدس بسبب تعاطيه الرشوة[1]، وورد أن القاضي كمال بن البدر الجعفري المقدسي ولى قضاء بيت المقدس ولم تحمد سيرته ونسب إليه مزيداً من الرشاوى فعزل فوراً[2].

وقد أعاد السلطان الناصر محمد هيكلية وتنظيم الدولة وإدارتها، وجمع الأموال فيها لتخفيف وطأة الظلم الذي لحق بشرائح المجتمع، حتى انه أبطل كثير من النظم والقوانين الظالمة في عهد أبيه[3]، وكذا فعل السلطان الظاهر بيبرس في مدينة القدس وما حولها حيث تعود نواب القدس أخذ ضرائب باهظة من الفلاحين فأمر بإبطال ذلك بسبب شكاوى الناس عليهم[4].

وذكر ابن خلدون في مقدمته أن بعض السلاطين تفنن في فرض الضرائب وتحديد أسعار الحاصلات التجارية والزراعية، وغالبا يكون ذلك بسبب الضائقات المالية التي تصيب الدولة بسبب الحروب والنفقات وغيرها[5].

وهذا لا يمنع وجود بعض السلاطين ممن خالف هذه الأنظمة المعمول بها في الدولة، عندما يقومون بفرض الضرائب الجديدة لحاجات الدولة ، وكانوا يثقلون على الناس بذلك.

وبسبب الرغبة في الإصلاح الإداري والديني، جاء نظام الحسبة والمحتسب، حيث عد القلقشندى الحسبة ثالث وظيفة دينية هامة في سلم الوظائف الدينية[6]، لدورها الفاعل في محاربة محاربة الفساد والغش، والحث على الأخلاق وإقامة السنة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد أعطاها السلاطين نفوذا كبيرا في المجتمع لإصلاحه ومراقبته[7]، وكان المحتسب يقصد مجالس الولاة والأمراء يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر[8] .

---

(1) العليمي، الانس ، ج2 ، ص 340 .

(2) السخاوي، الضوء ،ج9 ، ص 110 .

(3) ابن تغري، النجوم، ج8 ، ص90-94 . الصفدي ، الوافي ، ج12 ، ص225.

(4) المقريزي، السلوك ، ج7 ، ص 41.

(5) المقدمة، ج1 ، ص282.

(6) صبح، ج12 ، ص58 .

(7) أنظر: أبو زيد ، الحسبة ، ص 141 .

(8) الغزالي، إحياء، ج2 ، ص300 .

وشجع المماليك الهجرة إلى الشام، وخاصة فلسطين وبيت المقدس، لدعم النواحي الدينية وتثبيت أركان الحكم الإسلامي في تلك الديار في وجه الصليبيين[1]، فهاجر إلى الشام بمباركة السلاطين كل من شمس الدين الذهبي[2]وعلاء الدين بن احمد السيرامي[3]وشمس الدين القلقشندى[4]ت821هـ/1418م عالم القدس، وبدر الدين بن مكي[5]، وابن الهائم المصري[6]وغيرهم كثيرون[7].

وبذلك ندرك عظم هذه الإسهامات، الواضحة الجلية، والتي تدل بشكل واضح على أن عصر سلاطين المماليك، يعد عصراً ذهبياً للحياة الدينية برمتها، وفي هذا العصر تم جمع شتات العلوم بفروعها من الإندثار والضياع، وإعادة الهيبة والمكانة للعلماء، الذين كانوا بحق جنود هذه المرحلة الهامة، لذا سنتطرق لدورهم الخطير والحساس في الحياة الدينية في الفصل القادم.

---

(1) أنظر :علي ، القدس ، ص123 .

(2) هو شيخ الإسلام ابي الحافظ الذهبي،ولد في مصر،وتولى عدة وظائف ،منها في الشام ،كان علماً في الحديث الحديث والفقه وكتب التاريخ،أنظر:الصفدي، الوافي ،ج1،ص29.

(3) هو علاء الدين ابومحمد السيرامي الحنفي، فقيه ومفسر ،تولى قضاء الحنفية في مصر والشام ،توفي سنة790هـ ،انظر:ابن تغري ،النجوم الزاهرة،ج12،ص104.

(4) ترجم له معرض حديثنا عن ليل ا صادرص6.

(5) هو القاضي بدر الدين بن مكي،تولى قضاء القدس، عرف بفضله وعلمه ،أمتحن مرات وصبر، انظر:العليمي، ج1، ص129.

(6) هو شيخ الاسلام شهاب الدين المقدسي ابن الهائم المصري الشافعي، تولى قضاء القدس،توفي سنة815هـ/1416، انظر، العليمي الانس، ج2، ص394.

(7) للمزيد عن علماء الشام المرابطين والمجاورين، انظركتاب الأنس الجليل للعليمي، ج2، ص397.

الفصل الثاني

دور الفقهاء والعلماء في الحياة الدينية

المبحث الأول: دورهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

المبحث الثاني: دورهم في إدارة الدولة ووظائفها.

المبحث الثالث: دورهم الجهادي.

المبحث الأول

دورهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

يعد العلماء سادة الأمة الحقيقيون، وقد استمدوا مكانتهم من إيمان الناس بالمبادئ والشرائع التي كانوا القيمين عليها،[1] ولا يخفى على احد ما للعلم من فضل وما للعلماء من مكانة، فهم خلفاء ا في عباده بعد الرسل، قال عز وجل ﴿شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[2].

وقد وردت آيات وأحاديث كثيرة يعرف بها فضل العلم وأجره، كقوله جل وعلا:"قُلْ هَلْ يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون"[3]، وقوله عز وجل:﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[4]، وقوله جل وعلا: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾.[5]

غَفُورٌ﴾.[5]

وأظهر النبي صلى ا عليه وسلم شرفهم، فبين أنه مستمد من شرف الأنبياء، فقال: "إن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا درهماً ولا ديناراً، ولكن ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر ".[6]

وبين أن مهمة إرشاد الأمة، وبيان الحقائق، وتنقيح العلم، وتنقية الدين مما يمكن أن يدخل عليه مما ليس منه، مسؤوليتهم ورسالتهم فقال: "يرث هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين، وتأويل الجاهلين، وانتحال المبطلين"[7].

وقد وصفهم الغزي في كتابه بقوله: " الحمد الذي جعل العلماء نجوماً يهتدى بهم في ظلمات البر والبحر كما يهتدى بنجوم السماء وكواكبها[1].

---

(1) ابن كثير،البداية و النهاية ،ج9،ص316.صعيدي ، العلماء ، ص22 . علي ، القدس ، ص 173 .

(2) سورة آل عمران آية: 18.

(3) سورة الزمر،آية:9 .

(4) سورة المجادلة،آية11.

(5) سورة فاطر،آية:28 .

(6) سنن أبي داوود ،ج3،ص354 .وذكره إبن حبان في صحيحه ج1،ص289.

(7) البيهقي، السنن الكبرى ، ج10،ص 209.

وقد حمل العلماء على عاتقهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإسداء النصح للحاكم والمحكوم، لما للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من منزلة عظيمة، فقد جاء ذكره في نصوص كثيرة من الكتاب والسنة، فهو من أهم الخصائص التي تميزت بها الأمة المحمدية كقوله ا تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [3]. وقوله تعالى: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾[4].

وقوله تعالى: ﴿والْمؤْمنُون والْمؤْمنَاتُ بعضهم أَولياء بعضٍ يأْمرون بِالْمعروف وينْهون عنِ الْمنْكر﴾[5].

وقد قال رسول ا صلى ا عليه وسلم : " يا أيها الناس ، إن ا يقول : مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل أن تدعوا فلا أجيب لكم ، وتسألوني فلا أعطيكم ، وتستنصروني فلا أنصركم "[6].

وبما أن العلماء ورثة الأنبياء وحملة رسالتهم، فكان عليهم القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتصويب مسيرة الأمة الإسلامية على الدوام دون كلل أو ملل، لأن ذلك واجبهم الشرعي وهم مناط التكليف بهذه المهمة .

وقد أكد الماوردي في كتابه أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقد جعله علاجاً لأمراض النفوس وأوبئة القلوب، وحث الأمة على أن تنهض بإجراءات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لتحمي نفسها من تلك الأمراض[7]، وقد جعل صاحب كتاب الأحكام السلطانية القيام

---

(1) الكواكب، ج1 ، ص3 .
(2) سورة أل عمران ، آية 104.
(3) سورة أل عمران ، آية 110.
(4) سورة لقمان،آية 17.
(5) سورة التوبة،آية 71.
(6) ابن ماجه، السنن، ج2 ، ص 328 . البيهقي ، ج1، ص93.
(7) الأحكام، ج1، ص18 .

بعبئ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على العامة والخاصة بل جعله فرض عين على الجميع لحماية الأمة وحفظها من التحال والفساد[1].

ومن المؤكد أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مما تصلح به المجتمعات وبدونـه تعتريها الآفات، وتنعدم الأخلاق ويسود الفسـاد، ويؤخـذ العامـة بـذنب الخاصـة، قـال تعالى﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾[2]"، وبالتالي فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكـر هو نظام المجتمع وقوامه.

و فضل ا هذه الأمة على غيرها من الأمم، بأن جعلها خير أمة أخرجت للناس كقوله تعالى:" كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ"[3] ذلك لتشريفه إياها بحمل بحمل مهمة الأنبياء والرسل وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ولاضطلاع العلماء بتلك المهمة بعد الرسل، حصلوا على المكانة السامية لقيامهم بعبـئ إصلاح الدولة والمجتمع، ومآثرهم الإصلاحية لا تكاد تعد أو أن تحصى، فقد وقف العلماء فـي العصر المملوكي في وجه العدو الغاشم والسلطان الظالم، حتى أصبحوا موضع إجلال واحتـرام من الشعب والحكام معاً[4] وقد وصف ابن إياس العـز ابن عبد السلام[5] "بأنه ناشـر العلـم آمراً بالمعروف ناه عن المنكر تغلظ على الملوك والأمراء".[6]

ولذلك عندما وصل نبأ وفاه العز بن عبد السلام إلى الظاهر بيبرس قال : "ما استقر ملكي إلا الآن ، وكان الشيخ يزجره عن المظالم وينهاه عن ذلك[7]، وقد بلغ من احترام وهيبة العز في في زمانه أن الظاهر لم يبايع أحد من الخلفاء العباسيين إلا قدم العز قبله[8].

---

(1) الماردوي، ج1، ص20.

(2) سورة الأنفال، آية 25.

(3) سورة آل عمران، آية 110.

(4) فرغلي، الحركة، ص57.

(5) هو العز بن عبد السلام الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء فقيه شافعي 1181/577م، توفي في مصر زمن الظاهر بيبرس. أنظر: شهبه ، الطبقات، ج2، ص 110. الصفدي،الوافي ج1، ص287.

(6) بدائع الزهور، ج1، ص 317.

(7) المصدر نفسه، ج1، ص 318.

(8) المصدر نفسه، ج1، ص 318. فرغلي، الحركة، ص58.

فلئن كان السلاطين والأمراء هم أصحاب النفوذ والنشاط الحربي والإداري، فقـد كـان العلماء هم أصحاب التأثير المباشر والحقيقي على عامة الشعب في العصر المملوكي[1].

وأكدت بعض المصادر قيام العلماء بواجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكـر فـي حضرة سلاطين المماليك، ولم يثنهم عن هذا الواجب التهديد والوعيد من قبل السلطان والأمراء فقد عارضوا بعض أوامر السلاطين لمخالفتها الشريعة، مع علمهم أن تلك المعارضة قد تعزلهم وتذهب بحالهم إلى الفناء[2].

حيث وقف العلماء في وجه السلاطين وحثوهم ونهوهم عن المنكر وإهانة أهل العلم[3] ومن أمثلة ذلك :عندما حث العلماء والصلحاء السلطان المنصور قـلاوون[4] 678هـ ـ 1279/م ودعوه إلى إقامة الدين في الشام ودمشق ، فأمر بحضرتهم بإهراق الخمـور وأبطـال الزنا[5].

وقد أهلت بعض المناصب الحكومية للعلماء القدرة على اتخاذ القرارات التي تؤدي إلـى محاربة الفساد، مثل قاضي القضاة والمحتسب وغيرها من الوظائف، وبلغ مـن قـوة ونفـوذ المحتسب في الدولة المملوكية، أن يقصد مجالس الولاة والأمراء وينهاهم عن المنكر ، وقد كان المحتسب مكلفاً بإحياء السنة[6]، لذلك عد القلقشندى كما ذكرنا وظيفة المحتسب مـن الوظـائف الدينية .

وقد حث العلماء والفقهاء السلاطين على تقوى ا ولزوم طاعته والتوبة والخروج مـن المظالم والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر حتى لا تحل ببلادهم الطواعين والمصائب[7].

كما كان للعلماء دوراً في نصح السلاطين، والإغلاظ عليهم في الحق، فالشيخ محمد بن

---

(1) فرغلي ، الحركة ص 57-58.

(2) عبد التواب ، قيتباي ، ص 118.

(3) إسماعيل ، النظم ، ص 328.

(4) هو سيف الدين قلاوون تولى سنه 678هـ/1279 وهو السابع من سلاطين المماليك من القفجاك كان مجاهداً، ذكره النويري ، نهاية، ج7، ص32

(5) ابن كثير، البداية ،ج13، ص328.

(6) المقريزي، السلوك، ج1، ص 940.

(7) ابن حجر، أنباء، ج8، ص201.

يوسف القونوي[1]، كان شديد البأس على الحكام شديد الإنكار للمنكر، أماراً بـالمعروف قليـل المهابة للأمراء والسلاطين، يغاظ عليهم ويكتب إلى النواب شـفاعة وشـكوى فـي المفسـدين ويصفهم "بالمكاس والظالم "، وهم – أي النواب – لا يخالفون له أمر ولا يـردون لـه شـفاعة ويتورعون عن الاجتماع به لغلظه في خطابه[2].

وكان العلماء يزهدون في المناصب و يعزلون أنفسهم مراراً، لاعتراضهم على الفسـاد في السلطنة ويترضاهم السلاطين، ويرفضون العودة لمناصبهم تحرزاً لدينهم[3] .

فمن جرأتهم في ذلك قيام الشيخ شمس الدين الدروطي[4]، بالاقتحام علـى السـلطان قانصوه الغوري مجلسه ورد السلام فلم يرد عليه السلطان وكان غضباناً منه لتأليب العامة على السلطان لتركه الجهاد، ثم قال له الشيخ :" قد نسيت نعم ا عليك وقابلتها بالعصيان، أما تـذكر حيث كنت نصرانيا ثم أسروك وباعوك من يد إلى يد، ثم من ا عليك بالحرية والإسلام ورقاك إلى أن صرت سلطاناً على الخلق"[5].

فلعمري ما يقف هذا الموقف إلا رجلاً أخلص النية ولم يثنيه الخوف والسلطان عـن قولة الحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وعندما أراد السلطان قانصوه الغوري أن ينقل بعض الآثار الشريفة من مسـجد أبتنـاه السلطان الناصر محمد على النيل، ليزين به مدرسته من غير شرط الواقف، لم يوافقـه الشـيخ أمين الدين الاقصرائي[6] على نقله وقال ما نتبع ذلك الا شرط الواقف[7].

فترى ما تلك القوة التي في قلوبهم ليقفوا في وجه بعـض السـلاطين، بـرغم بطشـهم واستهانتهم بقتل الناس؟ تلك هي قوة الإيمان، وزهدهم بالحياة الدنيا، فهم الملوك على عـروش قلوب العامة والخاصة ، بقربهم من ا .

---

(1) هو علاء الدين الشافعي ولد بقونية عام 668هـ وتتلمذ على علماء مصر والشام ولى مناصب عديده لعلمه وفهمه أنظر: الشوكاني ، البدر ، ج1 ، ص 419.

(2) ابن حجر، أنباء، ج8 ، ص 179.

(3) العليمي، الأنس، ج2، ص107 .

(4) هو شمس الدين الدروطي، واعظ زاهد مصري ، كان بالجامع الأزهر ، وكان جريئاً على السلطان عفيفاً في في وعظه ، متعففاً عن عطائه ، توفى عام 921هـ/ 1515م . في عهد قانصوه الغوري ، أنظر: ابن العماد ، شذرات، ج7، ص 288 . الزركلي ، الاعلام ، ج3 ، ص176

(5) المارودي، الأحكام ج1 ، ص 30.

(6) هو يحيي بن محمد بن إبراهيم الاقصرائي ، من شيوخ الحنفية ، تركي الأصل ، ولد وتوفي في القاهرة أنظر: الذهبي ، سير ، ج13 ، ص253. الزر كلي ، الأعلام، ج8 ، ص168.

(7) ابن إياس ، بدائع ، ج1، ص385 .

ومن علماء الشام قاضي القضاة شرف الدين المغربي[1] 854هـ/1450م، وقد كانـت له هيبة في القلوب ولا يخاف في ا لومة لائم فعندما أمسـك نائـب القـدس مبـارك شـاه المملوكي[2] جماعة من الفلاحين أراد شنقهم ، قال له الشيخ : أتقتل مسلماً غدراً في حضـوري بغير حق هذا لا سبيل له، فقال النائب لا بد من قتلهم، قال الشيخ وا لو قتلتهم لأقتلنك بيـدي، وأعلقنك بجانبهم كما أنت بخلعة السلطان، وما قدر النائب على مراجعته لهيبته ودخـل النائـب القدس ولم يستطع قتلهم[3].

وهذا يدل على مدى القوة والنفوذ التي يتمتع بها علماء الإسلام في العهد المملوكي وما كان يتم ذلك إلا بدعم السلاطين لهم.

ومن صور أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر وقوفهم في وجه السـلاطين عنـدما يريـدون السيطرة على أموال الأوقاف وأموال الأيتام[4].

حيث رفض الشيخ دقيق العيد[5]. أن يعطي فتوى بأخذ مال الرعية لاستخدامها في الحـرب برغم تهديد وترغيب السلطة المملوكية، ولم يرجع الشيخ عن رأيه واستدل على موقف العز بن عبد السلام عندما رفض إعطاء السلطان قطز فتوى جمع الأموال من العامة[6].

وكان بعض العلماء يقومون بإزالة المنكرات بأيديهم فيهدمون الخمارات وأمـاكن الـدعارة وشرب الخمور والمفاسد في دمشق وغيرها برغم أنف كثير من المتنفذين في الدولة[7].

وكذا فعل ابن حجر العسقلاني[8] عندما عزل نفسه عن القضاء، وهو من كبار علمـاء الشام في حينه، وكانت ثورته على الظلم والفساد برغم المغريات والتهديدات التـي مارسـتها

---

(1) هو قاضي القضاة شرف الدين عيسى المغربي، تولى قضاء القدس في عهد السلطان جقمق، كان عالماً فاضلاً ورعاً.أنظر: الذهبي، سير، ج3، ص234.

(2) هو نائب السلطنة في القدس، كان متوليا في زمن الملك الظاهر جقمق سنة 850هـ/1451م وكان حاكما معتبرا، أنظر:العليمي، الأنس الجليل ج2،ص277.

(3) العليمي، الأنس ،ج2 ، ص248 . علي ، القدس ص174.

(4) الذهبي، سير، ج13، ص253 .السخاوي،الضوء اللامع،،ج10،ص242. أحمد ، البذل ، ص 99.

(5) هو شيخ الإسلام تقي ا الدين أبو الفتح القشيري قاضي مصر وعالمها شيخ العصر، ولد عام 625هـ وتوفي 702 أنظر: الذهبي ، سير، ج13، ص273.

(6) المقريزي ، السلوك ، ج2 ، ص 328 . السخاوي،الضوء اللامع،ج10ص242.

(7) ابن طولون ، مفاكهة ، ص 29.

(8) هو أحمد بن علي الكناني العسقلاني المعروف بأبن حجر، ولد سنة 773هـ العلامة والمحدث، الفقية في مصر والشام صاحب اليد الطولى في العلوم، أنظر: الذهبي، السير، ج3، ص229.

السلطة الحاكمة حيث عزل نفسه رغم أنف السلطان الظاهر جقمق[1] 834هـ / 1430م بـرغم ترغيبه وترهيبه له بضياع المال و الولد، وكان عزله لنفسه لأمور أنكرها من مخالفة الشـرع من قبل السلطان وحاشيته وقد غضب السلطان عليه، ولكن ابن حجر لم يأبه له وأحرجـه أمـام الأمراء والحاشية في قصره[2].

ونلاحظ مدى قوة إيمان هؤلاء العلماء، وهذا الإيمان هو الذي أهلهم ليسودوا مجتمعهم وتبقـى مآثرهم ويخلد ذكرهم، فكم من علماء السلاطين من غاب ذكره لقلـة دينـه وإيمانـه وممالئتـه للسلاطين فسقط وسقط ذكره معه.

وكان السلاطين غالباً ما يمتثلون أوامر ونواه الشرع، عندما يعظهـم العلمـاء ويـذكرونهم فالسلطان قيتباي المحمودي[3] أبدى رغبته في مصادرة الأوقـاف الإسـلامية للإنفـاق علـى الجيش[4]، ولكن تقف أمام سلطة السلطان سلطة أقوى منه وأثبت، ألا وهي سلطة علماء الإسلام الإسلام مثل شيخ الإسلام أمين الدين الإقصرائي، الذي حث السلطان على أن يصـادر أمـوال مماليكه وحلي نسائهم أولاً، فصدع السلطان بذلك[5] وقد كان من احترام السلطان قيتباي للعلماء أنه كان يقبل أيديهم ويمتثل لهم ويتواضع أيما تواضع[6].

وقد أوكل السلطان قيتباي المحمودي للعلماء المناصب الخطيرة مثل ديوان بيت المال وكان بعضهم يرفض هذه المناصب لورعه وزهده[7] .

---

(1) هو أبو السعيد جقمق الجركسي، تسلطن بعد الاشرف برسباي، عام 804هـ كان عفيفاً دينياً كثير الصلاة والعبادة، وزاهداً خالف الملوك في ملبسه وهيئته وجلوسه أنظر: الشوكاني، البدر، ج1، ص174.

(2) ابن تغري، النجوم الزاهرة ،ج4،ص345. عزالدين، التاريخ والمنهج، ص160.

(3) هو السلطان قيتباي المحمودي جركسي الأصل من مماليك السلطان برسباي ،تولى السلطنة بعد خلع الظاهر الظاهر تمربغا 863 هـ، أنظر: الذهبي ، سير، ج13 ، ص253 .الزر كلي الأعلام،ج4 ص411. عبد التواب، قيتباتي، ص9.

(4) السخاوي، الضوء اللامع،ج10، ص242.

(5) الذهبي، سير، ج13، ص253 .عبد التواب، قيتباي، ص49.

(6) عبد التواب، قيتباي، ص50.

(7) ابن كثير، البداية ج14، ص153. عبد التواب، قيتباي، ص82.

ولذلك حرص سلاطين المماليك وأمراءهم على اصطحاب العلماء والفقهاء لتذكيرهم با والامتثال لأوامر الشرع التي يجريه ا على ألسنة العلماء، ومن ذلك كـان الظـاهر بيبـرس يصطحب معه الفقهاء في كثير من أسفاره ويلزمهم ويحترمهم ويستشيرهم فيشيرون عليه[1].

وكان تأثير العلماء على السلطات الحاكمة في المدن الإسلامية المملوكية كبيراً وواضحاً، فقد وجهوا أمرهم للنائب والحاشية من مماليك دمشق بالأمر بالمعروف والنهـي عـن المنكـر، "وبإبطال الخمارات والمنكر"[2]بل وساهموا مع السلطة المملوكية في إبطال المنكرات حتي فـي بيوت الأمراء أنفسهم[3].

ومما لا شك فيه أن العلماء لعبوا دوراً هاماً كوسطاء بين السلطات الحاكمـة المملوكيـة والمحكومين من الشعب، فهم القضاة والمشايخ والفقهاء والمفتين، وقد أفتوا بجمـع الضـرائب والأوقاف لمساعدة الدولة في أعبائها المالية الضخمة، نتيجة الحروب الداخلية والخارجية ضـد التركمان والبدو والحملات العسكرية والمعارك مع الصليبيين والتتار وغيرهم[4].

والحق يقال أن العلماء استعادوا في العهد المملوكي مكانتهم فـي قيـادة دفـة الحيـاة الإسلامية حتى وصلوا بها إلى بر الأمان،[5] خاصة أن أواخر العهد الأيوبي شـهد صـراعات أهملت النواحي الدينية والعلماء، وكذا ما حل بهم من الغزو التتاري والغزو الفرنجي في الأندلس وهجرتهم إلى المشرق الإسلامي .

لهذا أدرك المماليك أهمية هذه الطبقة من المجتمع، فأقاموا لهـم المسـاجد والمـدارس والزوايا وغيرها لجلب قلوب الناس ومؤازرتهم في دولتهم[6].

وإذا عرف فضل العلم والعلماء وعظم منزلتهم وسمو مكانتهم، عرفت خطـورة فقـدهم وخلو المجتمع منهم، فإن العلم ينتقص بموت العلماء وبذلك جاء الحديث الصحيح، عن عبـد ا

---

(1) ابن كثير، البداية ، ج13 ، ص 309.

(2) ابن طولون، مفاكهة، ج1، ص187.

(3) المصدر نفسه، ج1، ص30.

(4) صعيدي، العلماء، ص3.

(5) ابن خلدون، مقدمة، ص219-220 ، ص349-350. حسن، تاريخ الإسلام، ج4 ، ص421-422 فرغلي، فرغلي، الحركة، ص 57. لابيدوس، مدن الشام، ص55.

(6) ابن خلدون، مقدمة، ص220-221 فرغلي، الحركة، ص57.

بن عمرو بن العاص رضي ا عنهما قال: سمعت رسول ا صلى ا عليه وسلم يقـول: "إن ا لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلماء حتى إذا لم يبق عـالم اتخـذ الناس رؤوساً جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا"[1] .

ولم يكتف العلماء والفقهاء بوعظ رجال الدولة والسلاطين، بل وعظوا العامة في المسـاجد وغيرها من المؤسسات الدينية، خاصة أن العلماء كانوا أقـرب إلـى العامـة مـن السـلاطين والأمراء، لذلك إنصاع العامة للعلماء وأخذوا بقولهم لثقة الناس بالعلماء لكونهم يمثلون الناصحين لهم والمدافعين عن حقوقهم أمام السلطة الحاكمة في الدولة المملوكية.

ولم يقف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند الوعظ الشفوي بل تعداه إلى تـأليف الكتب الوعظية لتكون في متناول الجميع، فقد ألف أبو الفرج البسطامي[2] كتاباً أسـماه (الكنـز الأكبر في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)، يدرس في المساجد والزوايا والمدارس[3].

وبحكم قرب العلماء والفقهاء من العامة، كان تأثير العلماء على الجماهير العريضة في مدن الشام كبيرا وواضحا، فقد كان العلماء الجزء المثقف من هذه الوحدة الاجتماعية في الأدب والفقه وتعاليم الإسلام ،لقد كانوا قضاة وشهودا وأئمة مساجد وأساتذة ومعلمـين وقـراء قـرآن ورواة حديث، ومتصوفة وموظفي مساجد[4] .

وكان واجبهم الأساسي المحافظة على الأوامر السماوية، ودعم الجماعة كوحدة إسلامية، وإعطاء المجتمع الإرشاد الديني والأخلاقي، وأيدوا قوانين الإسلام وتعاليمه وقمعـوا الفسـاد والرذيلة، وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر[5].

وقد مارس العلماء في مدن الشام، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في جميع مجالات عملهم وتواجدهم، فهم الصفوة الإدارية، والاجتماعية والدينية، وبسبب امتداد الفقـه الإسـلامي إلـى

---

(1) الترمذي، السنن، ج4، ص390.ابن ماجة، السنن،ج1 ص790.

(2) هو زين الدين ابن الفرج الدمشقي الصالحي الصوفي البسطامي شيخ طريقة، وعلم حقيقة أتقن فنوناً وعلوماً كثيره أنظر: ابن العماد ، شذرات، ج7، ص 288.

(3)ابن العماد ، شذرات ،ج7، ص288-289 .

(4) أنظر:لابيدوس ، مدن الشام ، ص 174.

(5) أنظر:لابيدوس ، مدن الشام ص 174.

الشؤون التجارية والتعليمية والإدارية والمدنية الشخصية وغيرها من مجـالات، كـان ارتبـاط المجتمع الشامي بالعلماء والفقهاء وثيقًا وقويا[1].

لذا تدخلت الجماهير غير مره لصالح العلماء ضد الحكام في دمشق وغيرها من مدن الشام، ففي محنة شيخ الإسلام إبن تيمية[2]، خرجت جماهير عريضة هاجمـت الحـاكم والمؤسسـات المملوكية للمماليك بالحجارة عام 693هـ/ 1293م وتبع ذلك قتال وعنف شديد[3].

وهذا يدل على مدى قرب وتأثير العلماء في العامة ، وليس هذا وحسب فقـد وقعـت مظاهرات في المسجد الأموي في عام 743هـ /1342م ، دفاعا عن أحد الخطباء من العلمـاء حين أبعد عن منصبه ورفض العامة الاستماع للخطيب الجديد، وهكذا كان للعلماء بـين العامـة موقعاً رئيساً في دعم الحياة الدينية والاجتماعية والاعتبارية لمدن الشام ومجتمعاتها[4]

وبالطبع لم يأت هذا الولاء للعلماء من فراغ ، وذلك لأن العلماء والمدرسين ، والفقهـاء كانوا المربين للناس ، وهي الجهة الموثوق بها ، والقريبة منهم في مختلف شؤون حياتهم.

وبلغ نفوذ العلماء بين العامة أن أصبحوا مرهوبي الجانب مطاعي الأوامر، فقـد أورد مجير الدين العليمي، عن القاضي العلامة شمس الدين البايرتي ت 855هـ /1451م أنه كان ذا هيبة عند الناس والحكام ونفذ أمره، حتى تكلم في الأسعار، فكان يطلـب اللحـامين والخبـازين وغيرهم من أرباب الحرف ويأمرهم ببيع بضائعهم، بسعر معين فلا يسعهم مخالفة ذلك[5].

وقد ترك بعض علماء الشام الوظائف في الدولة للتفرغ للأمر بالمعروف والنهـي عـن المنكر، وبرغم ترغيب السلاطين لهم بعدم ترك وظـائفهم، ولكـنهم أبـوا إلا الزهـد وهدايـة الناس[6].

---

(1) أنظر: حمزة، الحركة الفكرية، ص 53.

(2) هو تقي الدين أبو العباس أحمد شهاب الدين عبد الحليم ابن تيمية النميري الحراني ، ومن أئمة المذهب الحنبلي، هاجر إلى دمشق وتولى التدريس والافتاء ، وسجن وعذب بسبب أرائه أنظر: ابن كثير في البداية والنهاية، ج13 ، ص269.

(3) ابن كثير، البداية، ج13، ص396. لابيدوس، مدن الشام ، ص181.

(4) ابن كثير، البداية، ج13، ص444. لابيدوس، مدن الشام ص182 . حمزة ، الحركة الفكرية ، ص 68.

(5) الأنس، ج2، ص242. علي، القدس ، ص 174.

(6) ابن حجر ، أنباء الغمر، ج8، ص 198.

وأخذ العلماء والفقهاء على عاتقهم في دمشق والشام كلها، في تنقية الدين مما علق به من شوائب البدع والزندقة وحاربوا أهلها وقارعوهم بالحجة، وخطبوا الناس على المنابر لتحذيرهم من البدع والزندقة ومخالفة الشرع[1]، كل ذلك كان يقع على كاهل العلماء المخلصين في أمر الناس بالمعروف ونهيهم عن المنكر .

ولم يبتغ العلماء من وراء سياسة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الأجر إلا من ا فقد ذكرت بعض المصادر، أن العديد من العلماء كانوا يدرسون في العديد من المدارس الفقه والعقائد والحديث، تبرعا ودون مرتب لهداية العامة[2].

ومن ذلك تنزه وامتناع القاضي بدر الدين محمد بن جماعة 718هـ /1318م، عن أخذ راتبه عن القضاء، واستمر قاضياً بدون أجر، لأنه كان يرغب في خدمة الناس، بدون مقابل كسباً للثواب عند ا سبحانه وتعالى[3].

ومما يجدر ذكره أن العلماء، حملوا في أغلب الأوقات راية الدفاع عن حقوق العامة والأيتام ضد كبار المسئولين كما حدث عام 738هـ /1337م حيث اختلف ناظر الخاص مع القاضي عماد الدين البلبيسي[4] لمعارضته في أخذ أموال الأيتام[5].

وبذلك تبوء العلماء مكان الصدارة في الدفاع عن الشريعة،وحماية حقوق الأمة والأيتام والفقراء والمعوزين، وقد كان هؤلاء غالبية المجتمع المملوكي.

ومن أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ، ومحاربتهم للأمراض الاجتماعية، كالرشوة وسوء الإدارة والسلوك[6] حتى أبعدوا عن الناس شراً كثيرا، وأصلحوا أمور الرعية[7]، وهذا وهذا ما يفسر قوة ومحورية دور العلماء ،في المجتمع الإسلامي، وخصوصا الشام حيث ذكر لابيدوس أن العلماء هم صمام أمان المدن الإسلامية ، وهم من يشكل الرابط الأساسي بين

---

(1) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج14 ، ص 134.

(2) السبكي ، طبقات ، ج9 ، ص 34. ابن عماد، شذرات الذهب، ج6 ، ص 153.

(3) المقريزي ، السلوك ، ج2 ، ص181.

(4) هو محمد بن اسحاق بم محمد مرتضي البلبيسي، عالم فقه، ودروس العلم، ولى القضاء وعزل ، وكان محباً محباً للفقراء والأيتام مدافعاً عنهم مات بالطاعون سنة 749هـ / 1348م ينظر ابن حجر، الدرر، ج3، ص472.

(5) الحجي، صور من الحضارة ، ص 114.

(6) المقريزي ، السلوك ، ج2 ، ص443.

(7) الحجي ، صور ، ص117.

مكونات المجتمع الشامي آنذاك، ولذلك نشأت أغلب المدن على حد رأيه حول الصفوة الدينيـة العلماء والفقهاء والمتصوفة[1].

ولذلك أدراك العلماء خطورة مكانتهم، فاستعدوا لذلك بالتقوى والإيمان والعلـم والصـبر مما أهلهم لقيادة المجتمع والرسو به إلى بر الأمان .

وكان تفاني العلماء في خدمة العامة، وإرشادهم إلى الطريق القويم ،سبباً في تقرب العامة للعلماء وحبهم لهم، حيث انصاعوا إلى أوامرهم، وبكوهم عند موتهم فقد ذكر أنه عند وفاة ابـن حجر العسقلاني، كانت ساعة عظيمة وأمرا مهولاً، لقد وقع النواح في سائر النواحي حتى من أهل الذمة وقفلت الأسواق، وغلقت الحوانيت، وشوهدت له جنازة، ولم تكن بعد جنازة ابن تيمية إلى وقته أفضل منها، وصلي عليه صلاة الغائب في مكه والقدس والخليل وحلب ودمشـق مـن الشام، وسائر مصر ودفن بحضور السلطان والأمراء[2].

وهذا يدل على مدى عظم العلماء في نفوس الناس من الحكام، والمحكومين فقد كان العامة والحكام يوقرون العلماء، في حياتهم ومماتهم.

وكان العلماء يلتقون العامة في المساجد، والخوانق وغيرها ويتم من خلال تلك المؤسسات وعظ الناس وإرشادهم، عن طريق الخطب والدروس والفتوى والوعظ، في المناسبات الدينيـة المختلفة[3].

وبذلك كانت مهمة العلماء والفقهاء الأساسية، الأمر بـالمعروف والنهـي عـن المنكـر وتحملوا في سبيل ذلك وأوذوا في سبيل ا ، وفقدوا الغالي والنفيس، متمثلين في ذلـك سـنة الرسل من قبلهم في الدعوة إلى ا .

ولم يقتصر نشاط هؤلاء العلماء على النشاط الفكري والديني، بل تعدى ذلك إلى النشـاط السياسي والاجتماعي، إلى جانب مكانتهم العلمية المرموقة لذلك ليس من المستغرب أن يتقـرب إليهم السلاطين، نظرا لامتلاكهم القدرات الفكرية، والقوة المؤثرة في توجيه المجتمع، ومن هنـا حرص الملوك والسلاطين على دعم وتشجيع هؤلاء العلماء، كي يكون سندا لهم في بسط وتقوية نفوذهم، وتثبيت سلطتهم وإنشاء دولة إسلامية قوية تقارب في منهجها المنهج الإسلامي الحنيف،

---

(1) مدن الشام، ص173.

(2) المحبي، خلاصة الأثر، ج3، ص34. فرغلي، التاريخ والمنهج، ص93.

(3) العقل، أثر العلماء في تحقيق رسالة المسجد ، ص 14 -15.

وبالطبع كان هذا أيضا بغية العلماء، وهدفهم في إرساء دعائم الحكم الإسـلامي لـذلك بـرز العلماء في ميادين الوعظ والقضاء والإفتاء، وغيرها من مجالات الاتصال بالخاصة والعامة[1]، وظهرت أثارهم جليه في ذلك وأثرت على مجريات الأمور في الحياة الإسلامية إلى يومنا هـذا، وأضافت إسهامات جديدة وهامة في الحضارة الإسلامية زادتها رونقاً وسمواً.

(1) أنظر:المدني ، الحياة العلمية ، ص 192.

المبحث الثاني

دور العلماء في إدارة الدولة ووظائفها

كان للعلماء نصيب الأسد في إدارة الدولة ووظائفها، فبالإضافة إلى الوظائف الدينية الخاصة بهم، تولى الكثير منهم بعض الوظائف الحكومية، ووظائف سياسية وعسكرية هامة في السلطنة المملوكية، ولم يتبوأ العلماء هذه المناصب إلا لكفاءتهم وجدارتهم المنقطعة النظير وقد حرص سلاطين المماليك على توليه العلماء تلك المناصب، لثقتهم الكبيرة بهم وكان لا يتم التعيين في بعض تلك المناصب إلا بفرمان خاص من السلطان نفسه[1].

ومما يجدر ذكره أن المماليك قسموا الشام إلى سبع نيابات، أطلق عليها القلقشندى أسم الممالك العظام، وذكر منها دمشق، وحلب وطرابلس وحماه وصفد والكرك وغزة ويضاف إليها بعض النيابات المستقلة، كحمص[2].

ونتيجة لهذا التقسيم الإداري، جعل القلقشندى للوظائف الدينية نصيباً لا يستهان به في تلك النيابات، وقسم تلك الوظائف الدينية، بحسب أهميتها إلى ثلاثة أقسام، يتولى التعيين فيها السلطان وحده، مثل منصب قاضى القضاة، ومشيخة الخوانق والمدارس، ومشيخة الشيوخ ورياسة الطب وخطباء المساجد الكبيرة [3]

وأما القسم الثاني في الوظائف الدينية، فهي الوظائف المتوسطة، والتي يولي عادة فيها نواب السلطنة، ولا يتدخل السلطان في تعيينها إلا نادراً، كقضاء العسكر ، وإفتاء دار العدل والحسبة، ووكالة بيت المال، ومشيخة الشيوخ في النيابة[4].

وأما القسم الثالث فهي الوظائف الدينية الصغيرة، ويتولى فيه عادة بأمر من النواب في السلطنة كتدريس الصغار، والخطب في المساجد الصغيرة، ونظر المدارس والجوامع وغيرها[5].

---

(1) القلقشندى، صبح الأعشى، ج12، ص4.

(2) المصدر نفسه، ج12، ص 3-4 .

(3) ابن كثير، البداية، ج13، ص98. ابن العماد،شذرات، ج5، ص274. اليافعي، مرآة، ج4، ص139.القلقشندى، صبح الأعشى، ج12، ص3-4.

(4) القلقشندى، صبح الأعشى ،ج12، ص4.

(5) القلقشندى، صبح الأعشى ،ج12، ص4. الماردوي، الأحكام،ج1، ص236.

ونلاحظ استئثار السلطان بالتعيين في الوظائف الدينية الجليلة، وذلك لخطورتها وتأثيرها على العامة، ويستشف من ذلك أيضا أن الوظائف الدينية الأخرى كان تعيينها بيد النواب وهذا ما سمح للفساد الإداري والرشوة من التغلغل في بعض الدوائر المملوكية.

وقد خص سلاطين المماليك الشام ونياباتها بالعناية الكبيرة، وكانوا يتتبعون الوظائف الدينية والإدارية فيها، ويحرصون كل الحرص على أن يتولى فيها أكابر العلماء المشهود لهم بالورع والثقة والنزاهة [(1)].

وكان عندما يتولى أحد العلماء منصباً ما في الشام، يكتب له في فرمان التعيين من السلطان التوصية التالية " والأئمة العلماء هم إخوانك في الدين، وأعوانك على ردع المبتدعين ولسانك في المحفل وجناحك إذا جلسوا ذات اليمين وذات الشمال، فنزلهم منازلهم التي أحلهم ا في شرفاتها، وبوأهم رفيع غرفاتها، تألف خواطرهم فأنك تنظر إلى الكثير من الأمور في من خلال عيونهم[(2)].

وهذا يدل على مدى عناية السلاطين بأرباب الوظائف الدينية، وتأكيداً منهم على خطورة مناصبهم، وأثرها في حياة الدولة والناس، وحرصهم الشديد على أن يتولى المناصب الدينية وفروعها جمهرة من العلماء الأتقياء، لذلك ليس من المستغرب أن تجد أغلب المؤسسات الدينية السياسية، فيما عدا السلطنة والنيابة، يسيطر عليها العلماء والفقهاء.[(3)]

ومن جانب آخر نظر العلماء للولاية كواجب شرعي، يؤدونه كما أمر ا أن يؤدى ويوفون بعهد ا ، ويحرصون فيها على العدل وتحري الحق، وكانوا لا يقبلون الولاية، إلا على اعتقاد أن قبولهم للولاية، واجب متعين شرعاً لإقامة القسط بين الناس، وإنصاف الضعفاء من الأقوياء، فهم دائماً في أداء واجب يؤجرون عليه، لا في أداء وظيفة ينتفعون بها[(4)].

---

(1) القلقشندى، صبح الأعشى،ج12، ص5.

(2) المصدر نفسه، ج12، ص47.

(3)ابن كثير،البداية،ج13،ص93.ابن العماد،شذرات،ج6،ص43.ابن تغري،النجوم ،ج12،ص27.

(4) الحجي ، صور من الحضارة، ص 69. شبارو، قاضي القضاة ، ص42 .

ولعل أرقى الوظائف الدينية، كانت وظيفة قاضي القضاة، وتعد هذه الوظيفة أرفع الوظائف الدينية وأعلاها قدراً وأجلها رتبة [1]، وكان تولي ذلك المنصب يتم بناء على مرسوم سلطاني يصدر من السلطان شخصياً [2].

وقد ضمت مؤسسة القضاء، مجموعة من الوظائف الدينية، مثل كاتب القاضي ووظيفته تسجيل ما بين يدي القاضي من القضايا والأحكام، وكان ينوب النواب عن القاضي في النواحي، وذكر أن قاضي القضاة الشافعي في العهد المملوكي، ينوب عنه ما يفوق العشرة نواب وأكثر[3].

وكان ممن يلحق بوظيفة القضاء، وظيفة ما يسمى بالشهود، وحجاب القاضي وأعوانه عدا عن صاحب الشرطة، الذي ينفذ أمر القاضي، بالحبس أو التعزير؛ وعرف أيضاً وكلاء على أبواب القاضي كانت مهمتهم الحجابة وترتيب القضايا [4].

وقد تميز النظام القضائي في زمن المماليك، بحرص بعض سلاطين المماليك على الجلوس للقضاء، فالظاهر بيبرس كان يجلس في دار العدل لحضور المحاكمات، وخصص الناصر محمد بن قلاوون يومي الاثنين والخميس، للنظر في شكاوي الرعية [5].

وليس هذا فحسب، بل كان تقليد القضاة في الشام بالذات، يتم ضمن مراسم خاصة حيث يتم ذلك بعد وصول البريد من السلطان شخصياً، ومعه خلعة صوف، وبغلة لركوب القاضي، ناهيك عن الجوائز والأموال [6] ومارس القاضي إلى جانب منصب القضاء مهمات مثل تعيين القضاة وعزلهم، ومحاكمة الوزراء، وتسطير كتب بيعة وخلع الخلفاء، وعقد زواج السلاطين والخلفاء والأمراء، وأحيانا يتولون الحسبة والنظر في المظالم، فضلاً عن الفتيا [7] ونلاحظ من من ذلك عظم مكانه القضاة من خلال المهام الجليلة التي اضطلعوا بها في عهد الدولة المملوكية.

---

(1) القلقشندي، صبح، ج4، ص34.

(2) العليمي، الأنس، ج2، ص419.ابن العماد،شذرات،ج8،ص225.الحجي، صور من الحضارة ، ص69.

(3) المقريزي، السلوك، ج6، ص47. القدسي، دول الإسلام، ص43. الحجي، صور من الحضارة، ص67.

(4) القلقشندي، صبح، ج12، ص7 .

(5) المقريزي، الخطط، ج3، ص435. شبارو، قاضي القضاة، ص43، الحجي، صور من الحضارة، ص101.

(6) ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص 280.

(7) ابن كثير،ج14، ص262. ابن العماد، شذرات، ج6، ص236. شبارو، قاضي القضاة، ص107.

وقد روت بعض المصادر، أن بإمكان القاضي عزل نائب السلطنة، إذا أمعن في الظلم وسوء السيرة، وأخذ الأموال بغير الحق، ففي سنة 821هـ/1418م، كتب أهل طرابلس للسلطان المؤيد شيخ، يشكون إليه سوء سيرة نائبها وظلمه، ووقع قضاة الشام علـى تلـك العريضـة فعزلـه السلطان[1].

وكان لمن يتولى منصب القضاء ، نفوذاً كبيراً عند السلطان والأمراء، فكان يتوسط ويتدخل في كثير من الأمور، لعامة الناس والخلفاء والأمراء ويحلها [2].

ووجد أن الفقهاء والعلماء قد تولوا مناصب هامة، وتعددت الوظائف في أيديهم، فتاج الـدين عبد الوهاب بن بنت الأعز 659 هـ/ 1261م[3]، جمع بين الفقه، والخطابة والحسبة ومشيخة الشيوخ، ونظر الجيش ،وتدريس المذهب الشافعي، وإمامة الجامع، وكان بيـده خمـس عشـرة وظيفة، وتقلد الوزارة غير مرة [4].

وفي دمشق تولى قاضي القضـاة ابـن خلكـان 681هـ ـ/1282م ، الأوقـاف والجـامع والمارستان، وتدريس سبع مدارس، هي العادلية والناصرية

والنجيبة والركنية والاقبالية والبهنسية والبادرائية[5] في الشام [6].

و كان من ضمن صلاحيات العلماء، التوظيف في المدارس، وعزل المدرسين واستبدال غيرهم، فكان يعقد جلسات اختبار، لمن يترشح لأحد المناصب، ويمتحنه العلماء والفقهاء ويجيزوه، بـل تعدى ذلك الأمر إلى أن العلماء والفقهاء والقضاة، تمتعوا بصلاحيات كبيرة جدا فـي المجـس

---

(1) المقريزي، السلوك، ج4، ص438.

(2) شبارو، قاضي القضاة، ص117.

(3) هو القاضي: تاج الدين بن بنت الأعز العلائي الشافعي ، ولد سنة 604هـ / 1207 كان ديناً عفيفاً لا تأخذه تأخذه في ا لومة لائم جمع له القضاء في مصر والشام وتولى مناصب عدة، أنظر :الوافي بالوفيات ،ج3 ،ص413.

(4) ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص259، العيني، عقد الجمان، ج1، ص113، شبارو، قاضي القضاة، ص120.

(5) ذكرت هذه المدارس في الفصل الرابع من نفس الرسالة.

(6) ابن كثير ، البداية والنهاية، ج13 ، ص 312.

السلطاني، فكانت لهم الكلمة المسموعة، فيمن يتولى عـددا مـن وظـائف الدولـة الحكوميـة والعسكرية [1].

وشملت مسؤوليات العلماء، الواجبات السلطانية في نصحه، وبذل المشـورة، وتعزيـز العلاقات بين السلطنة والأمراء والجيش، ومهمات الحكم والإفتاء، والشورى، إلى جانب التدريس في المدارس، والجوامع والخانقاوات[2].

وقد رتب القلقشندي الوظائف الجليلة، التي اضطلع بها العلماء دون غيرهم فذكر منهـا قضاء العسكر، وعين له أربعة قضاة على المذاهب الأربعة، وإفتاء دار العدل وهي الجلوس في دار العدل لحل الخصومات، وكذلك الحسبة ووكالة بيت المال وهي كما ذكر القلقشندي وظيفـة "عظيمة الشأن رفيعة المقدار "، والخطابة وهي من أنفس الوظائف على حد قول القلقشـندي ، والإمامة بالجوامع والمساجد والمدارس والتدريس بأنواعه[3] .

وذكر من الوظائف أيضاً وظيفة التصدير، وموضوعها الجلوس بصدر المجلس فـي الجـامع لقراءة القرآن، وتفسيره ووعظ الناس، ومن الوظائف التي ذكرها صاحب كتاب صبح الأعشـى وظيفة النظر مثل نظر الاحباس [4]، ونظر الأوقاف، وهي مراعاة وتتبع الوقف وتعهد دوامة في في خدمة الموقوف عليه، من المساجد وغيرها من المؤسسات، وهناك جملـة مـن الوظـائف الصغيرة، ذكرها القلقشندي تتبع الوظائف الكبيرة، من كتبه وحجاب ونظـار وأئمـة وخطبـاء ومدرسين وغيرهم [5].

وكان العلماء هم الصفوة الإدارية، والاجتماعية والدينية، وكانت وظائفهم ترتبط بجميع شـرائح المجتمع، بحكم امتداد الشرع والفقه في الشؤون الاجتماعية، والعائليـة والتجاريـة والتعليميـة والإدارية [6] وغيرها من مجالات .

---

(1) الحجي، صور من الحضارة ، ص 98.

(2) ابن كثير، البداية والنهاية ج13 ، ص259. الحجي ، صور من الحضارة ، ص 102.

(3) القلقشندي، صبح ،ج4 ، ص34-35.

(4) نظر الأحباس :هي وظيفة عالية المقدار ،يهتم من يليها في رزق الجوامع والمساجد والربط والزوايا والمدارس، ينظر:القلقشندي صبح ،ج4، ص38.

(5) صبح الأعشى، ج11، ص 202- 262.

(6) لابيدوس، مدن الشام، ص 174. زيادة ، دمشق في العصر المملوكي ،ص156.

فقد كان من مهام العلماء والفقهاء المحاسبة والإدارة في المساجد والمدارس والجمعيـات فهـم القضاة والمحامون والشهود، ومحترفي الوظائف الحكومية ، ومنظمين للخزينة، وهـم النخبـة المهنية والمثقفة في المدن، احترف الكثير منهم الوظائف المالية والديوانية لكونهم كتاباً محترفين، ومحاسبين مؤهلين، وعلماء فقهاء، أصحاب علوم متخصصة [1].

وقد ذكر ابن تغري بردي أن العلماء والفقهاء، أسندت إليهم وظائف ديوانيـة كـديوان الإنشاء وكاتب السر في السلطنة [2]وكذلك وكالة بيت المال وهـي وظيفـة عظيمـة الشـأن موضوعها التحدث فيما يتعلق بالمبيعات والمشتريات من مصالح[3] وهي وظـائف غايـة فـي السمو والأهمية.

بل مارس العلماء مهن أخرى مثل الصناعة والتجارة وغيرها، فقد كان بعض العلمـاء تجارا يكسبون جزءا من معيشتهم من التجارة، ومارس الكثير منهم عمل الموظفين والمفتشـين ومراقبين للأوقاف، وقد كان في مدن الشام وحدها أكثر من مائتين وخمسة وعشـرون عالمـاً تاجراً، وبرعوا بالإضافة إلى ذلك في علم الحديث، والفقه وشتى علوم الشريعة [4]، وذكر نقولا زيادة أن وظائف مثل صناع الزجاج، والحديد والنحاس، ومصانع السكر، ونظار سوق العبيـد، وسوق الخيول كانت بيد أهل الثقة والخلق [5].

ومارس بعض العلماء المهن الحرفية، كالعمال والبنائين، وعمال الحجـارة والنجـارين والنحاسين، وصناع الصابون، وكان الصيادلة بوجه خاص من العلماء، كذلك صناع الأسـرجة والنساج والحدادين وصناع الحبال والخياطون وغيرهم [6].

ولم تثنهم هذه الأعمال أو تثقل بهم عن وظيفتهم الأساسية، وهي الدعوة الى ا والأمـر بالمعروف والنهي عن المنكر، بل زادتهم تواضعاً وتقوى، و برأي الباحث أن بعـض العلمـاء امتهن مثل هذه المهن، حتى يكون بمنأى عن مغريات السلطنة ، تورعاً لدينهم مـن أن يتولـوا

---

(1) لابيدوس، مدن الشام، ص175.

(2) النجوم الزاهرة، ج2، ص341.

(3) القلقشندي،صبح،ج4، ص36.

(4) المصدر نفسه، ج4، ص36. لابيدوس، مدن الشام ، ص 175.

(5) زيادة، دمشق في العصر المملوكي، ص159– 163.

(6) لابيدوس، مدن الشام، ص176، زكار، الموسوعة، ص563.

الوظائف الدينية والديوانية الحكومية لما فيها من مفاسد الإدارة والرشوة خصوصاً فـي أواخـر العهد المملوكي.

ولو استعرضنا وظيفة دينية، مثل وظيفة الحسبة، لوجدنا القائمون على أمرها من كبـار العلماء الثقات، أهل الفقه والورع ويعاونهم العرفاء بالصناعات، وغالبا ما يكونـون مـن أهـل الصناعات والحرف ويكونوا محل ثقة العلماء، ونظار الحسبة من الفقهاء وتغلب علـيهم صـفة التدين لأن وظيفتهم الأساسية الأمر بالمعروف والنهي المنكر[1].

وقد مارس بعض العلماء كتابة الشعر وخاصة المتصوفة منهم وبرع بعضهم في الأدب والتاريخ و ألفوا الكتب واتخذوا من التأليف مهنة ظهرت على أثرها في دمشق مهن النسـاخ والـوراقين والكتبة وغيرهم [2].

وبلغ من نفوذ العلماء ووظائفهم ، أن السلطان ينصاع غالبا لإرادتهم ، ويرجـع جـواب السلطان لهم بما يختارون [3] ، وليس من المستغرب ازدياد نفوذ الفقهـاء فـي عهـد الدولـة المملوكية ، فقد ذكر ابن حجر أن الفقهاء والعلماء أصبحوا في منعة وقوة ورفعة ورهبـة فـي الجانب [4].

ولعل قول ابن حجر ذلك، مرده إلى عناية المؤسسة المملوكية ، بشريحة العلماء حتـي وصلوا إلى ما وصلوا إليه من نفوذ وقوة، فلولا سياسة سلاطين المماليك الدينية لأصبح العلماء، من شرائح الشعب المظلومة والمغيبة عن الأحداث .

وذكرت بعض المصادر أن بعض العلماء كابن خلكان، تولى أقاليم كاملة من الدولة المملوكيـة فقد عينه الظاهر بيبرس في حكم الشام من العريش إلى الفرات وأوكل إليه النظـر فـي جميـع أوقاف الشام ، من الجامع إلى المارستان والمدارس عدا عن التدريس والفتيا [5].

---

(1) القلقشندى، صبح الأعشى، ج12، ص4. زيادة ، دمشق في العصر المملوكي، ص171.

(2) الكتبي، فوات، ج4، ص54. الصفدي، الوافي، ج6، ص168. زيادة، دمشق في العصر المملوكي ، ص 171 ص 196.

(3) ابن حجر، إنباء الغمر، ج7، ص299.

(4) المصدر نفسه، نفس الجزء والصفحة.

(5) المقريزي، السلوك، ج1، ص538- 539.

بالطبع كان يعاون أمثال العالم ابن خلكان، مجموعة كبيرة من الموظفين مثـل النـواب ومن دونهم من الوظائف فقد بلغ بعض نواب القضاة ما يفوق العشرون نائباً[1].

وليس هذا فحسب، فقد رشح ابن حجر العسقلاني لنيابة السلطنة في اليمن بأسرها وعين مـراراً في قضاء الشام ، ومصر واليمن [2] .

ولم يكن العلماء يحرصون على تلك الوظائف، بل كان السلاطين من يفـرض علـيهم القبول بها وقد رفض الكثير منهم تلك المناصب الكبيرة تورعاً لدينهم واشترط بعضهم شروطاً قاسية على السلطان لقبولهم تلك المناصب.[3]

فقد ذكرت بعض المصادر أن القاضي تاج الدين بن عبد الوهاب الأعز اشترط على السـلطان شروطا أغلظ فيها حتي يعفيه السلطان من المنصب ، ولكن السلطان قبل بشروطه لعلمه وثقتـه فيه [4].

وغالباً يتولى العلماء تلك الوظائف على مضض، لأنهم يدركون أن القرب من السلطان فيه مافيه من المفاسد والإغراءات، وكم فتن الكثير منهم وباءوا بغضب من ا وبغض من النـاس، لذلك سارع كبار العلماء بالتخلي عن وظائفهم، إذا لمسوا فيها تـأثيراً علـى ديـنهم وسـمعتهم وإرادتهم.

وقد بلغ من نفوذ وقوة العلماء ، أن بعض السلاطين تهيبوا منهم السـيطرة علـى الحكـم والناس ، فقد ذكر أن السلطان الناصر محمد ، استدعى شيخ الإسلام ابن تيمية ، لشكوك أثيرت حوله أقلقت السلطان، ومن ذلك التفاف الناس حوله ، فصرح السلطان له بأنه يريد الحكم ، فقال ابن تيمية : " وا إن ملكك وملك المغول ، لا يساوي عندي فلسين " فاطمئن خـاطر السـلطان وتبسم [5].

---

(1) ابن حجر، انباء الغمر،ج3، ص 14، ابن كثير، البداية والنهاية ، ج13 ،ص 336.

(2) القنوجي، أبجد العلوم،ج3،ص9.عز الدين، التاريخ والمنهج، ص 172 – 173.

(3) ابن حجر، الدرر، ج1، ص546.

(4) المقريزي، السلوك، ج2، ص236.

(5) البزار، الأعلام العلية، ص 72.

وجري بالسلاطين وأهل الرياسة الخوف على حكمهم ونفوذهم، مـن العلمـاء فالظـاهر بيبرس تهيب من العز بن عبد السلام، ولم يتنفس الصعداء إلا بعد موته[1]، وهذا برأيـي كـان احتراما ورعاية لحق العلماء الذي تربى عليه السلاطين المماليك العظام ،منذ صغرهم.

ومما لاشك فيه أن تلك المرتبة التي تبوأها العلماء، كانت لا ترضي كثير من المحيطـين بهم من الأمراء والإداريين، الذين وجدوا فيهم المنافسين الحقيقيين علـى نفـوذهم والاسـتئثار بالسلطان دونهم، لذلك كادوا لهم وشوهوا صورهم أمام السلاطين، فقد عـانى بعـض العلمـاء المخلصين، من تسلط بعض الأمراء وكبار الإداريين في الدولة وإيذائهم .

فذكر أن شرف الدين النشو [2] بعث إلى القاضي محمد بن ابي بكر الاخنائي المالكي[3]، وطلب منه أموال الأيتام فرفض الأخير طلبه، فما كان من النشو إلا أن أوغر صدر السـلطان عليـه واتهمه بسرقة أموال الأيتام وتعرض للمسائلة والتهديد [4].

وإذا كان العالم ذو مكانه رفيعة لا يستطيع منافسوه الوصول إليه فتكوا بأتباعـه ونوابـه ونكلوا بهم للضغط على العالم ليرضخ لهم [5] ، مثلما فعلوا مع القاضي نـورا لـدين إبـراهيم الاسنائي[6]، الذي طلب منه تسليم أموال الزكاة، فقال لهم أن أموال الزكاة تفرق علـى الفقـراء فلم يلبثوا أن سعوا في عزله وعزل نوابه والمضايقه عليه حتى عزل [7].

وغير ذلك الكثير من الأمثلة والصور التي تدل على تحمل العلماء الإيذاء في قوله كلمـة الحق ، وابتعاد الكثير منهم عن المناصب الحكومية خوفاً على دينهم وإرادتهم .

---

(1) السبكي، طبقات الشافعية، ج8، ص215. المقريزي، ج1، ص403 – 404.

(2) هو عبد الوهاب بن فضل ا شرف الدين النشو، خدم مع الأمير بكتمير، ثم أصبح ذو مكانة عند الناصر محمد وولاه نظر الخاص، فتكبر وطغى وأكثر من المصادرات وبطش به السلطان الناصر محمد وقتله عام 740هـ /1239م ينظر ابن حجر، الدرر ،ج3 ،ص 42.

(3) هو القاضي محمد بن ابي بكر الإخنائي المالكي،عرف بفضله،وعلمه ،تولى قضاء المالكية في مصر والشام، وعزل بسبب مواقفه الجريئة على أهل الباطل، ينظر ابن حجر ، الدرر،ج3،ص67.

(4) المقريزي، السلوك، ج2، ص393.

(5) المقريزي، السلوك، ج2، ص458-459.

(6) ابراهيم بن هبه ا الحميدي، الاسنائي الشافعي، درس الفقه وناب في مصر، وتولى القضاء، حتى عزل نفسه عام 721هـ/1321م ينظر ابن حجر ـ الدرر، ج1 ، ص 76.

(7)المقريزي ، السلوك ، ج2 ، ص 490.

وقد كانت تحدث أحيانا أزمة ثقة، بين كبار الإداريين والأمراء من جهة، والعلماء والفقهاء من جهة أخرى، خصوصاً إن العلماء كانوا يقفون في وجه الأمراء والإداريين عندما يظلمـون العامة، أو يتعسفون في وظائفهم ، لذلك لم يخشوا من الطعن فـي كفـاءات كبـار الإداريـين ونزاهتهم، بل وصفوهم بالسوء وعدم الدراية، وقد اختلفت ردود الفعل السلطانية إزاء مثل هـذا الموقف حسب مكانة أولئك الإداريين.[1]

وتذكر الحجي وهي أحد الباحثين المحدثين، أن سلاطين المماليك حرصـوا علـى توليـة العلماء والفقهاء المناصب الحكومية والدينية، لإضفاء شرعية على حكم المماليك ولإعطاء الحكم صفة دينية، حتي يستطيعون التقرب من الناس ، والقول لهم أنهم أصحاب سلطة زمانية ودينيـة يجب احترامها [2].

ويرى الباحث أن رأي الباحثة الحجي ليس قاعدة أساسية، بل كانت أغلب فترات الحكـم المملوكي تتخذ من الإسلام والتدين منهج حياة؛ وحرص أغلب سلاطين المماليك على النـواحي الدينية، بسبب تدينهم ورغبتهم في رفعة الدين، وحماية الشرع، ورفع راية الجهاد في سبيل ا ، قد ذكرت لنا بعض المصادر سيرة حياة بعض سلاطين المماليك في التدين، حتى تخـال نفسـك تقرأ عن الخلفاء الراشدين في الورع والتقوى.

وبعد استعراض دور العلماء في إدارة الدولة ووظائفها، يتساءل المرء هل اقتصـر دور العلماء والفقهاء على القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وانشغالهم بالتدريس والخطابة، والوظائف الحكومية، أم كان لهم دور آخر يزيدهم رفعة وسمواً على سموهم بالتأكيد هذا مـا سنعرفه في المبحث القادم في دور العلماء الجهادي.

---

(1) المقريزي، السلوك، ج2، ص393. الحجي، صور من الحضارة ، ص 114.

(2)أنظر،. الحجي ،صور من الحضارة ، ص 122.

المبحث الثالث

دور العلمـاء الجهـادي

ورثت الدولة المملوكية، فكرة الجهاد عن الدولة الأيوبية، وسارت علـى نهجهـا فـي تحقيق ذلك الحلم، الذي بدأه زعماء حركة الجهاد الإسلامي ضد الصليبين، أمثال عمـاد الـدين زنكي، وأبنه نور الدين محمود، وصلاح الدين الأيوبي ومن بعدهما من المجاهدين، وقد دأبـت الدولة المملوكية، على توحيد كلمة المسلمين ووقوفهم صفا واحدا لإنقاذ العالم الإسـلامي مـن الخطر المغولي المدمر، ومن ثم تصفيه بقايا الوجود الصليبي في بلاد الشام.

لذاك جاء سلاطين المماليك وساروا على نهج الدين، وأخلصوا النية وحدة، وجددوا دعوة الجهاد ضد أعداء الإسلام، حتى تمكنوا من قهر المغول والصليبين معاً[1]، والـى جانـب ذلك فإن سلاطين المماليك، قاموا بتجديد دعوة الجهاد الإسلامي، ودفع المسلمين إلـى أداء هـذا الواجب فقد عرف عن مجالس سلاطين المماليك، إنها كانت لا تخلوا من الحديث عن الجهاد ، والاهتمام بشؤونه وذكر فضائله، وأساليب التأهب والاستعداد له[2].

ويدلنا على ذلك قول السلطان المظفر قطز، في أحد مجالسه، لمن تردد من أمراءه فـي الخروج معه لملاقاة المغول في عين جالوت، فقال:" يا أمراء المسلمين لكم زمان تأكلون أموال بيت المال، وأنتم للغزاة كارهون، وأنا متوجه فمن اختار الجهاد يصحبني، ومن لم يختـر ذلـك فليرجع إلى بيته، فإن ا مطلع عليه وخطيئة حريم المسلمين في رقاب المتأخرين "[3].

وقد واصل المماليك جهادهم ضد الصليبين والمغول، ففتح الظاهر بيبرس كثيـرا مـن مدنهم ، وأهمها قيسارية[4]، وأرسوف[5] وصفد وطبرية ويافا وغيرها، وفتح المنصور قلاوون طرابلس، وعزم على حصار عكا ولكن المنية عاجلته[6]، وخلفه ابنه الأشرف خليل قـلاوون ، فحاصرها نحو شهر حتى فتحها وكانت عكا أخر معقل للصليبيين في بلاد الشام فلما فتحها سلم

---

(1) الغامدي، جهاد المماليك، ص 289.

(2) القرماني، أخبار الدول، ج2 ، ص269. الغامدي ، جهاد المماليك ، ص291.

(3) ابن كثير، البداية والنهاية ، ج13 ، ص250 ، القرماني ، أخبار الدول ، ج2 ، ص269.

(4) قيسارية بالفتح ثم السكون وسين مهملة وبعد الألف راء ثم ياء مشددة بلد على ساحل بحر الشام تعد في أعمال فلسطين بينها وبين طبرية ثلاثة أيام. أنظر:الحموي :معجم البلدان ج4،ص421.

(5) أرسوف :مدينة على ساحل بحر الشام بين قيسارية ويافا.أنظر:الحموي،معجم، ج1،ص151.

(6) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ، ج7، ص321 -325.

ما بقى من أيديهم من المدن في ظرف شهرين دون مقاومة، وقضى علـى دولـتهم القضـاء الأخير[1].

وكان للعلماء والمدرسين والصلحاء دور مشهود في فتح عكـا، حيـث جـروا عجـلات المنجنيقات، واجتمع الناس مع فقهاءهم في الجوامع لقراءة صحيح البخاري والدعاء للمسلمين[2].

وعلى جبهة المغول كان تصدي المماليك للزحف المغولي، يبرهن على جهاديـة الدولـة وحرصها على سلامة الأرض الإسلامية، وتتوج نصرهم على المغول في معركة عين جالوت، وانتصارات الناصر محمد ومن بعده من السلاطين المجاهدين، وهكذا واصل المسلمون الجهـاد حتى استردوا ما أغتصبه الصليبيون من بلادهم، ولم يهنوا امتثالا لقوله تعـالى "ولا تهنـوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين "[3] واستمر جهادهم واثقين بوعد ا للمجاهـدين فـي سبيله بالنصر، حيث يقول جل شأنه "ولينصرن ا من ينصره إن ا لقوي عزيـز"[4]. فكانـت الدولة المملوكية بحق دولة مجاهدة، أخذت على عاتقها تحرير المقدسات، والدفاع عن الـديار الإسلامية.

بيد أن هناك من كان له دور فاعل وواضح في دعم فكرة الجهاد في سـبيل ا ، ألا وهـم العلماء، فقد جاهدوا بأنفسهم وأموالهم ،وحثوا الناس على الجهاد في المساجد والمحافل، وفي كل مكان، وهذا الدور كان يزداد أهمية مع ازدياد الحملات الشرسة من التتار والصـليبيين علـى المسلمين ومقدساتهم .

فالعلماء والفقهاء هم سادة الجهاد، بل كان حثهم ووعظهم وإرشادهم للجنـود والعامـة من أهم وسائل النصر والتمكين[5] .

فقد بينوا فضل الجهاد والمجاهدين عند ا ، وشحذوا الهمم من خلال الخطب وتلاوة القـران والوعظ والإرشاد، مما كان له بعيد الأثر في نفوس المسلمين، وكان للعلماء دور ضاغط علـى

---

(1) أبو الفدا، المختصر، ج4، ص 24 . ابن كثير،البداية،ج13،ص356.
(2) ابن كثير ،البداية،ج13ص358.
(3) سورة الأعراف ، آية 139.
(4) سورة الحج ، آية 40.
(5) البدري، الإسلام ، ص 8.

الحكام، عندما يتقاعس بعضهم عن نصرة الدين، فيعتلون المنابر يحثون الناس علـى الجهـاد، ويذكرونهم فضل الشام وبيت المقدس، من أجل إثارة حماستهم للجهاد[1].

ومما يجدر ذكره، أن المساجد كانت دائما منطلقا للجهاد في سبيل ا ، وبها يجتمـع القـادة العسكريون، والمجاهدون في سبيله، وتنطلق منه روح المقاومة والاستشهاد[2].

فالهجمة الشرسة على فلسطين والشام من الصليبيين مثلا اصـطدمت بالعلمـاء والفقهـاء والمجاورين من العلماء والزهاد، وكان الكثير منهم يستشهد في تلك الحملات والمعارك[3] .

وليس من المستغرب أن أخر من بقي في مواجهة الصليبيين في المسجد الأقصـى العلمـاء والفقهاء والعباد، وحملوا السلاح إلى جانب حملهم لأمانة تبليغ الشريعة وتبصر النـاس بـأمور دينهم ودنياهم.

وعرف عن الشام أنها شهدت أغلب الاصطدامات العسكرية مع الصليبيين والتتار وشهدت أعظم الحروب والمعارك المصيرية ، كمعركة حطين[4] بين المسلمين والصليبيين في العصـر الأيوبي، ومعركة عين جالوت[5] بين المسلمين والتتار في عصر المماليك وغيرها من المعارك الهامة[6] .

لذلك كان من البديهي أن يكون العلماء والفقهاء في مقدمة الصفوف لمواجهة هذا العدوان[7].

العدوان[7].

وقد إشترك عدد كبير من الفقهاء والعلماء في فتح بيت المقدس وقصده العلماء مـن مصـر والشام[8]، بل كانت رحلة كثير من العلماء الكبار إلى الشام ورباطهم في القدس لأكبر دليل على

---

(1) الماوردي ، الأحكام ج1 ، ص 30. بدران، منادمة الأطلال،ص409. النقلي، الجهاد ضد الصليبيين،281 .

(2) الفراني، المقاومة الشعبية ، ص149.

(3) ابن الأثير، الكامل في التاريخ ، ج9 ، ص19.

(4) وقعة حطين سنة 583هـ بين المسلمين والصليبيين انتصر فيها المسلمين وحررت بيت المقدس على يد صلاح الدين الأيوبي، أنظر:ابن كثير ،البداية،ج12،ص،221. ابن خلدون،تاريخ،ج5،ص424.

(5) وقعة عين جالوت سنة 658ه بين المسلمين والتتار وقائد المسلمين فيها سيف الدين قطز وانتصر فيها المسلمين وحرر الشام من التتار، انظر:ابن كثير البداية،ج12،ص320.العليمي،الأنس،ج1،ص321.

(6) القطان، شيخ الإسلام ، ص 48 ، الفراني ، المقاومة الشعبية ، ص 150.

(7) النقلي، الجهاد ضد الصليبيين،ص145.

(8) المقريزي، السلوك، ج2، ص49. القطان ، شيخ الإسلام ، ص 49.

جهادهم ورباطهم، فالعلماء أمثال شمس الدين الـذهبي ت 748 هـ ـ/1413م مـؤرخ الشـام، والعلامة شهاب الدين بن حجي فقيـه الشـام ت816هـ ـ/1413م، وجمـال الـدين البلغـي ت694هـ/1299م، وكذلك العالم البدر العيني، وعلاء الدين السيرامي ت1391/790م، شمس الدين القلقشندي وبدر الدين بن مكي ومحمد المنبجي ومحمد بن عمر بن موسى، وفي دمشق بدر الدين بن قوام البالسي وفاطمة بنت المنجا التنوخية وفاطمة بنت عبد الهادي وعائشة بنت عبـد الهادي ، وابن حجر العسقلاني وابن الهائم المصري وغيرهم الكثير جاوروا ورابطوا في القدس تثبيتا لقلوب المؤمنين أمام الصليبيين والتتار[1] وهذا دليل واضح على دورهم الجهادي.

وكان العلماء يشاركون بأنفسهم في الجهاد في سبيل ا ، ويقومون بالقتال ومهام الحراسة والتعبئة، وحث الناس على الجهاد وشاركوا في حصار القلاع الصليبية مراراً وتزيـوا بـزي الجند وخلعوا العمائم[2] .

ففي عهد الظاهر بيبرس شارك العلماء والفقهاء معه في حصار وفتح يافا وأرسوف من مدن ساحل الشام[3] وفي عهد المنصور قلاوون، تطوع الآلاف من المتطوعين مـن الصـلحاء والعلماء في تحرير الساحل وطرابلس كان جلهم من القدس ومدن الشام[4]، وعند فتح عكا فـي عهد الأشرف خليل قلاوون، ساهم الفقهاء والمدرسين والصلحاء في عسكر الشـام لفـتح عكـا وحصارها[5].

وعرف عن أغلب سلاطين المماليك، أنهم عندما يعقدون مجالس الشـورى لمواجهتـه الأعداء، كان العلماء والفقهاء أول المستشارين، ومن ذلك أن السلطان قايتباي المحمودي عقـد مجلس شورى عندما وفدت إليه أخبار هزيمة جيش السلطان فـي الشـام، وكـان علـى رأس المستشارين الفقهاء والعلماء والمشايخ والقضاة الأربعة[6]، وهذا يـدلل علـى أهميـة علمـاء المسلمين في ساعات العسرة، وذكر أن شيخ الإسلام ابن تيمية، كان إذا حضـر مـع عسـكر المسلمين في الجهاد يكون بينهم، فإذا رأى من بعضهم هلعاً أو جبنـاً شـجعه وثبتـه، ووعـده

---

(1) ابن العماد، شذرات الذهب، ج7، ص271. علي، القدس، ص123.

(2) ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص28. النقلي، الجهاد ضد الصليبيين، ص177.

(3) ابن تغري، النجوم الزاهرة،ج7 ص95 .

(4) ابن كثير، البداية والنهاية، ج13 ، ص349.

(5) ابن كثير، البداية والنهاية ، ج13، ص 356.

(6) عبد التواب، قيتباي المحمودي ، ص49.

بالنصر، وبين له فضل الجهاد والمجاهدين، وكان إذا ركب الخيل يجول في صـفوف الأعـداء كأعظم الشجعان[1].

وليس ابن تيمية من تصدى لذلك وحده بل شاركه العديد من العلماء في تلك المهام الجليلة فكان الشيخ دقيق العيد، مفتي الديار المصرية ومعه ثلة من العلماء يخترقون، صفوف الجنـد ليبثـوا فيهم روح الحماس وحب النصر، فقويت بذلك عزائمهم على الثبات[2].

وكذا الحال في البعوث والحملات العسكرية، حيث كان للعلماء دور واضح في مرافقـة تلك الحملات، لقمع مثيري الفتن، من أصحاب المـذاهب الهدامـة واجتثـاث بـذور التشـيع والزندقة[3].

وبرهن العلماء على ثباتهم وصبرهم وشجاعتهم، أمام العدوان المغـولي علـى دمشـق حيث خرج سكان دمشق هاربين أمام الزحف المغولي المدمر، ولم يبق إلا ثلـة مـن العلمـاء يحثون الناس على الصبر والثبات[4]، ولا ننسى أن الخليفة العباسي المستعصم بـا ،[5] أرسـل الشيخ نجم الدين البادرائي[6]أحد العلماء المشهورين في مهمة جليلة للإصلاح بين الملك الناصر الأيوبي صاحب حلب ودمشق، وعز الدين أيبك السلطان المملوكي، واستطاع الشيخ الإصـلاح بينهم، قبيل الغزو المغولي في عام 651هـ/1253م[7].

وظهر نفوذ العلماء الروحي على جماهير العامة، وتحريك قوتهم فكانت أغلـب الوفـود التي تطلب النصرة من سلاطين بغداد ومصر والإمارات الشامية، عبارة عن وفود شعبية علـى رأسها العلماء، تذكر الحكام والسلاطين بأمانة تحرير الأقصى وفلسطين والشام عموما[8] .

---

(1) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج14 ، ص28.

(2) المصدر نفسه، ج13، ص233.

(3) المصدر نفسه، ج14، ص37 ، القطان، شيخ الإسلام ، ص51.

(4) ابن كثير، ج 14، ص36. القطان ، شيخ الإسلام ، ص50.

(5) هو: آخر خلفاء بني العباس ببغداد وهو الخليفة الشهيد الذي قتله التتار بأمر هلاكو بن جنكيزخان ، سنة 656هـ ،أنظر:ابن كثير، البداية والنهاية ج13،ص160.

(6) هو:أبو الحسن محمد بن عبد ا بن الحسن بن عثمان البادرائي الشافعي،ت655هـ كان فقيهاً عالماً انشأ المدرسة البادرائية ينظر:ابن العماد ،شذرات ،ج5، ص296.

(7) المقريزي، السلوك،ج1، ص382.

(8) ابن كثير، البداية والنهاية،ج14، ص14. حسان، دور العلماء، ص31.

وكان للفقهاء والعلماء دور كبير، في ترغيب الناس في الجهاد، وإرشادهم إلى فضـائله، وفـي هذا الشأن يذكر ابن كثير أنه عام 697هـ/1299م جمع ابن تيمية الناس وحرضهم فيـه علـى الجهاد، وبالغ في ذكر أجور المجاهدين[1].

كما حرص سلاطين المماليك، على أن يصحب الجيش المؤذنـون والقـراء والوعـاظ لإشعال الحماس في نفوس المقاتلين أثناء القتال، وحثهم على الجهاد وتشـويقهم للجنـة وبـادر الشعراء في رفع الهمم، بشعرهم الديني الجهادي، حيث انشأ شهاب الدين أبو شامة [2] قصـيدته في أثناء تحرير دمشق من المغول فقال:

غلب التتار على البلاد فجاءهم	من مصر تركي يجود بنفسه
بالشام أهلكهم وبدد شملهم	ولكل شيء آفة من جنسه[3]

وحتى أن المحتسب الذي يعد من الفقهاء والعلماء، حث الناس على النفير للجهاد فكان المحتسب وأعوانه ينادون في الطرقات إلى النفير والجهاد[4] و كان للحسبة دور فاعل ومصيري ومصيري في الحث على الجهاد والنصر، وقد أدرك سلاطين المماليك دور المؤسسـة الدينيـة فرفدوها بكامل الدعم والمساندة؛ على أن التوعية بأهمية الجهاد في سـبيل ا ، لاقـى زخمـا منقطع النظير، فقد ذكر الباحث الغامدى، أن الاجتماعات والمجالس والمؤلفات، التي يـتم فيهـا الحث على الجهاد، واستنهاض عزائم الناس للخروج في سبيل ا ، بلغت الشيء الكثير، وذكـر أن أغلب العلماء قد ألفوا وجمعوا الآيات والاحاديث التى تدل على أهمية الجهاد ومشروعيته[5].

ومشروعيته[5].

---

(1)ابن كثير، البداية والنهاية ، ج14، ص35.

(2) هو عبد الرحمن بن إسماعيل بن عثمان المقدسي العالم المؤرخ الفقيه المعروف بأبي شامة شيخ دار الحديث الحديث في المدرسة الأشرفية بدمشق ،صاحب كتاب تاريخ دمشق، وشرح الشاطبية، ت665هـ أنظر:الكتبي ،فوات الوفيات،ج1، ص527.

(3) ابن تغري، النجوم الزاهرة، ج7، ص82. الصفدي، الوافي،ج24، ص190.الغامدي، جهاد المماليك، ص293.

(4) أبو شامة، تاريخ دمشق، ج4، ص220.

(5) تطرق الكاتب في كتابه جهاد المماليك لأسماء العلماء ومؤلفاتهم وأسماء الكتب التي تحدثت عن الجهاد ينظر ينظر كتابه جهاد المماليك ص 295 ، وما بعدها.

على أنه وجد جهاد للعلماء من نوع أخر، كان له أثر بالغ وهام جدا في تصويب مسيرة الأمة الإسلامية، ألا وهو جهادهم ضد الطغاة والحكام والأمراء وكبـار رجـال الدولـة مـن الموظفين وأصحاب الرتب العلية، وتعرضوا في سبيل كلمة الحق إلى المحن والخطوب وفقـدوا في سبيل ذلك النفس والولد والمال؛ على أن ذلك لم يثنهم عن أداء رسـالتهم والوقـوف إلـى جانب الشعوب المقهورة وحقوق الناس، حتى حسب لهم سلاطين المماليك ومن هو أدنى مـنهم ألف حساب.

وقد عرف عن العلماء مواقفهم الواضحة في وجه السلاطين والحكام، فكانوا يغلظـون عليهم الكلام وشدة الإنكار، وعظيم المحاسبة، وقد وصفوا بعض الحكـام بـالظلم والجبـروت والغرور، وعاصر العلماء العديد من سلاطين المماليك فكانوا لهم خير بطانة، وحثـوهم علـى رعاية شؤون الإسلام والمسلمين، وإعلان الحرب على أعدائه والدفاع عـن بيضـته وحمايـة حماه[1].

بيد أن كثير من العلماء لاقى في سبيل ذلك السجن، والنفـي و التعـذيب والمصـادرة وأحيانا القتل، والأخذ الأليم، وذكر لنا التاريخ نماذج كثيرة من وقوف العلماء في وجه السلاطين والحكام الظلمة وأعوانهم، فمن ذلك وقوف العلامة محيى الدين النووي[2] في وجـه السـلطان الظاهر بيبرس، عندما أراد أخذ مال الرعية ليستعين به على غزو التتار، فجمع العلماء لأخـذ فتواهم في ذلك فأجازوه إلا النووي رفض أن يجيز ذلك، وطرده الظاهر بيبـرس مـن الشـام ورفض النووي وساطة العلماء في الرجوع إلى الشام[3].

وخرج العلماء والفقهاء في دمشق، ومعهم الكثير من الفقراء والصوفية لإزالة الخمـور والمنكرات وهدموا العديد من الخمارات، وعنفوا أصحابها وكاتبوا السلاطين وأغلظوا عليهم[4]، وهذا يدل على مدى قوة ونفوذ العلماء، وكان بعض السلاطين يتوجس ريبة، من نفـوذ العلمـاء على الناس ويتخوف من تأثيرهم على الناس فيطيعونهم، فذكرت بعض المصادر كما أسلفنا سابقاً

---

(1) ابن كثير، البداية والنهاية،ج14، ص14.البدري، الإسلام بين العلماء والحكام ص96 ، النقلي، الجهاد ضد الصليبيين،281.

(2) هو يحيى بن شرف بن حسن بن حسين الحوراني الدمشقي الملقب بمحيي الدين النووي صاحب كتاب الأربعين النووية ولد سنة 631هـ ، وعرف عنه الورع الشديد والعلم وتعرض للمحن بسبب وقوفه في وجه السلاطين ينظر الصفدي، والوافي بالوفيات ،ج5، ص221.

(3) أبن إياس ، بدائع الزهور، ج1، ص337 .

(4) ابن طولون ، مفاكهة الخلان ، ص30.

أن السلطان الناصر محمد طلب ابن تيمية، فلما حضر بين يديه قال له : بلغني أنك أطاعك الناس وفي نفسك أخذ الملك، فرد عليه ابن تيمية وهو مطمئن وبصوت عالٍ، "وا إن ملكك وملك المغل لا يساوي عندي فلسين" [1].

ومما لاشك فيه أن وقوف العلماء والفقهاء في وجه الطغاة، كان يحد من جبروتهم وظلمهم، بحق الرعية، فكانوا بمثابة الشوكة في حلق السلاطين والأمراء، وغيرهم[2].

ومن ذلك أمر السلطان باعتقال فقهاء القدس ومعاقبتهم لفتوى صدرت منهم بهدم أحدى الكنس التي بنيت لليهود بدون وجه حق، وكانوا – أي اليهود – قد ترضوا السلطان حتى أعطاهم إذنا بذلك، ولكن العلماء والفقهاء ثاروا على الفرمان السلطاني وهدموا الكنيس فعاقبهم وحبس وعزل منهم الكثير[3].

على أن بعض المصادر، رجحت أن الدودار الكبير[4]، هو الذي أعطى ترخيصاً لليهود ببناء الكنيس دون علم السلطان[5].

ومع أن الباحث يرجح عدم علم السلطان بذلك، إلا أنه ينبغي للسلطان أن يكون أكثر دراية وعلم بما يحصل في سلطنته.

وكان رفض العز بن عبد السلام، لأوامر الكامل الأيوبي ومن بعده السلطان المظفر قطز ، والظاهر بيبرس ، وعدم سيرة في رغبتهم حتي جعلهم يذعنون للدين لدليل على قوة روح الجهاد لدى العلماء، برغم التهديد والوعيد[6].

وعرف عن العز بن عبد السلام رحمة ا أنه القائم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في زمانه، وكان العز قد تعرض لمحاولات القتل في سبيل ا على يد الظلمة غير مرة[7].

---

(1) البزار، الاعلام العلية، ص72، الصفدي، الوافي والوفيات ، ج4، ص195.

(2) العليمي، الأنس، ج2 ، ص307 ، على، القدس، ص 176.

(3) المصدر نفسه ج2، ص307.النقلي،الجهاد، ص279.

(4) هو:الأمير أقبردي الدودار الكبير المملوكي،ناظر القدس ،كان أمير سوء،عسف بأهل القدس ونابلس وغيرها، في جمع الضرائب والمصادرات، أنظر:العليمي، الأنس،ج2،ص345.

(5) العليمي، الأنس، ج2، ص225.

(6) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج13 ، ص51 ،البيومي ، علماء في وجه الطغيان ، ص67.

(7) ذكره الكتبي في معرض ترجمته للعز في كتابه فوات الوفيات ، ج1 ، ص95.

وهذا ما دفع الظاهر بيبرس أن يتنفس الصعداء عند موت العز بن عبد السلام فقال: اليـوم أستقر ملكي لأن هذا الرجل لو كان يقول للناس أخرجوا عليه لانتزعوا الملك مني[1]، وكان للعز مع الظاهر بيبرس مواقف عديدة، تكلم فيها شيخنا كلمة الحق أمام السلطان جائر ولم يخشى في ذات ا لومة لائم.

وليس من المستغرب أن يقوم العلماء والفقهاء، بخلع السلاطين وكبار رجـال الدولـة فقـد ذكرت المصادر أن قاضي القضاة تقي الدين بن رزين، اثبت في محضر بعدم أهليـة السـلطان الملك السعيد للحكم وضرورة خلعة[2]، بل أن القاضي تاج الدين بن الأعز ألزم الظاهر بيبرس ، بالوقوف مع غريمة للمحاكمة[3].

وكان بعض السلاطين يخشى أن يعزل العلماء أنفسهم، عن الوظـائف الحكوميـة بسـبب احتجاجهم على ما يجري من فساد إداري، ولإدراكهم أن العلمـاء أصـحاب مبـادئ وتقـوى يصلحون شأن الدوائر الحكومية ،[4] لذلك كان السلطان يترضاهم وهم يعزلون أنفسهم مراراً[5].

مراراً[5].

وكذا في موقف أخر يرفض العلامة سراج الدين البلقيني[6]، أمر السلطان برقـوق عنـدما أوغر الحاسدون صدر السلطان ضده، فأمره بالخروج من البلاد ويعود للشام فيرد عليه الشـيخ سراج الدين، بأن عادة الملوك جلب العلماء إلى ديارهم وبلادهم لنشر العلم وكسب الفوائد، أمـا أنتم فتبعدوهم وتشوشون عليهم، فندم السلطان ورجع عما أمر وأعتذر له[7].

على أن بعض السلاطين نادراً ما يكونون في حالة صدام مع العلماء، ولأنهم فـي الغالـب مؤمنون، ويعظمون الدين، لإدراكهم أن معركتهم مع العلماء خاسرة، لذلك اجتهد السلاطين على تقريبهم وتكليفهم بمهام جليلة في الدولة والمجتمع .

---

(1) السبكي،طبقات الشافعية،ج8،ص215. المقريزي ، ج1 ، ص 403 – 404.

(2) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج13،ص288. البدري ، الإسلام ، ص197 .

(3) القلقشندي، صبح ،ج8،ص324. فرغلي ، الحركة التاريخية ، ص 58.

(4) ابن إياس ، بدائع الزهور ، ج1 ، ص 312 . الكاتب ، الفضل المأثور ، ص49.

(5) ابن تغري،النجوم الزاهرة ،ج4،ص345.عزالدين ، التاريخ والمنهج، ص160.زكار ، الموسوعة،ص 607. .607

(6) هو سراج الدين بن محمد البلقيني (ت 805هـ) من علماء القرن التاسع جامع لعلوم التفسير والحديث والأصول كان شديد الفهم والحفظ بنظر : الذهبي ، من له رواية ، ج1، ص108.

(7) العيني، السلطان برقوق، ص 193.

وكم من مرة ترأس العلماء والفقهاء وفود السلاطين لإصلاح ذات البين، أو كسفراء لحل مشكلات الدولة مع المتمردين والمنشقين عن السلطنة[1] فشارك العلماء في المجال السياسي حيث كلف الظاهر بيبرس القاضي ابن عبد الظاهر[2]،عام 666هـ/1267م، بسفارة إلى عكا لعقد هدنة بين الطرفين، وأخذ ابن عبد الظاهر معه عشرين أسيراً من أسرى الصليبيين كهدية لحاكم عكا الصليبي[3] .

وكانوا في مرات عديدة ينوبون عن السلاطين في كثير من المناسبات الاجتماعية حتى السياسية والعسكرية[4]، وفي التنفيذ والإشراف على الأوامر السلطانية .

لكن هذا التقريب لم يستمل قلوب العلماء عن مهمتهم الأصلية ألا وهي الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولإدراكهم مذمة التقرب من السلطان، فكانوا يحرصون على الزهد بالاقتراب من السلاطين ومعاملتهم .

ونوه ابن خلدون في معرض حديثه عن العلماء وجهادهم، قائلاً: وأهل هذه الصنائع الدينية لا تضطر إليهم عامة الخلق، وإنما يحتاج إلى ما عندهم الخواص، ممن أقبل عليه دينه، وهم أيضاً لشرف بضاعتهم، أعزه على الخلق وعند نفوسهم، ولا يخضعون لأهل الجاه حتى ينالوا حظاً، ولا يسعهم ابتذال أنفسهم لأهل الدنيا لشرف بضاعتهم[5].

وقيمة العلماء مرتفعة في أعين الناس والحكام على السواء، حتى أنه عندما صعدت شجرالدر[6] إلى كرسي الحكم، قام العلماء بإنكار ذلك وكتابة الرسائل المعادية للملكه، وتحفيز الناس على رفض هذا الأمر، وما استطاعت شجر الدر وأعوانها أن يقفوا في وجه العلماء[7].

---

(1) حطيط، قضايا من تاريخ المماليك، ص116.

(2) هو:قاضي القضاة علاء الدين بن عبد الظاهر العالم الورع التقي،تولى القضاءفي مصر والشام،أنظر:ابن حجر الدرر، ج2، ص219.

(3) ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، 222. النقلي، الجهاد، ص222-223.

(4) ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، 122.

(5) المقدمة، ص214.

(6) هي: أم خليل شجر الدر كانت بارعة الحسن ذات عقل ودهاء وأحبها الملك الصالح الأيوبي ولما توفي أخفت موته ونالت من سعادة الدنيا أعلى الرتب بحيث أنه خطب لها على المنابر وملكوها عليهم أياما فلم يتم ذلك، ولما تملك معز الدين ايبك المملوكي تزوج بها وكانت ربما تحكم وكانت تركية ذات شهامة وإقدام وجرأة وآل أمرها إلى أن قتلت تحت قلعة مصر مصلوبة ثم دفنت بتربتها،أنظر:اليافعي، مرآة الجنان ج4/ص137.

(7) ابن كثير ، البداية والنهاية ،ج13، ص208.

وحرص العلماء والفقهاء دائماً، على توحيد الجبهة الداخلية وتماسكها، حتى تستطيع المضي بصلابة وقوة، في طريق الجهاد ضد الصليبيين والمغول، بل وأمام عتاة المفسدين من الأمـراء والمتنفذين في الدولة المملوكية، لذلك كان تأثيرهم في حياة الناس والدولـة المملوكيـة ظـاهراً وملموساً [1].

وما كان لهذا التأثير أن يتم لولا صدق العلماء وقلة مبالاتهم بسطوة السلاطين، ولكنهم اتكلوا على فضل ا أن يحرسهم، ورضوا بحكم ا أن يرزقهم الشهاد[2].

ومما لا شك فيه، أن هذا الإيمان هون عليهم لقاء الطغاة من الحكام والسلاطين فنالوا بذلك فضل الجهاد في سبيل ا ، واستحقوا أن يكونوا سادة الأمة، وأصحاب رفعتها وسموها.

---

(1) النقلي،جهاد، ص279.

(2) الغزالي، أحياء، ج7 ، ص92.

الفصل الثالث

المذاهب الدينية الإسلامية في الشام في العهد المملوكي

المبحث الأول: المذاهب الدينية السنية السائدة في الشام.

المبحث الثاني: تأثير المذاهب الدينية في مؤسسات التعليم والأوقاف.

المبحث الثالث: دور سلاطين المماليك في دعم وتوظيف المذاهب الدينية سياسياً.

المبحث الرابع: تأثير الخلافات المذهبية على الدولة والمجتمع المملوكي في الشام.

المبحث الأول

المذاهب الدينية السائدة في الشام في العهد المملوكي

عمد السلطان المملوكي، الظاهر بيبرس عام 663هـ/1265م، إلى تعيين أربعة قضاة[1] للمذاهب السنية الأربعة[2]، وقد جاء هذا التعيين، على حساب المذهب الشافعي، المذهب الرسمي الوحيد، للدولتين الأيوبية والمملوكية، وكان ذلك، بعد أن اختلاف الظاهر بيبرس، مع القاضي الشافعي، تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الأعز[3]، وكان قد خالف الظاهر بيبرس، في حكم حول مسألة ميراثيه، ولم يمض أمر السلطان في التركة، فأوغر صدر السلطان وقرر نصب

---

(1) القلقشندى، صبح الأعشى، ج4، ص36. القدسي، دول الإسلام، ص35. شبارو ، قاضي القضاة، ص44.

(2) المذاهب السنية الأربعة هي المذهب الحنفي، والمذهب المالكي ، المذهب الشافعي، والمذهب الحنبلي:

المذهب الحنفي ينسب إلى إمامه أبي حنيفة النعمان بن ثابت ، وهو فارسي الأصل ويسمى الإمام الأعظم ولد سنة 80هـ وتوفى سنة 150هـ وكان إمام العراقيين ووطد طريقة الاستحسان، واشتهر بقوة الحجة وسرعة الجواب المفحم، والفهم ومن تلاميذه أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم القاضي في عهد الخليفة الرشيد العباسي، ومحمد بن الحسن الشيباني وقد لقبا (بالصالحين) وقد دونوا فقه أبي حنيفة، وقد انتشر المذهب الحنفي في بلاد فارس وأسيا الصغرى والعراق وقليل منهم في الشام ومصر ينظر الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج6 ،ص390.

المذهب المالكي: ينسب إلى إمامه مالك بن أنس الأصبحي ، وكان عالم المدينة وأمام الحجازيين ، ولد سنة 93هـ وتوفي سنة 179هـ ويعتبر مذهبه وسطاً بين أهل الرأي والحديث لكثرة استناده إلى الحديث ، وانتشر هذا المذهب في المدينة المنورة خصوصاً والحجاز والمغرب العربي ينظر : الذهبي ، سير أعلام النبلاء ،ج8 ،ص49.

المذهب الشافعي: ينسب إلى إمامه محمد بن إدريس الشافعي ، ولد سنة 150هجري في غزة وتوفى في مصر بمدينة الفسطاط سنة 204هجري ، ورحل إلى العراق والحجاز وأخذ عن أصحاب أبي حنيفة ومالك ، وثم استقر في مصر وكان مذهبه أقرب إلى أهل الحديث وانتشر مذهبه في مصر والشام ودعمته الدولة الأيوبية والمملوكية كثيراً حتى أصبح المذهب الرسمي،أنظر: الصفدي ،الوفيات،ج1، ص155 ، الذهبي ، سير أعلام النبلاء ،ج8 ،ص 209. الزركلي:الأعلام ، ج3 ، ص152 .

المذهب الحنبلي: ينسب إلى أمامه أحمد بن حنبل الشيباني تلميذ الشافعي، وقد ولد الإمام أحمد في بغداد سنة 164هـ وتوفي سنة 241هـ وعني بالحديث الشريف وبرع فيه وكان مذهبه من أكثر المذاهب السنية اصطباغاً بالحديث الشريف . ينظر ابن خلكان :وفيات الأعيان ج1، ص63.

(3) هو أحمد بن محمد بن عبدا المعروف بابن الأعز الشافعي ولد عام 604هـ/1207م كان ديناً عفيفاً جمع له قضاء الديار المصرية أنظر:الكتبي فوات الوفيات ج2،ص279 .

أربعة قضاة من المذاهب الأربعة[1]، ولقوة المذهب الشافعي آنذاك، أختص السلطان الشافعية النظر في الأوقاف وأموال الأيتام، دون المذاهب الأخرى[2].

ثم ما لبث هذا التقسيم في المذاهب، إلا أن طبق في الشام، سوى القدس، فقد اقتصر القضاة فيها، على الشافعي، حتى عهد السلطان برقوق، الذي أضاف إليه المذهب الحنفي عام 784هـ/1382م[3]، وأضيف بعد ذلك المذهب المالكي، نتيجة هجرة الكثير من المغاربة والأندلسيين إلى القدس والمناطق المجاورة لها[4]، على أن المذهب الحنبلي، تأخر وجوده في القدس، حتى عام 804هـ /1401م؛ وكان ذلك التأخير ناتج، عن قلة أتباع المذهب الحنبلي، في الدولة المملوكية، خاصة في مصر، وأجزاء واسعة من بلاد الشام سوى دمشق[5].

على أن المدن الشامية الأخرى، عين فيها القضاة على المذاهب الأربعة كما الحال في مصر، وقد استأثر القاضي الشافعي، بدمشق بتعيين القضاة الشافعية، في باقي المدن الشام حتى في مدينة القدس ،إلى أن صار السلطان، يعين قضاة القدس بنفسه[6].

وقد ارتبط وجود المذاهب الفقهية الأربعة، في الشام بوجود المدارس التي حرص الأيوبيين والمماليك، على إنشائها لمحاربة ذيول التشيع، وإحياء المذاهب السنية الأربعة[7].

فكانت أغلب المدارس، تدرس المذاهب الأربعة، ومنها من تخصص في تدريس مذهب معين أو مذهبان أو أكثر[8].

ومما يجدر ذكره، أن وجود المذاهب السنية في الشام، ارتبط غالباً بسياسة الدولة المملوكية حيال الشام، من باب تنظيمها دينياً وإداريا، لتأكيد السلطة المملوكية فيها؛ خاصة أن الأيوبيين قبلهم، عززوا وجود المذهب الشافعي، في الشام دون المذاهب الأخرى، وهذا ما لم يفعله المماليك، حيث شجعوا وجود المذاهب الأربعة في الشام، من خلال المدارس والقضاة

---

(1) القلقشندى ، صبح الأعشى، ج4، ص36-37. العليمي، الأنس الجليل ج2 ، ص82.

(2) القلقشندى، صبح الأعشى، ج4، ص36. المقريزي ، السلوك، ج2، ص28.

(3) المقريزي ، السلوك ، ج2، ص31 . زكار، الموسوعة ص 588 . علي القدس، ص51-52 .

(4) زكار ، فلسطين ، ص588.

(5) العليمي، الأنس الجليل ،ج2 ص 119 . زكار ، الموسوعة ص588.

(6) ابن حجر ، أنباء الغمر ج1 ص 38-39 . عاشور ، العصر المماليكي ص207.

(7) أنظر:عاشور ، العصر المماليكي ،ص 349.

(8) للمزيد ينظر كتاب الإنس الجليل للعليمي في ذكره لمدارس الشافعية والحنفية وغيرها،ج1،ص34ومابعدها.

الأربعة[1] واشترط السلاطين فيمن يدرس المذاهب، ألفقه والعلم، إمعاناً في نشر المذاهب الأربعة، وتقويتها في الشام، وألزموا القضاة بالعمل ضمن هذا المرسوم[2].

وقد ذكر الباحث سهيل زكار، أن أكثر المذاهب انتشاراً في الشام المذهب الشافعي، يليه المذهب الحنفي ، وكان الحنابلة، والمالكية أقلية[3].

على أن انتشار المذهب الشافعي، والحنفي، في الشام، لم يكن محض الصدفة، بل جاء نتيجة دعم وتشجيع، السلطة المملوكية للمذهبين، حيث أعطتهم الكثير من الامتيازات، مثل قضاء العسكر، والنظر في الأوقاف، ودار العدل، وأصبح تولي القضاء فيهما من الأبواب السلطانية [4] [4] وقد بلغ من قوة المذهب الشافعي في الشام وحدها، أن استأثر القاضي الشافعي، بتعيين النواب في دمشق، وسائر مدن الشام الأخرى[5]، حتى أن القاضي الشافعي، يعين قاضي المذهب المذهب الحنفي، في القضاء والولاية[6]، وهذا الرأي يدل على قوة المذهبين وانتشارهما.

وبلغ من النفوذ الكبير للمذهب الشافعي، في الشام أن يجمع القاضي الشافعي، بين قضاء القدس والرملة ونابلس، عدا عن الخطابة والمهام الجليلة، وقد أتاحت لهم هذه المناصب الأموال الطائلة، مما دفع الكثير من أتباع المذاهب الأخرى، لتحول للمذهب الشافعي بسبب حظوته عند السلطة المملوكية[7]، وقد كان تعيين القضاة الأربعة في الشام غير مرضي عنه من قبل العامة فقال بعضهم :-

أهـل دمشـق اسـتـرابـوا	مـن كـثـرة الـحـكـام.
إذ هـم جـمـيعـاً شـمـوس	وحـالـهـم في الـظـلام[8]

وقال آخر :

---

(1) القدسي، دول الإسلام، ص35. المصري، التعليم في الشام ، ص 93 رسالة ماجستير .

(2) المقريزي، السلوك، ج2 ، ص31. على ، القدس ص165.

(3) فلسطين ، ص563.

(4) القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج4 ،ص216، 228 . عطا ، نيابة ، ص142.

(5) المصدر نفسه ، ج4 ، ص 227.

(6) الماوردي ، الأحكام السلطانية، ج1 ، ص178 .

(7) العليمي ، الأنس الجليل، ج2، ص111. على القدس، ص 114 .

(8) المقريزي ، السلوك ، ج2 ، ص32-32.

بـدمشـق آيـة قـد ظـهـرتـ   لـلـنـاس عـامـا

كـلـمـا ولـى شـمس قـاضـياً   زادتـ ظـلامـاً[1].

وقد اتفق أن القضاة الأربعة ،الذين ولاهم الظاهر بيبرس ، كان لقبهم الأول شمس الدين ، مما أثار سخرية أهل الشام .[2]

على أن هذا التعيين للقضاة الأربعة في الشام، لم يلزم كثير من علماءها بالتقييد به حيث قام شمس الدين الصفدي محمد بن علي، قاضي الحنفية بدمشق، بعدم التقييد بمذهب أبي حنيفة، بل حكم تارة بالمذهب الشافعي، ومذهبي مالك وأحمد بن حنبل[3]، وكان هذا برأي الباحث اعتراضاً على تخصيص قضاة للمذاهب الأربعة.

وبرغم وجود المذاهب الأخرى، إلا أن المذهب الشافعي والحنفي، كانا الأكثر حضوراً بين العامة والخاصة في الشام، خصوصا الشافعي، وترجع بدايات تغلغل المذهب الشافعي في الشام إلى عهد صلاح الدين الأيوبي، الذي كان على المذهب الشافعي وهو الذي أقام الشافعية في ديار مصر والشام، ولتعزيز مذهبه الشافعي في الشام، ابتنى صلاح الدين في القدس المدرسة الصلاحية الشافعية، وشجع انتشار المذهب في دمشق والشام عموماً، ويدل على ذلك كثرة نواب الشافعية في الشام في عهده[4].

وحضور المذهب الشافعي في الشام، ألزم السلاطين بالإقرار بوجوده، كأقوى مذهب في الدولة، ولم يكن تعيينهم لقضاة المذاهب الأخرى، يغير شيئاً في واقع قوة المذهب الشافعي وانتشاره، في مصر والشام، فقد ذكرت بعض المصادر أن السلطان قانصوه الغوري عندما صلى في جامع دمشق الأموي، لم يستطع الاعتراض على قيام القاضي الشافعي بالخطبة

---

(1)المقريزي، السلوك ، ج2 ، ص 32.

(2) كان يلقب كل من القضاة الأربعة بشمس الدين وعرف منهم :-

قاضي الشافعية: شمس الدين أحمد بن خلكان .

قاضي الحنفية: شمس الدين عبد ا محمد بن عطا الحنفي .

قاضي المالكية: شمس الدين أبي محمد عبد السلام بن على الزواوي .

قاضي الحنابلة: شمس الدين عبد الرحمن بن الشيخ أبو عمر بن قدامة الحنبلي) أنظر: المقريزي، السلوك، ج2ً 31 وما بعدها. و ابن إياس : بدائع ج1 ص321 . شبارو، قاضي القضاة، ص44.

(3) ابن حجر، ج9، ص133 .

(4) العليمي، الأنس الجليل ج2 ،ص101 . المقريزي، السلوك ، ج6 ، ص407.

والإمامة، برغم وجود قضاة المذاهب الأخرى في حضرة السلطان[1]، ومثل هذا حدث مع السلطان برسباي[2]، في الجامع الأموي، وقد كان القاضي الشافعي، يفخر بسلطانه وعزه، أمام السلطان ،حتى غبطه القضاة الثلاثة من المذاهب الأخرى[3].

أما المذهب المالكي، والذي زاد عدد أتباعه في الشام، نتيجة الحج إلى الديار المقدسة في مكة والمدينة، والقدس الشريف، ونتيجة لحروب الاسترداد المسيحي، حيث زاد عدد المغاربة والأندلسيون، من أتباع المذهب المالكي في القدس، وغيرها مما أجبر السلطة المملوكية على استحداث منصب قاضي قضاة المالكية عام 802هـ /1399م[4].

وكذا الحنابلة، فقد كان مذهبهم الأقل انتشارا في الشام، حيث كانت بدايات تواجده في المدن الشامية الشمالية، كحلب وحمص ولاحقاً تواجد في دمشق والقدس، وكان أغلبهم مهاجرون أمام الزحف المغولي من بغداد وحران، فاستحدث لهم منصب قاضي القضاة الحنبلي سنة 804هـ/ 1401م[5].

وكان معيار قوة و نفوذ وتغلغل المذاهب في الشام، كثرة نوابهم فكان للشافعية عشرة نواب والحنفية خمس نواب والمالكية أربعة، والحنابلة نائبان[6]، ونشأ في ظل مؤسسة القضاء وظائف عديدة، زخرت بها نيابات الشام، مثل كاتب القاضي وحاجبه، وشاهد العدل، ووكلاء القاضي الذين ساعدوه في تبيان الحقوق، والأمانة التي تحفظ الأموال للأيتام والغائبين، وتولى الشهود كتابة العقود، والنظر في صحة الإجراءات القضائية [7]؛ وظهر على هامش تلك الوظائف حوانيت الوراقين، والنساخ والخطاطون والكتبة[8].

---

(1) ابن طولون ، مفاكهة الخلان ، ص328 .

(2) الملك الأشرف برسباي بن عبد ا أبو النصر الدقماقي الظاهر الجاركسي سلطان الديار المصرية والبلاد الشامية والأقطار الحجازية الثاني والثلاثون من ملوك الترك والثامن من ملوك الجراكسةانظر:ابن العماد شذرات الذهب ج7/ص238

(3)ابن طولون ، مفاكهة الخلان ص 329 .

(4) ابن تغري ، النجوم الزاهرة،ج7. ص134 . زكار، فلسطين ، ص588.

(5) زكار، فلسطين ، ص588 . شهاب ، الحياة العلمية في القدس ، ص 49 .

(6) المقريزي ، السلوك ، ج6 ، ص47

(7) القلقشندى ، صبح ، ج4 ،ص192 . السبكي ، معيد النعم ، ص55 .

(8) السبكي ، معيد النعم ، ص63.

وقد تحولت مناصب القضاة الأربعة، في الشام، إلى مؤسسة رسمية، سميت (بالمجلس السامي) الذي يتبع مؤسسة القضاء في مصر، والتي سميت (بالمجلس العالي)، وكان لها نفوذ كبير في الدولة والمجتمع[1].

ومما يدل على ترسخ المذاهب في الشام، كثرة مدارسها ومؤسساتها الأخرى، والتي خرجت ألاف الطلبة المتخصصين في مذاهبهم، مما ألقى بظلاله على العامة وزاد أتباع المذاهب الأربعة، وزادت مدارسها ومساجدها والتعصب لها، ونشوء الخلاف المذهبي[2].

وبذلك ندرك مدى انتشار المذاهب الفقهية السنية الأربعة في الشام، ومدى نفوذها وقوتها في الدولة والمجتمع، وكثرة مؤسساتها التعليمية والدينية، لكن السؤال الذي يطرح نفسه ما هو تأثير المذاهب الدينية على تلك المؤسسات التعليمية والدينية ؟ هذا ما سنجيب عليه في المبحث القادم.

(1) العمري، التعريف بالمصطلح، ص106،107.

(2) لمزيد، ينظر كتاب الدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر النعيمي، وقد فصل المؤسسات حسب المذاهب ج2، ص65 ومابعدها.

المبحث الثاني

تأثير المذاهب الدينية في مؤسسات التعليم والأوقاف

مما لا شك فيه أن المؤسسات الدينية في الشام، تأثرت تأثراً كبيرا بالمذاهب السنية الأربعة وظهر ذلك جليا في تقسيمات تلك المؤسسات على أسس مذهبية، حيث نرى مدارس وزوايا وربط ودور قرآن وحديث شافعية، وأخرى حنفية وثالثة مالكية وكذا المؤسسات الدينية التي اعتمدت المذهب الحنبلي .

وكان من يعين في المدارس الشافعية مثلاً، من قضاة وعلماء الشافعية فقط، فقد ذكر النعيمي في كتابه الدارس في تاريخ المدارس في معرض حديثه عن دار القرآن الكريم الصابونية[1] أن واقفها اشترط أن يكون خطيبها وإمامها شوافع[2] .

وبالتالي قصر المدرسة على المذهب الشافعي دون غيره وهذا من التعصب المذهبي، ولا يخفى على أحد مدى تأثير التعصب المذهبي على الدارسين فيها وتحزبهم لمذهبهم.

وذكرت بعض المصادر، زهاء خمسة وستون مدرسة اقتصرت على تدريس المذهب الشافعي بالدرجة الأولى، وهذا يظهر مدى قوة ونفوذ المذهب الشافعي في الشام، حيث أغدقت الدولة المملوكية، على مؤسسات ذلك المذهب الأموال الوفيرة، حتى غدت المؤسسات الدينية الشافعية، من مدارس وغيرها تستقطب أتباع المذاهب الأخرى لشدة الإنفاق عليها[3].

ولا ينكر أحد أن الدولة المملوكية قامت بجهد كبير لإنشاء المدارس والربط والزوايا وغيرها من مؤسسات، وأحيت كذلك المدارس والمؤسسات الدينية الأيوبية[4].

وكان هذا الاهتمام من قبل الدولة المملوكية، في بناء المؤسسات الدينية، يهدف بالأساس إلى خدمة الدين الإسلامي[5] ومحبة للعلم وأهله، ومحاولة للتقرب من العلماء، وهم في الأساس قادة الشعوب الحقيقيين والمؤثرين فيهم.

---

(1) دار القرآن الصابونية تقع خارج دمشق بالقرب من ضريح الصحابي أوس بن أوس وبها جامع حسن المنارة وبه تربة الواقف أنظر:النعيمي، الدارس،ج1،ص13_14.

(2) المصدر نفسه ج1، ص13 -14.

(3) النعيمي، الدارس،ج1 ص129. على، القدس، ص49 .

(4) المقريزي ، السلوك ، ج4 ،ص231 .

(5) أنظر: الحجي ، صور من الحضارة ، ص 148 .

ولذلك ظهر تأثير المذاهب الدينية في المؤسسات الدينية والأوقاف جلياً، بعد أن أوكل السلاطين، للقضاة الأربعة، صرف رواتب للموظفين في تلك المدارس والمساجد وغيرها وكانت هذه الرواتب تختلف من طائفة إلى أخرى(1)، وهذا ما بذر بذور الخلاف والتنافس منذ بدأ نظام المذاهب الأربعة بالظهور والاستقرار.

وغالباً ما ارتبطت كثير من الأوقاف والمؤسسات الدينية، بوصية الواقف والتي يشترط فيها غالبا، أن يلي التدريس في تلك المؤسسات أبناءهم وأحفادهم، وهذا مما يحرم تلك المؤسسات من نوابغ العلماء وفضلاءهم، من أن يعلموا في تلك المدارس وبذلك حرمان الطلاب من العلم النافع فقد ذكر المقريزي مثلاً أن قاضي القضاة ناصر الدين محمد بن كمال الدين ابن العديم الحنفي قد جعل ابنه مكانه في التدريس برغم "صغر سنه وكثرة لهوه"(2)، حتى دفع ذلك المقريزي للتهكم فقال " فيا نفس جدي إن دهرك هازل"(3).

وفي وصفه لمدرسة الأمير جمال الدين أتابك العسكر في عهد السلطان المؤيد شيخ ذكر المقريزي أن مدرسوا المذاهب الأربعة في المدرسة جلسوا كل على حده ومعهم طوائفهم من الطلاب وكانوا يتنافسون في أرزاقهم(4).

ولعمري هذا ما أوجد التنافس بين المذاهب، في المؤسسات الدينية، وإلا فما العيب أن يتعلم الجميع المذاهب في درس واحد، ولكن التعصب أعمى قلوب وأبصار الكثيرين منهم.

على أن المحرك الاقتصادي لتلك المؤسسات، ونشوء الخلافات فيها نابع من التغالي في الصرف على مؤسسات مذهب دون غيره، فقد ذكر المقريزي أن الامتيازات التي تمتع بها المدرس كوظيفة النظر في أوقاف المدرسة بالإضافة للتدريس، كانت مثار تنافس شديد على تولي مهنة التدريس في الدولة المملوكية، ففي مدرسة أنشئها السلطان الناصر محمد، كان الشرط فيها أن يدرس المذهب الشافعي فقط، وجعل للمدرس أربعين ديناراً، وعن نظره في الوقف عشرة دنانير، وجعل له خبزاً في كل يوم ستين رطلا بالمصري وراويتين من ماء

(1) أنظر: الحجي ، صورة من الحضارة، ص 151 .

(2) السلوك، ج6، ص207 .

(3) المصدر نفسه ، نفس الجزء والصفحة.

(4) المصدر نفسه ، نفس الجزء والصفحة.

النيل[1]، وهذا من أهم أسباب الحرص على التدريس في المدارس ووراثة وقفها، وبالتالي يحدث التنافس والخلاف.

ويلاحظ ارتباط هذه المدارس بالمذاهب الإسلامية، فيختص بعضها للفقهاء الشافعية وبعضها للمالكية، وبعضها للحنفية، وكان الطلاب يتأثرون بميول معلميهم المذهبية كثيراً ويتدخل بعض المعلمين للتأثير على طلاب المذهب الآخر، حتى يغير مذهبهم إلى مذهبه مستخدماً عدة وسائل منها الناحية الاقتصادية، فقد ذكر المقريزي أن الأمير يلبغا الناصري[2] أوجد درساً في جامع ابن طولون فيه سبعه مدرسين للحنفية، وقرر لكل فقيه من الطلبة في الشهر أربعين درهماً، وإردبا من قمح، فانتقل جماعة من الشافعية إلى مذهب الحنفية[3].

على أن الترهيب كان له دور كبير في بعض المؤسسات الدينية، حيث أجبر كثير من الحنابلة على ترك مدارسهم ومساجدهم وبقائهم في بيوتهم، حتى أنه جرد فقهاءهم من كثير من المناصب وطرد المدرسون من المدارس وغيرها[4].

أما المساجد فقد نالت نصيباً كبيرا من أثر المذهبية، فكانت توجد بها محاريب لكل مسجد وفي نفس الجامع الواحد، وكان لكل مذهب إمام وجماعة يصلى بهم[5].

وقد أثرت فتاوى كثير من علماء المذاهب في المساجد، وأنشأت خلافات بين المصلين ومن فتاويهم في العهد المملوكي، تحريم الإقتداء بالمخالف، وبطلان صلاته فلا يجوز الصلاة بمذهب مخالف ويجب إعادتها[6]، وهذا بلا شك سيفجر صراعا مريرا بين رواد المساجد من المصلين، وبالتالي سوف يؤثر على مسيرة المسجد ودوره في المجتمع.

---

(1) الخطط ، ج2 ، ص338.

(2) هو :الأمير يلبغا الناصري،نائب السلطنة في مصر ،حكم طويلاً وكان له نفوذ كبير،تبعه الأمراء ،وتاق الى السلطنة ولكن حيل بينه وبينها،أنظر:ابن كثير،البداية،ج14،ص236.

(3) ابن إياس ، بدائع الزهور، ج1 ، ص322.

(4) النويري ، نهاية الأرب ، ج32 ، ص82-83 . علال، التعصب المذهبي ، ص43.

(5) التطواني، نظرات في التاريخ ، ص 8.

(6) السبكي، معيد النعم، ص 74 . التطواني ، نظرات في التاريخ ، ص8.

وفي ذكر الصراع بين الحنابلة و الشافعية في دمشق عام 835 هـ/1431م، والذي أثاره الشيخ علاء الدين البخاري الشافعي ضد الحنابلة في مسجد دمشق، كان من أثارها حدوث ملاحم بين الطائفتين في المسجد وغيره من مساجد دمشق[1].

وقد ذكر الباحث علال مثلاً أن المؤسسات الدينية تعرضت للضرر الشديد في فتنة الحنفية والشافعية وذكر أنه تم نهبها وإحراقها[2].

ومن المعروف أن المؤسسات المذهبية من مدارس ومساجد وغيرها قد خرجت الآلاف من معتنقي الفكر المذهبي، فالمدارس الحنبلية مثلاً كانت قد دربت فقهاء ومفسرين ومحدثين، وتولى علمائهم الخطب في المساجد والمدارس والزوايا لتكثير أتباعهم ومريديهم[3].

وعكف كبار علمائهم في تأليف الكتب والرسائل التي تركز على العقيدة التي رأوا أنها تأثرت وتأذت من الفكر الأشعري الشافعي والصوفية[4].

على أن السبكي له رأي راجح في أسباب هذه الخلافات المذهبية، وقد عزى هذا الخلاف إلى العلماء الذين "يتوسعون في الدروس ولا يعطونها حقها ويبطلون كثيرا من أيام العمل، وإذا حضروا اقتصروا على مسألة أو مسألتين من غير تحقيق ولا تفهيم، ثم رأيناهم يقلقون من تولي أناس جهلة وظيفة التدريس ويعيبون الزمان وأولياء الأمور، فالرأي يقال لهم أنتم السبب في ذلك "[5].

وينتقد السبكي بشدة العلماء وواقفي المدارس وباقي المؤسسات الدينية حيث يقول:" ومدارس وقفها واقفوها على الفقهاء والمتفقهة، والمدرس يكون من الشافعية أو الحنفية أو المالكية أو الحنبلية "[6] فهو ينتقد ضمنا هذه التقسيمات ويحذر منها، ويري مؤلف كتاب معيد النعم ومبيد النقم أن التنويع في تدريس العلوم مفيد في المدرسة الواحدة، ويندب إلى تعلم المذاهب الأربعة في مدرسة واحدة، ويشترط في المدرسين الإحاطة بكل علم وفن[7].

---

(1) أنظر: علال ، التعصب المذهبي ،ص91.

(2) معيد النعم، ص15. علال ، التعصب المذهبي ص 83-84.

(3) أنظر: زيادة ، دمشق في العصر المملوكي ، ص209 .

(4) المرجع نفسه ، ص 210.

(5) معيد النعم ، ص 106.

(6) معيد النعم ، ص107.

(7) السبكي، معيد النعم ، ص107 -108.

ويري السبكي " أن الرياسة وولاية الجهال ووصولهم إلى وظائف القضاء ومناصب الدين ليس عدلاً "[1]، ويرد أسباب الخلاف المذهبي إلى تكلم العلماء في بعضهم البعض، وأخبر أن "بعضهم تأخذه الحمية لبعض المذاهب ويركب الصعب والذلول في العصبية، ولقد رأيت طوائف المذاهب، من يبالغ في التعصب بحيث يمتنع عن الصلاة خاف بعض"[2].

وبالطبع فإن كل ما ذكره السبكي كان يقع في المدارس وباقي المؤسسات الدينية في زمانه وهو بلا شك مما سيؤثر في المؤسسة التعليمية والوقف، ويحيد بها عن مسارها الذي رسم لها.

ومما يرثى له حقاً تعصب التلاميذ لآثار أئمتهم، وحملهم ذلك على الجمود عليها والدعوة إلى التمذهب، و ظهرت منهم طبقة اقتصرت على دراسة وحفظ المختصرات في المذاهب وظهر ما يعرف بالتقليد الذي كرسته المدارس المذهبية[3].

وإمعانا في تأثر المدارس وغيرها بالمذهبية ،كان يكتب على أبواب بعض المدارس شروط الواقف، فقد ذكر صاحب كتاب الكواكب السائرة، أن المدرسة السلطانية بحلب كتب على بابها "يشترط دخول المدرسة للشافعية فقط"[4]، وفي حادثة مماثلة، ذكر أن زكي الدين بن رواحه توفي سنة 622هـ/1224م الشافعي المذهب، بأنه أنشأ مدرستين في دمشق وحلب وكتب على بابهما "ألا يدخلها مسيحي أو يهودي أو حنبلي"[5].

فهل ينكر عاقل ما لهذه العبارات من تأثير كبير على الناس، وعلى المؤسسة الدينية التعليمية، حتى غدت تلك المؤسسات –برأي الباحث – مبعثاً على الكراهية والحقد والتعصب المقيت.

ولم تسلم مؤسسة المسجد والخانقاوات والربط والزوايا وغيرها من الأوقاف والمؤسسات من آثار التعصب المذهبي، فكم عطلت الصلوات ، وأزهقت النفوس وجمدت علوم ومعارف ففي دمشق منع الحنابلة الشافعية والأشاعرة من حضور الجماعات، وأغلقوا مساجدهم، وكان ذلك بسيف الإرهاب والقتل[6]. لذلك أصبحت تلك المؤسسات في جانبها السيئ، تكرس الفرقة

---

(1) السبكي، معيد النعم، ص74 .

(2) السبكي، معيد النقم، ص74 -75 .

(3) أنظر: علال، التعصب المذهبي،ص232 .

(4) الغزي، ص63.

(5) أبو شامة، الروضتين، ج1، ص10 . الصفدي ، الوافي ،ج7 ، ص408 .

(6) ابن الجوزي، المنتظم، ج8، ص163.

المذهبية، ورعاية التعصب المذهبي، وتكوين طلاب العلم المتمذهبين المتعصبين، المدافعين عن مذهبهم، المنتصرين له ونتيجة لذلك حدثت المصادمات وحوادث الشجار بين مجموعات الطلبة كظاهرة بارزة في المدارس، فكثير ما كان أتباع المذهب الواحد، يستقدمون شيخاً من رجال مذهبهم لإلقاء درس أو محاضرة عامة، ويجري التعريض بالمذاهب الأخرى، فتنشب الفتن وتثور الخصومات[1].

وبرغم ذلك فقد كانت من حسنات هذه المدارس، خدمة المذهب، وتعلم فقهه، ونشر بعض العلوم، وتقوية الحوار والمناظرة والبراهين، وتنشيط الحياة العلمية.

وعلى الرغم مما ذكر سابقاً إلا أنه وجدت في المقابل محاولات للجمع بين المذاهب في مدرسة واحدة، وكانت محاولات جمع المذاهب في مدرسة واحدة فكرة قديمة، حيث بدأت في العراق في المدرسة المستنصرية زمن الخليفة العباسي المستنصر با ، وكذلك في المدرسة البشيرية في بغداد، والمدرستين الصلاحية والمنصورية بالقاهرة، والعديد من المدارس المشتركة في الشام[2]، لكن هذه المحاولة لم تلغي التميز والفرقة بين تلك المذاهب، فإن تلك المدرسة لم تكن مشتركة إلا في عمرانها ومرافقها وجراياتها، ولكن كان لكل مذهب رواق، به أساتذة المذهب وطلابه ،وبرنامجه الخاص المغاير للأروقة والمذاهب الأخرى ، فهو إن خفف نوعا ما من التعصب والنزاع، فإنه من جهة أخرى قد كرس الفرقة والتمذهب والتعصب في المدرسة الواحدة[3].

وكذا حدث في المسجد الأقصى، فقد كان لكل مذهب محراب خاص به، وتعقد فيه حلقات علمية خاصة بكل مذهب، وكذا في مسجد الخليل ما عدا الحنابلة الذين لم يكن لهم فيه إمام[4] وكذلك قسم الجامع الأموي الكبير في دمشق إلى محاريب وحلق مذهبية متنافرة[5].

ومن آثار تلك المذهبية في المساجد التشويش في الصلاة والخلط فيها، حيث تجتمع جميع الطوائف المذهبية في نفس وقت الصلاة، كالمغرب مثلاً لضيق الوقت في الصلاة ، فيحدث

(1) الكيلاني، هكذا ظهر جيل صلاح الدين، ص34 ، علال، التعصب المذهبي ، ص 322 .

(2) الكيلاني، هكذا ظهر جيل ، ص35.

(3) علال ، التعصب المذهبي ، ص 345-346 .

(4) العليمي، الانس الجليل، ج2 ، ص32 .

(5) المصدر نفسه ، نفس الجزء والصفحة .

تشويش وخلط في الركوع والسجود والتسليم، وقد وجدت هذه الظاهرة بالحرم المكي في القرن السادس الهجري وما بعده(1).

وبذلك ندرك أن تأثير المذاهب والتعصب له أثر كبير على مسيرة المؤسسة التعليمية والدينية في مصر وبلاد الشام، وأثر ذلك على سياسة الدولة تجاه تلك المؤسسات ،فسياسة دعم مذهب معين على المذاهب الأخرى ليس جديدا، فقد كان الوزير السلجوقي نظام الملك توفي سنة 485هـ/1092م في العراق شافعيا أشعريا، مكن للأشاعرة في دولته، وكان يتعصب لهم وبنى لهم المدارس(2).

كذلك السلطان نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي توفي سنة 569هـ /1174م كان حنفياً، ومال إلى الشافعية ، فاختص المذهبين وبنى لهم الكثير من المدارس الحنفية والشافعية(3)

وكذلك السلطان صلاح الدين الأيوبي وابنه العزيز توفي سنة595هـ /1198م كانوا منتصرين للشافعية والأشعرية، وناصب العزيز الحنابلة العداء، وكان يريد الفتك بهم لولا موته(4).

وسار المماليك بعد ذلك على نفس طريقة من سلفهم ،في تكريس التمذهب ودعم مؤسسات كل مذهب، حسب ما يخدم سياستهم ، ويصب في صالحهم(5)، وفرض عليهم ذلك مهادنة المذاهب الكبيرة في دولتهم ،كالمذهب الشافعي والحنفي وأغدقوا عليهم الأموال والأوقاف طمعاً في استقرار دولتهم(6).

وهكذا كان الحال في مؤسسة القضاء، حيث أثر التعصب المذهبي في مجمل أحداث واجتماعات وأحكام وفتاوى العلماء، مما أحدث صراعاً، غذته سياسة الدولة المملوكية، واستغل السلاطين القضاة في السيطرة على الأوقاف وأموال الوقف غير مرة، كما ذكرنا في ثنايا هذا المبحث(7)، وبعد استعراض أهم التأثيرات المذهبية على المؤسسات الدينية في العهد المملوكي

---

(1) ابن جبير، رحلة ، ص71 .

(2) الذهبي، سير ،ج19، ص19 ، ص94-96. السبكي ، طبقات الشافعية ، ج7 ، ص296 .

(3) أبو شامة، الروضتين، ج1 ،ص37. الذهبي، سير، ج22 ، ص534 .

(4) الذهبي، سير، ج29، ص292 .

(5) التطواني، أصول المذاهب، ص7 .

(6) المرجع نفسه نفس الصفحة.

(7) للمزيد عن تأثر القضاة بالمذهبية ،وسيطرة السلاطين عليهم للحصول على مبتغاهم ،مراجعة الفصل الأول والثاني من نفس الرسالة.

لابد لنا أن نذكر أن تلك المؤسسات وبرغم مذهبيتها إلا أنها أسهمت كثيراُ في حفظ التراث العربي الإسلامي من الضياع، وأسهم علماءها في إعادة كتابة وصياغة أمهات الكتب في الفقه والتاريخ والأدب وغيرها من الفنون، وما الكتب المحققة التي بين أيدينا والتي زخرت بها المكتبة العربية ،إلا نتاج تلك المؤسسات وعلماءها من الفقهاء والأدباء و المؤرخين وغيرهم.

المبحث الثالث

دور سلاطين المماليك في دعم وتوظيف المذاهب الدينية سياسياً

كان لسلاطين المماليك، دور فاعل في دعم وتوظيف المذاهب الدينية سياسياً، فيما يخدم سياستهم، ويوطد أركان حكمهم، فسياسة العمل بمقتضى المذاهب الأربعة التي طبقها السلطان الظاهر بيبرس[1]، ليكسب ود أتباع المذاهب الأربعة، كانت سياسة ناجحة، استطاع من خلالها صهر المذاهب الدينية في بوتقة السلطة المملوكية وتقوية وجودها في مصر والشام.

فلو عدنا إلى الوراء قليلاً إلى العهد الأيوبي، كان توظيف المذهب الشافعي في الدولة الأيوبية فاعلاً في مواجهة المد الشيعي الفاطمي[2]، مما سمح بزيادة نفوذ المذهب الشافعي على حساب المذاهب الأخرى، وفي العهد المملوكي كان المذهب الشافعي المذهب الرسمي للدولة المملوكية[3]، حتى بدأ يتراجع لصالح المذهب الحنفي في عهد السلطان طومان باي المملوكي 923هـ/1516م عندما بدأ النفوذ العثماني يظهر في الشام، ومن المعروف أن الدولة العثمانية حنفية المذهب حتى أنهم جعلوا ولاية القضاء بيد الأحناف وحدهم[4]، دون المذاهب الأخرى.

وقد أدرك المماليك أن فقهاء وشيوخ المذاهب هم حماة الشريعة، والمعتمدين في تأويل المذاهب وتمثيلها في المجتمع والدولة[5].

لذلك حرصوا على استمالتهم وتعيينهم في وظائف الدولة الهامة، ليحققوا سياستهم في حكم الدولة؛ بيد أن الشافعية وقد كانوا أكثر المذاهب عدداً ونفوذاً في مصر والشام، لم يرق لهم تعيين المناصب للمذاهب الأخرى كي تنافس المذهب الشافعي، ولذلك كثرت الأقاويل حول شرعية فعل الظاهر بيبرس، وقيل أنه رأى رؤيا بعد استحداث المذاهب الأربعة، بأن الإمام الشافعي قال له: "بهدلت مذهبي في مصر، وفرقت كلمة المسلمين، وا لأعزلنك أنت وأولادك إلى يوم القيامة"[6]

القيامة"[6]

---

(1) العليمي ، الأنس الجليل ،ج2، ص72 .

(2) أنظر: الكيلاني ، هكذا ظهر، ص252.

(3) ابن إياس ، بدائع الزهور، ج1، ص307. علي ، القدس ، ص 144.

(4) ابن طولون ، مفاكهة الخلان ، ص348..

(5) أنظر: لابيدوس ، مدن الشام، ص276 .

(6) ابن إياس ، بدائع الزهور ، ج1 ، ص308 .

وذكر أيضاً أنه "ما جلس سلطان على كرسي مملكه مصر ، وكان متقلداً بغير مذهب الإمام الشافعي إلا عزل سريعاً أو قتل وقد جرب ذلك في الملك قطز، فإنه كان حنفياً فلم يمكث إلا يسيراً وقتل "[1].

وهذا الكلام غير موضوعي، لأن السلطان الناصر محمد مثلاً، كان يميل إلى المذهب الحنفي، واستمر حكمه طويلاً، برغم تجاهله للمذهب الشافعي، وتفضيل المذهب الحنفي[2].

وقد عرف عن أرباب السيوف من الأمراء المماليك، أنهم كانوا في جلهم على المذهب الحنفي، خاصة الأتراك منهم، وقد كان المذهب الحنفي، ينشط في بلاد الترك وآسيا الصغرى عموما، حيث موطن الرقيق من المماليك[3]، ولكن بقائهم على المذهب الحنفي، لم يعطهم الحق في تعيين قضاة المذاهب منهم لقلة علمهم ودرايتهم في الفقه، ولكنهم ساندوا المذهب الحنفي غير مرة في مواقف عديدة، فمن ذلك أن أمراء الناصر محمد بن قلاوون سيطروا على أحد الجوامع وكان يدرس فيه المذهب الشافعي، فجعلوا التدريس إلى المذهب الحنفي[4]، فالأمير سنجر الحلبي[5] تعصب للشافعية، أيضا لوجود مصلحة، في دعم المذهب الموافق لمصالحهم[6].

وبرغم أن سلاطين المماليك كانوا من قبل من فئة أرباب السيوف، إلا أنهم حافظوا غالبا على التقيد بالمذهب الشافعي لحضوره وسطوته، فالسلطان المنصور قلاوون كان يتقرب للشافعية، ودعا إلى صلاة الغائب على الملك السعيد ابن الظاهر بيبرس، على المذهب الشافعي[7].

وكان سلاطين المماليك يختصون المذهب الشافعي أولاً، ثم المذهب الحنفي ثانياً، في التعيين بقضاء العسكر، ونظارة بيت المال، وغيرها من الوظائف الهامة [8].

---

(1) ابن إياس، بدائع الزهور، ج1 ، ص308 .

(2) ابن كثير، البداية والنهاية ، ج14 ،ص 58-59 -67.

(3) أنظر: زكار، فلسطين، 563.

(4) المقريزي ، السلوك ، ج4 ، ص 157 .

(5) هو علم الدين سنجر الحلبي، ناب في القدس وحلب،وتولى أتابك للعسكر في عهد الملك المعز، ، كان مختصا مختصا بالمذهب الشافعي ومهتم به انظر:ابن كثير البداية،ج13،ص222.والعليمي،الأنس،ج2،ص32.وابن تغري،النجوم،ج6،ص376. سهيل زكار ، كتاب فلسطين ص 583.

(6) ابن كثير البداية،ج13،ص222.

(7) القدسي ، دول الإسلام ، ص 43 .

(8) القلقشندى، صبح الأعشى، ج4 ، ص228 .

ولكن قد يشذ بعض السلاطين كالناصر محمد ويفضل المذهبين الحنفي والحنبلي على الشافعي والمالكي، فقد ذكر ابن كثير أنه أختص المذهب الحنبلي والحنفي وجعلهما عنده في دار العدل دون سواهما من المذاهب(1).

وفي عهد الظاهر برقوق، ذكر صاحب كتاب زبدة كشف الممالك أنه كان يعين في بعض المدن ثلاثة قضاة من الأحناف وواحد شافعي(2)، وهذا ميل واضح، وصريح نحو توظيف المذهب لخدمة سياسة السلطان، وهذا ما دفع بعض الأمراء إلى التعصب لصالح مذهبهم، إذا كان السلطان يميل إلى مذهب معين، يتوافق مع مذهب الأمراء، فالأتابك يلبغا العمري(3)،تعصب العمري(3)،تعصب للحنفية على الشافعية، ودعمهم وناصرهم(4)، برغم قوة المذهب الشافعي، وبعض الأمراء صلى في محراب الحنفية، في الجامع الأموي، نكاية بالشافعية(5).

على أن المذهب الشافعي، بقى حاضراً بقوة في الحياة الدينية والسياسية للدولة المملوكية، فكان المذهب الرسمي للدولة، وتقلد قضاته أرفع المناصب، وكان له الأولوية على سائر المذاهب، فالقاضي ابن حجر العسقلاني مثلاً تولى أهم المناصب في الدولة المملوكية، ولم ينافسه فيها أي من قضاة المذاهب الأخرى(6).

وقد قرب بعض السلاطين، المذهب الشافعي والحنفي والمالكي دون المذهب الحنبلي، وذلك لقلة أتباع المذهب الحنبلي وانعدام تأثيره في المجتمع المملوكي آنذاك، وكان بعض السلاطين يصطحب القضاة الثلاثة، يعني الشافعي والحنفي والمالكي_ في أسفاره ويستشيرهم(7)، ويستشيرهم(7)، ونلاحظ أن معيار، ميل السلاطين إلى المذاهب هو كثرة شعبيتها وتأثيرها على العامة.

---

(1) البداية والنهاية، ج14،ص67 .ابن العماد،شذرات ،ج6،ص11. شهاب ، الحياة العلمية في القدس، ص50.

(2) الظاهري، ص135 .

(3) هو: الأميرأحمد بن يلبغا العمري الخاصكي، من امراء السلطان الناصر محمد،كان ذو شأن ،وهو من أشترى برقوق الجركسي، الذي تسلطن فيما بعد، أنظر:ابن تغري، النجوم، ج11، ص63.

(4) ابن إياس، بدائع، ج1، ص 322.

(5) ابن طولون، مفاكهة ، ص64 .

(6) المصدر نفسه، ص64.على، القدس، ص144 .

(7) القلقشندى، صبح الأعشى، ج4، ص37.

وعرف عن الناصر حسن بن محمد قلاوون[1]، أنه كان يناصر الشافعية على الأحناف، مما أثارهم ودفعهم إلى تأليف الكتب للطعن في المذهب الشافعي، وطلب بعض الأمراء الأحناف سنة 659هـ/1260م، من القاضي الحنفي، الرد على كتاب فخر الدين الرازي الشافعي، الذي طعن فيه على الحنفية ، وسماه (الغرة المنيفة في تحقيق مسائل أبي حنيفة)[2].

على أن هذا الميل من الأمراء إلى التعصب للأحناف، جوبه من قبل بعض السلاطين بالمعارضة، ونهوا عن الغلو في ذلك، مثلما فعل الناصر محمد وبرغم أنه حنفي المذهب، إلا أنه نهى الأمراء عن الاجتماع، والغلو في مذهب أبي حنيفة[3].

وعندما يستشعر السلطان أن نفوذ بعض المذاهب قد زاد عن حدة في السلطنة، يقوم بعزل القضاة، وتأنيبهم، والتخفيف من نوابهم، وتجريدهم صلاحياتهم، فقد عزل السلطان الناصر محمد القضاة الثلاثة، دون المالكي[4].

فليس من المستغرب أن يقوم السلطان بالاستئثار، بتعيين قضاة المذاهب الأربعة، بفرمان خاص منه شخصياً[5]، إمعاناً في التدخل في شؤون المذاهب، وتجييرها لخدمة سياسة الدولة.

لذلك دأب بعض السلاطين إلى عزل الفقهاء والقضاة من أتباع المذاهب، إن خالفوا رغبته أو اعترضوا على سياسته، فذكر المقريزي مثلاً، أن السلطان الناصر محمد بن قلاوون أراد إضافة بعض الوقف إلى قطعة أرض له، من أوقاف الظاهر بيبرس، وأراد الفتوى في ذلك فعارضه القضاة في ذلك ،مما أغضب السلطان، وعزل بعضهم.[6]

وقد تدخل السلاطين غير مرة في شؤون القضاء، وحاولوا فرض رغباتهم، على قضاة المذاهب، ونجحوا حيناً، ولكن كانت أغلب محاولاتهم تبوء بالفشل نتيجة لقوة الفقهاء والقضاة

---

(1) هو:السلطان الملك الناصر بدر الدين وقيل ناصر الدين أبو المعالي حسن ابن السلطان الملك الناصر محمد ابن السلطان الملك المنصور قلاوون وأمه أم ولد، وعمره يوم سلطنته إحدى عشرة سنة وهو السلطان التاسع عشر من ملوك الترك بالديار المصرية والسابع من أولاد الملك الناصر محمد بن قلاوون،أنظر:ابن تغري، النجوم الزاهرة ج10/ص187.

(2) القدسي، دول الإسلام ، ص47.

(3) المقريزي، السلوك، ج2 ، ص206 .

(4) الصفدي، أعيان العصر ، ج1 ، ص81

(5) القلقشندى، صبح الأعشى، ج4، ص36. القدسي، دول الإسلام، ص35.علي ، القدس ، ص 49 .

(6) المقريزي، السلوك، ج2 ، ص206.

ووقوفهم بوجه السلطان، ومن ذلك أن الفقيه الشافعي نور الدين علي بن يعقوب البكري[1] اعترض على استعارة النصارى لقناديل أحد المساجد لإحياء احتفالاتهم، وحرض ضدهم الناس فاستدعاه السلطان الناصر محمد بن قلاوون، فاتهمه البكري بأنه سلطان جائر، فغضب السلطان ووقف القاضي المالكي مع القاضي الشافعي البكري، وتدخل القضاة الأخرون في فض النزاع بين السلطان والقضاة[2].

على أن هذه الأحداث لا تلغي كون الناصر محمد محباً للدين، مقرباً للفقهاء، فقد عرف عنه تقديره البالغ للعلماء ، وأكبر دليل على ذلك أنه عندما أعفى القاضي بدر الدين بن جماعة من منصب قضاء الشافعية، استدعى الناصر بنفسه القاضي جلال الدين القز ويني قاضي الشام وأوكل إليه قضاء الشافعية في مصر، وبالغ في إكرامه والترحيب به[3].

وقد قام السلطان المظفر الجاشنكير [4]708هـ /1308م بعزل الشيخ عز الدين محمد بن سليمان المقدسي عن القضاء، فأكرمه السلطان الناصر محمد بعدما عاد إلى السلطة فأعاده إلى القضاء حتى توفي عام 715هـ/1315م .[5].

وكان بعض السلاطين والأمراء يصطحبون معهم القضاة، ويسيرون معهم في مواكبهم كأنهم ملوك[6] وهذا من تبجيل السلاطين النواب والأمراء للقضاة، وإدراكهم لدور المذاهب في الحياة المملوكية، وحتى يكسبوا عطف العامة إتباع المذاهب السنية.

وقد تبوأ القضاة منزلة عالية في البلاط السلطاني المملوكي ، حيث حظوا باحترام السلاطين وتبجيلهم، كما تمتعوا بمكانه رفيعة، وكلمة مسموعة في المجالس العالية، وقدرهم الأمراء الذين تربوا على احترام وتقدير العلماء والقضاة، وحرصوا على الإسباغ عليهم، في الأعطيات والألقاب، والوظائف رغبة في كسب تقديرهم وتأييد سياستهم[7].

---

(1) هو علي بن يعقوب البكري الشافعي، ولد سنة 673هـ/1274م، اشتغل بالفقه والأصول كان شجاعاً، جريئاً، فقيها عفيفاً متقشفاً توفي سنة 724هـ/1323م ينظر ابن حجر، الدرر ج3، ص214 .

(2) المقريزي، السلوك/ ج2، ص495 .

(3) المصدر نفسه نفس الجزء، ص485 .

(4) هو الملك المظفر بيبرس الجاشنكير، حكم مصر والشام عام 708هـ /1308م ينظر ابن حجر ، الدرر، ج2 ج2 ص 146.

(5) ابن كثير البداية، ج14،ص82. شهاب ، الحياة العلمية ، ص 50 .

(6) المقريزي ، السلوك ج2 ، ص501 .

(7) أنظر:الحجي، صور ، ص94-95 .

وقد أبلى قضاة المذاهب، بلاء حسناً في إدارة الدولة المملوكية، وتنفيذ سياستها خدمة للسلطان، حتى وصل بهم الأمر أن يتولوا مناصب تنفيذية، و كان لهم سجون خاصة بالقضاة يضعون فيها المخالفين، ويعزرونهم ويحبسونهم بعد المحاكمات[1].

وقد أدرك السلاطين والأمراء أن قضاة المذاهب لهم أهمية عظيمة في سياسة الدولة وقوتها، فقد كانت مسئولياتهم جسيمة، إذا شملت علاقتهم بالسلطان، والعلاقات مع الأمراء ومهمات الحكم، والإفتاء والشورى، إلى جانب التدريس والنظر في الجوامع والأوقاف ودور العدل، وبذل النصح للسلطان، والدعوة إلى وحدة المسلمين، وطاعتهم لولي الأمر[2] ومصاحبة السلطان؛ لذلك حرص السلاطين على الاستئثار بالمذاهب، ومحاولة السيطرة عليها من خلال القضاة والفقهاء.

وقد كانت سياسة المماليك في بناء الجهاز القضائي شاملة ودقيقة، حيث استحداث منصب قاضي القضاة كمؤسسة رسمية حكومية تتبع للسلطة مباشرة وتمثل المذاهب الفقهية الأربعة ويتبع هذه المؤسسة جهاز إداري متخصص في شؤون القضاء والشرع[3]، وهذا من تأثير السلاطين والأمراء، ومحاولة استغلالهم للمذهب، فوجود هؤلاء القضاة بجانبهم، يوفر لهم الشرعية والمصداقية كونهم مماليك[4].

على أن صاحب كتاب تحفة الترك، عزى ميل سلاطين المماليك وأمراءهم إلى المذهب الحنفي ، لرأي المذهب الحنفي في الحاكم حيث لا يشترطون في الحاكم، أن يكون قرشياً عربيـاً كما يرى المذهب الشافعي[5]، وهذا ما جعل كثير من الأمراء وأرباب السـيوف يميلـون إلـى المذهب الحنفي، على أن أغلبية الجماهير في مصر والشام، كانوا من أتباع المذهب الشـافعي، مما دفع السلطة المملوكية إلى الرضوخ للأمر الواقع والاعتراف بسيادة المذهب الشافعي.

ونتيجة لهذه السياسة المملوكية تجاه المذاهب، أنقسم أتباع المذاهب من كبار العلماء إلـى فريقين، فريق شارك في إدارة الدولة وحرصوا على الفوز بمناصب القضاء والأوقاف والتعلـيم والحسبة وغيرها مما دفعهم إلى التقرب من السلاطين والأمراء[6]،على أن هذا الفريق -بـرأي

---

(1) المقريزي ،السلوك ج3،ص81 .

(2) أنظر: الحجي، صور ص100-101 .

(3) ابن تغري،النجوم،ج15، 546.المحبي، خلاصة ،ج1،ص479. الحجي ، صور ، ص120-121 .

(4) الحجي ، صور ص 122.

(5) الطر سوسي ، ص17 .

(6) حاجي خليفة،كشف الظنون،ج1،ص755.الكيلاني ، هكذا ظهر ، ص39 .

الباحث - لم يكن في جلة يطمع فيما عند السلطان، حيث أن أغلبهم كان يستحق هذه المناصب ودفعهم غالباً تدينهم، ورغبتهم في إصلاح الدولة والمجتمع[1] إلى القبول بتلك المناصب، وكان بعضهم يزهد فيها تورعاً لدينه، أما الفريق الثاني فكان من الانتهازيين، وأصحاب المطامع الشخصية، ووجدوا في المذاهب والانتساب لها وسيلة لتحقيق مطامعهم، وبذلك كان أغلبهم يتنقلون بين المذاهب حسب نفوذها في الدولة ودوائرها[2].

وغالبا ما ينشىء صراع بين المذاهب على تلك المناصب، وعلى النفوذ في الدولة مما جعل السلاطين يستخفون أحيانا بالمشايخ والقضاة؛ وهيمن السلاطين على المؤسسات العلمية والقضائية، وصاروا يعينون القضاة والمدرسين أو يعزلونهم، وينزلون العقاب بهم[3]وبالتالي توظيف هذه المذاهب سياسياً بما يخدم مصالح السلطة الحاكمة من المماليك.

وصدق قول أبو حامد الغزالي في هاتين الفئتين حيث قال:" فأصبح الفقهاء بعد أن كانوا مطلوبين طالبين، وبعد أن كانوا أعزه بالإعراض عن السلاطين، أذلة بالإقبال عليهم إلا من وفقه ا تعالى [4].

وبذلك ندرك دور السلاطين المماليك الفاعل في الحياة الدينية بشكل عام، ومدى تأثيرهم في مسيرة المذاهب الإسلامية السنية، في الشام ،وندرك أن قوة المذاهب وانتشارها، مرهون بعدة عوامل، منها دور الحاكم والدولة.

---

(1) لابيدوس، مدن الشام، ص174 .

(2) الكيلاني، هكذا ظهر، ص40 .

(3) المرجع نفسه، ص41 .

(4) الأحياء، ج1، ص42 .

المبحث الرابع

تأثير الخلافات بين المذاهب، على الدولة والمجتمع، في العهد المملوكي

انعكست آثار التعصب المذهبي على الحياة في العهد المملوكي، وطال هذا التعصب مؤسسات الدولة المملوكية، وعامة الناس، وأسهم في إشاعة التفكك، والاضطراب في المجتمع والدولة.

فقد شكلت تلك المذاهب طوائف اجتماعية، أشبه ما تكون بالأحزاب المتنافرة المتدابرة وليس هذا فحسب فقد غير أتباع المذاهب المتأخرين وبدلوا ما كان عليه أصحاب المذاهب الأوائل، ورجاله من الأئمة والفقهاء والعلماء، حيث كانت أخلاق العلماء، وتقواهم هو القانون السائد في بدايات نشوء المذاهب، ثم ما لبثت المذاهب أن احتوت أنواع من عامة الناس والتجار والإداريون والطلاب[1] وغيرهم ممن لم يتشرب الفقه والتقوى، وسماحة الإسلام، فحدث أن تعصبوا وتحزبوا، وتباغضوا وتدابروا، فكان منهم من يتخذ المذهب وسيلة لمنفعته الخاصة[2] ومنهم من أحب الجاه والوصول للمناصب العليا، وحتى التجار تمذهبوا ،ليرضوا أذواق جماهير من العامة لتسويق بضائعهم، وكان غالبية العامة، لا يعرفون من المذاهب إلا اسمها دون فهم أو تطبيق[3].

وفي هذه الحالة المزرية، ظهرت مدارس فكرية مذهبية، ينشىء بينها صراع مرير ألقى بظلالة على الناس والسلطة، وقد دعم الأمراء المماليك تلك المدارس حسب أهوائهم وميولهم فكان ذلك من أسباب ظهور التعصب المذهبي[4]، واستفحال شأنه، وزاد من تمكنه انحياز كبار العلماء والفقهاء، إلى ما اختاروه من مذاهب، على حساب الحق، فكثرت المناظرات التي أفضت إلى منازعات[5].

---

(1) ذكر المؤلف لابيدوس في كتابه مدن الشام ص 179، أن المدارس الفقهية، شكلت اتحادات من الاساتذة والطلاب والقضاة، اختلفت فيما بينها في الممارسة والتطبيق .

(2) الكيلاني، وهكذا ظهر، ص41.

(3) المرجع نفسه، نفس الصفحة.

(4) اليافعي، مرآة الجنان، ج3، ص82. التطواني، أصول المذاهب، ص7.

(5) ابن العماد، شذرات الذهب،ج8،ص135. التطواني، أصول المذاهب ص7.

وليس من المستغرب، أن تصل حدة هذا النزاع والتعصب، إلى حد الفتن وسفك الدماء وتخريب المدن والمدارس والمساجد[1]،مثلما حدث في نكبة الحنابلة[2].

وكان كثيراً ما يصاحب هذه الفتن المذهبية، فكرة استئصال المذاهب المنافسة، وقد ذكر ابن كثير أن شيخ الإسلام ابن تيمية، عندما بدأ بمحاربة التصوف وهاجم شيوخه[3] وقد كان المتصوفة حلفاء للشافعية والأحناف في مصر والشام تعرض ابن تيمية للمحاكمات والحبس والاهانة، مما أثار الحنابلة في الشام[4].

ونتيجة لذلك، ذكر ابن كثير، أنه حصل للحنابلة في الشام خصوصاً، هم وأذى كبير وتعرضوا للمحن، وتم إجبارهم على ترك مذهبهم[5]، ووصل الأمر في المسجد الأموي إلى اقتحام رواق الحنابلة ،من قبل المتصوفة والمذاهب الأخرى وصلوا فيه[6]، إمعاناً في استئصال مذهبهم ومحاولة إضعافه.

كل ذلك حدث برضي من السلطة المملوكية، التي كانت تهمش المذهب الحنبلي، وبرضى المذاهب الثلاثة الأخرى، التي أيدت ذلك ،للتخلص من مذهب منافس لها[7].

وحدث أن انتصر السلطان الناصر محمد بن قلاوون للحنابلة، عندما أفتوا بحرمة أن يعزل السلطان نفسه، وساند الحنابلة السلطان الناصر محمد، وترتب على ذلك أن قام ابن تيمية بزيارة الناصر محمد، ودعمه ضد خصمه السلطان المظفر الجاشنكير، الذي دعم المتصوفة ضد الحنابلة، ودعم آراء المتصوفة في التوسل وزيارة القبور وغيرها من مسائل الخلاف بينهم وبين الحنابلة، وعندما تولى الناصر محمد لولايته الثالثة، انتقم من السلطان المظفر الجاشنكير ونصر الحنابلة ضد خصومهم[8]؛ ويتبين من ذلك أن وقوف السلاطين، مع أو ضد المذاهب، كان

---

(1) ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص9.

(2) هو صراع مذهبي نشئ بين الحنابلة والأشاعرة الشوافع ،حتى وصل الأمر إلى حد النزاع العقائدي وتبادل الاتهام بالزندقة والكفر، وعلى أثره تعرض الحنابلة للتضييق والمحاربة، أنظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص41. المقريزي ، السلوك، ج2، ص401.

(3) ابن كثير، البداية والنهاية ، ج14 ،ص38 .

(4) المصدر نفسه، ج14، ص41 .

(5) المصدر نفسه ،ج14، ص42 .

(6) ابن كثير، البداية والنهاية ، ج14، ص42- 43 .

(7) ألمح ابن كثير إلى رغبة المذاهب الأخرى في التخلص من الحنابلة ، ج14 ،ص41 وما بعدها .

(8) ابن كثير، البداية والنهاية ، ج14، ص60 .

بدوافع شخصية منهم، وأحياناً بدافع الصراع على السلطة، وبأي حال فأن موقفهم ذلك، أذكى نار الفتنة المذهبية في بلادهم وشجعها.

ورافق انتشار التعصب المذهبي، انتشار الجماعات والفتن والخصومة ، وكان أصحاب كل مذهب يؤدون صلاتهم منفردين، وظهرت المدارس الخاصة بالمذاهب، كالمدارس الشافعية والحنفية والمالكية والحنبلية، وانحصرت مناهج كل مدرسة ،فيما يتعصب المذهب إليه[1] فأصبح التعليم مغلقاً جامداً، ومهد ذلك للدولة لبسط نفوذها، على تلك المدارس المذهبية، ووجهت التعليم لخدمتها وخدمة سياستها[2].

ونتيجة لهذا التعصب المذهبي، ظهرت مؤلفات وكتب تمجد المذهب وشيوخه،وتحاول النيل من أتباع المذاهب الأخرى، فكتب طبقات الحنابلة ، وطبقات الشافعية، والحنفية وغيرها وظهور الحواشي والمختصرات المذهبية[3]، ساهمت في دعم التعصب، وزيادة الفرق بين تلك المذاهب وشيوع ظاهرة الإرهاب الفكري، حيث يلتزم كبار العلماء ومفكري المذهب، بتوجيهات عامة أتباع المذهب وسواده الأعظم، ومجاراتهم في الطعن في المذاهب الأخرى وعدم الحوار معهم[4].

ولذلك ضغطت الدولة أكثر من مرة على علماء المذاهب، واستغلت خلافهم للحصول على مبتغاها، مستغلة اختلاف علماء المذهب، في بعض المسائل وفتكت ببعضهم، مثلما حدث مع علماء القدس، عند فتنة بناء كنيس يهودي، ومعارضة قضاة الشافعية والأحناف في القدس[5].

ويحدث أن يختلف قضاة المذاهب، في فتاويهم وإحكامهم، فيعارضون بعضهم البعض ويفتي أحدهم ضد فتوى الأخر، وحدث ذلك عندما طالب القاضي المالكي في دمشق، بإعدام رجل شيعي شتم الصحابة، في مسجد دمشق، وكان القاضي المالكي، قد عارض حكم قاضي القضاة الشافعي، الذي أمر بحبس الشيعي وأصبح هناك صراع بين القضاة على الصلاحيات[6]، وهذا يؤثر سلباً في مصداقية القضاة، أمام المجتمع والدولة، ويضر بسمعتهم وهيبتهم.

---

(1) زيادة ، دمشق ، ص 53.

(2) المرجع نفسه ص 53 .

(3) الكيلاني، هكذا ظهر ، ص 30-31 .

(4) ابن حجر، أبناء الغمر ، ج3 ، ص57 وما بعدها .

(5) لعليمي، الانس الجليل ، ج2 ، ص217 .ابن اياس ، بدائع ، ج3 ، ص343 .

(6) ابن كثير، البداية والنهاية ، ج14 ، ص250 .

وقد تدخل الأمراء غير مرة، في تلك الخصومات بين قضاة المذاهب، فيقفون مع قاضٍ ضد آخر وكانوا يغلبون مذهب على مذهب آخر، حسب قوة المذهب، ونفوذه فقد ذكر صاحب كتاب مفاكهة الخلان : أن القاضي الشافعي محيي الدين الناصري الحنفي قاضي الشافعية في الشام، قد أمر بتعيين قاضيا حنفياً جديداً للمذهب الحنفي في الشام، بضغط وإشارة النائب في دمشق[1]، وكذلك تم تعيين القاضي المالكي في دمشق ،من قبل القاضي الشافعي، وبإشراف السلطة المملوكية ودعمها[2].

وتنافس قضاة المذاهب على الاستئثار بالمناصب والوظائف الحكومية وحاولوا السيطرة على أكبر عدد ممكن من الوظائف لتقويه مذهبهم على المذاهب الأخرى فنرى أن قاضي الأحناف في الشام الشيخ شمس الدين علي بن الحسن الهروي، قد تحفظ على تولي الشافعية للوظائف كلها، ولم ير للحنفية شيئاً ،فسعى للحصول على وظائف لمذهبه[3]، وهذا من المؤكد، سوف يؤدي إلى كراهية وحقد، نتيجة للتنافس على المناصب، ولا شك أنه سيلقي بظلاله على الدولة والمجتمع .

وذكر المقريزي أن الحنابلة في عهد الظاهر بيبرس، قد شكوا تمييز السلطان لهم، وأنه لم يعطهم حقوقهم، ولم يول قاضياً حنبلياً في مدرسته[4]، وهذا مما لا شك فيه، يدفع كثير من أتباع المذهب الحنبلي ،إلى السخط على الدولة المملوكية ، وإحداث القلاقل والفتن مثلما حدث بعد ذلك في نكبة الحنابلة في الشام[5].

والشيء بالشيء يذكر، فقد وقع خلاف بين القاضي المالكي والشافعي في دمشق، وقد ألزم القاضي الشافعي القاضي المالكي بتقبيل يده ، مما حدا بالأخير أن يرفض هذا الأمر وحدث بينهم جفوه كبيرة[6].

وقد استخدم سلاطين المماليك أحياناً ،قضاة المذاهب في الشام ،كبدائل لقضاة مصر عندما يختلفون معهم ،فقد استدعى السلطان قايتباي المحمودي، القاضي شرف الدين موسى بن عيد

---

(1) ابن طولون ، ص73 .

(2) المصدر نفسه ، ص125 .

(3) العليمي ، الأنس ، ج2 ص 110 .

(4) السلوك ،ج2 ، ص3 .

(5) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج14 ، ص9.

(6) ابن طولون ، مفاكهة الخلان ، ص 247 .

الشافعي المذهب من الشام، ليحل مكان القاضي شمس الدين الأمشاطي الحنفي قاضي مصر، وادعى السلطان ،أنه لا يوجد في مصر من يحل مكان القاضي الحنفي[1] .

ولا يخفى على أحد الصراع الكبير بين الحنابلة والأشاعرة الشوافع ،حتى وصل الأمر إلى حد الصراع، وتكفير بعضهم البعض ورميهم لبعضهم بالزندقة والكفر[2]. وكل ذلك أثر تأثيراً مباشراً وواضحاً على الدولة والمجتمع، وقد بلغ حد الإرهاب المذهبي، أن أجبر ابن تيمية على أن يكتب بخط يده، على أنه ترك المذهب الحنبلي، وأصبح أشعري الأعتقاد شافعي المذهب، ونودي في دمشق أنه من ذكر عقيدة ابن تيمية الحنبلية ،شنق وكتب محاضر على الحنابلة بمثل ذلك[3]، وهذا دليل واضح، على مدى سوء حالة المذهبية في الشام في ذلك الوقت، ومدى التأثير على العلاقات الاجتماعية في الشام.

وقد واجه العلماء أمثال ابن قيم الجوزية[4] وابن مرى البعلبكي، إبن شاس، وعلي بن عبد عبد ا الإسكندري وهم من شيوخ الحنابلة، السجن والتعذيب والإرهاب[5]،بسبب الصراع المذهبي.

ونتيجة لذلك، نجد الكثير من العلماء، قد تركوا مذهبهم وتحولوا إلى مذاهب أخرى يكونون من خلالها في منئى عن التعذيب والتنكيل[6].

وتسرب هذا الخلاف إلى المؤسسات الدينية، وتفشى في الطلاب، وبالتالي تأثر أهليهم بما تمذهبوا به، حتى أن الأغنياء أصبح يشترطون في الأوقاف، أن تكون على مذهب معين أو لا تدرس مذهباً بعينه[7]ووصف ابن قيم الجوزية عصره قائلاً:" وقد جعل هؤلاء التعصب للمذهب ديانتهم، التي يدينون بها ، ورؤوس أموالهم، وفي سبيلها يوالون ويعادون ويصلون ويقطعون ويحبون ويبغضون ، فقد أشقاهم التعصب، وأصمهم وأعمى أبصارهم عن النور، حتى بلغ بهم

---

(1) قايتباي المحمودي ، ص36 .

(2) المقريزي، السلوك ،ج2 ، ص 401 .

(3) المقريزي، السلوك ،ج2 ، ص 401.

(4) برهان الدين إبرهيم بن العلامة شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية الحنبلي عالم فقيه،أمتحن مرات وسجن مع شيخه ابن تيمية،أنظر:ابن العماد ،شذرات الذهب ج6/ص208.

(5) الطرسوسي، تحفة الترك، ص211 . ذكر كتاب العقائد الدينية في مصر المملوكية مجموعة من العلماء تعرضوا للفتن المذهبية انظر ً131 من نفس الكتاب .

(6) ابن العماد ،شذرات،ج4،ص347. الطرسوسي ، تحفة الترك ، ص211.

(7) المقريزي، السلوك ، ج5 ، ص 372 -373 .

هوس المهاترات، ورد المذهب بالمذهب "[1] فوصف ابن القيم لحالة التردي المذهبي في الشام في العهد المملوكي دليل على عمق الخلاف المذهبي.

وقد ذكر ابن طولون ، أن الحنابلة مثلاً قاموا بالهجوم على مدرسة أبي عامر في صالحية دمشق، انتقاماً لطالب حنبلي، أصيب في نزاع بين الطلبة ، وقاموا بتدمير المدرسة، وضرب أهلها[2].

ومن تداعيات هذا الصراع المذهبي، أن خالفت المذاهب بعضها بعضا في شعائر الدين،فقد ذكر المقريزي، أن الحنابلة في نابلس قد صاموا رمضان ،وقد خالفهم الشافعية في يوم الصيام ويوم الفطر[3].

وفي المسجد الأموي ،حصل خلاف كبير ،عندما تقدم الإمام الشافعي على الإمام الحنفي في الصلاة،وتحزب الناس لكل مذهب، وكادوا أن يقتتلوا[4] .

على أن تراجع نفوذ المذهب الحنبلي، لم يكن مطلقا، فقد شهد عصر الناصر محمد أزهى عصور الحنابلة ،حيث بلغ من نفوذهم في عهد الناصر محمد بن قلاوون، أن يطاب قاضي الحنابلة بعض المشايخ من المذاهب الأخرى ويعاقبهم ويمنعهم من الفتوى[5]وبسبب ذلك ضغط الناصر محمد على المالكية -وهم من خصوم الحنابلة- وأهان القاضي المالكي[6].

وأدى دعم السلطان الناصر محمد للحنابلة، أن قويت شوكتهم، وتجرءوا على شيخ الشافعية في دمشق الشيخ صدر الدين بن الوكيل، وجرى منهم القذف والشتم لأنصار الشافعية في دمشق[7]، ثم الاقتتال و المقاطعة ، حتى لا يصلي بعضهم وراء بعض[8].

وذكر ابن طولون ،أن الدولة المملوكية ساندت المذهب الحنفي ،على المذهب الشافعي في العديد من القضايا الخلافية[9]خاصة في أمور العبادات كالصلاة ومن أمثلة الصراع المذهبي في أمور الصلاة الخلاف الذي نشأ بين الأحناف والشافعية على كلمة ربنا ولك الحمد، أو سمع ا

---

(1) عبد الحليم ، ابن قيم الجوزية ، ص44 . على، القدس، ص176.

(2) مفاكهة الخلان ، ص 52-53 .ابن العماد،شذرات،ج4،ص188.

(3) السلوك ، ج2 ، ص362. النويري ، نهاية الأدب ، ص38 .

(4) ابن طولون ، مفاكهة الخلان ، ص 345 .

(5) ابن كثير، البداية والنهاية ، ج14 ، ص76 .

(6) المصدر نفسه، ج14، ص140 .

(7) المصدر نفسه،ج14، ص87-88 .

(8) انظر: أبو شامة، ذيل الروضتين ص18. ابن كثير: البداية ج 12 ص ، 249 ، ج 13، ص 119 ،120.

(9) مفاكهة الخلان ، ص42 .

لمن حمده، التي يقولها الشافعية ،ونشب خلاف بينهما، حتى حكم بينهم بان يطبق كل واحد ما يراه مناسباً في محرابه في المسجد الأموي[1].

وكانت المناظرات إثارة للفتن، وبث الشحناء والبغضاء بين أبناء المجتمع الواحد، وتبعث في المتناظرين التعصب والاعتداد الزائد بالنفس، والتكبر وعدم الخضوع للحق ،كما أنها طريق لكثرة الجدال، وإتباع الهوى، و تبادل السب والشتم انتصاراً للمذهب و تعصبا له، وقد تحولت كثير من المناظرات بين الفقهاء إلى صراع مذهبي، مثلما حدث مع ابن عطاء ا السكندري أحد علماء الشافعية في مصر ومن كبار المتصوفة ،وابن يعقوب البكري من جهة ،وابن تيمية من جهة أخرى ، وتحزب لهم الناس واختلفوا عليهم[2].

وفي القدس مثلاً كان لكل مذهب مناظراته، ومحرابه للصلاة، حتى وصل الأمر إلى الطائفية الدينية والتأثير الاجتماعي الخطير[3].

وهذا ما دفع السلطة المملوكية إلى التدخل، لحسم الصراع، إذا تطور إلى اقتتال وحروب مذهبية، فقد روى ابن كثير ،أن نائب السلطنة في دمشق، أمر الناس بالصلاة خلف الإمام الشافعي، وهو أكبر الأئمة قدراً، وذلك للتشويش الذي حصل من تعدد الأئمة في الصلاة الواحدة في جامع دمشق[4].

وكانت هذه الخلافات تؤدي في بعض الأحيان، إلى الشحناء والقطيعة بين العلماء، حتى أن السلطان المملوكي، كان يتدخل للإصلاح فيما بينهم، وذكر ابن كثير، أن نائب السلطنة في مصر قال: "كنا نحن الترك وغيرنا إذا اختلفنا واختصمنا نجيء بالعلماء فيصلحون بيننا، فصرنا نحن إذا اختلف العلماء واختصموا نصلح بينهم وشرع في تأنيب من شنع على الشافعي"[5] .

وقد أصلح نائب الشام الأمير تنكز بين الحنابلة والشافعية ، في دار الإمارة في دمشق بسبب صراعهم على العقائد[6].

---

(1) ابن طولون مفاكهة الخلان، ص119.

(2) ابن كثير، البداية والنهاية، ج14 ، ص50/46 .

(3) زكار، فلسطين، ص589.

(4) البداية والنهاية، ج14، ص332 .

(5) المصدر نفسه، ج14، ص317 .

(6) ابن كثير، البداية والنهاية، 14، ص78 .

وبذلك ندرك أن الصراع المذهبي والتعصب ،قد أثر كثيراً في الحياة المملوكية في الشام وبلغ حداً لا يمكن الاستهانة به في تغيير مجري الأحداث .

ولهذا بدلاً من أن تكون المذاهب الإسلامية، مدارس للتيسير والتوسعه، على المسلمين أصبحت، أداة للتضييق على الأمة، ووسيلة لضبط الفقهاء وقمعهم، وقيداً في أعناقهم يشل حركتهم الفقهية، ويغرقهم في الفتن والصراعات، ويجعل وحدتهم وتآلفهم واختلافهم بيد السلطان، فافقدهم الهيبة في عيون العامة والخاصة[1].

وبلغ من شطط بعض أتباع المذاهب الاشتراط في الوقف شروطاً مهينة تدل على تعصب مقيت، فقد أنشأ زكي الدين بن رواحة الشافعي المذهب، مدرستين في دمشق وحلب، واشترط أن يكتب على بابهما " لا يدخلها مسيحي أو يهودي أو حنبلي"[2] .

وذكر أبو شامة عام 660هـ/1261 م أن والي دمشق الافتخار اياز المملوكي، كان له خادم حنبلي يعرف بالفخر الصيرفي، وله مسجد يسمى مسجد ابن الصيرفي[3] وكان والي دمشق يصرف له ستون درهماً وميزه عن باقي المساجد ، فقال بعض أئمة المساجد في ذلك شعراً :

يا والياً متـ ـ ـ زهداً   متحنبلاً بتصـ ـاف

لم لا تساوي بالمساجد   مسجد ابن الصيرفي

فأجابه آخر على لسان الوالي :

قال الأمير الحنبلي   جواب من لم ينصف

أنا مبغض للشافعي   والمالكي والحنفي

فلذاك أقصدهم   وأرعى جانب ابن الصيرفي[4] .

.

(1) عدوان، دور العلماء في إصلاح المجتمع ، ص 43 .

(2) أبو شامة، الروضتين، ج1، ص10 . الصفدي ، الوافي ، ج7 ، ص408 .

(3) مسجد ابن الصيرفي، نسبة لفخر الدين بن الصيرفي الحنبلي (ت بعد 660هـ/1261م) الصفدي، الوافي، ج9 ص458-459.

(4) ابو شامة،الذيل على الروضتين، ص218 .

وعرف عن الشافعية، أنهم يجهرون بالبسملة في الصلاة، وهذا ما لا يراه الحنابلة، لذلك تجرأوا ومنعوا بعض المساجد الشافعية من الجهر بالبسملة ، وقد أخرج إمام إحدى المساجد الشافعية القرآن وقال للحنابلة المعترضين على البسملة :" ازيلوها من المصحف حتى لا أتلوها " ثم اقتتلوا وقويت شوكة الحنابلة في دمشق، حتى منعوا الشافعية من حضور الجمع والجماعات، وخوفوهم بالقتل[1].

ومن المسائل التي كانت مثار خلاف بين المذاهب، دعاء القنوت في صلاة الفجر فقال الشافعية والمالكية أنها سنة، وأنكرها الأحناف والحنابلة، كذلك مسألة رفع اليدين بعد الركوع والرفع من الصلاة[2].

وفاضلت المذاهب بمؤسسيها ومدحهم أتباعهم، وجعلوهم في مصاف الأولياء، وذموا مؤسسي المذاهب الأخرى، فالحنفية مثلاً بالغوا في تعظيم الأمام أبو حنيفة، ووصفوه بالإمام الأعظم، وقد ذكرها عبد القادر القرشي الحنفي مؤلف كتاب طبقات الحنفية، ووصفه قائلاً "الإمام الأعظم الهمام المقدام، تاج الأئمة وسراج الأمة أبو حنيفة النعمان "[3].

وعظم المالكية أمامهم مالك بن أنس، ورجحوا مذهبه على باقي المذاهب، وقالوا أنه الأفضل والأعلم ويجب إتباعه ،وكرروا مقولة القاضي عياض بن موسى اليحصبي السبتي وكان من أئمة المذهب المالكي، حيث قال:" إن مالكاً أولى الأئمة بالإتباع ،لجمعه أدوات الأمانة ،وتحصيله وجه الاجتهاد، وكونه أحق أهل وقته بذلك "[4].

وبالغ أمام الحرمين الجويني في مدح الشافعي، وصنف رسالة في ترجيح مذهبه على سائر المذاهب، وقال أنه يجب على كل مخلوق إتباع الشافعي[5].

ومدح الحنابلة مذهبهم، فقال شيخهم الحافظ يحيى بن مندة الأصفهاني :" ان أحمد بن حنبل إمام المسلمين، وسيد المؤمنين، وبه نحيا وبه نموت، وبه نبعث إن شاء ا ،فمن قال غير ذلك فهو من الجاهلين "[6].

---

(1) ابن الجوزي، المنتظم ج8 ص163 . ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج12 ، ص 66.

(2) ابن الجوزي، المنتظم ج8 ص212 . علال ، الحركة العلمية ، ص 454 .

(3) علال، التعصب المذهبي ، ص215 .

(4) ابن فرحون، الديباج المذهب ، ص13 .

(5) السبكي، طبقات الشافعية ، ج1 ، ص 345 .

(6) ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة ، ج1 ، ص 101 .

وسرى هذا التعصب إلى المؤسسات الدينية ،القائمة على أساس المذهب، فكانت مدينة دمشق وحدها، تحوي العديد من المساجد المذهبية ،فمعظم مساجدها داخل السور كانت للشافعية والأحناف والمالكية، وأغلب المساجد خارج السور كانت للحنابلة[1].

بل وكانت بعض تلك المساجد ،مقسمة من الداخل إلى محاريب، يصلي فيها أتباع كل مذهب خلف إمامهم فقط، فالمسجد الأموي والمسجد الأقصى وبعض المساجد الكبيرة، _سوى مسجد مدينة الخليل، فلم يكن للحنابلة فيه نصيب _ كانت مقسمة على المذاهب[2].

وقد علق أحد الباحثين على ذلك الوضع بقوله: أن من آثار التعصب التباغض والتفرق حيث أدى التعصب المذهبي، إلى التطرف والعداوة بين الناس، لدرجة أن الواحد فيهم كان لا يصلى خلف من يخالفه في المذهب، فكان الحنفي لا يتزوج بالشافعية، والشافعية لا تتزوج بالحنفي، وقد طالب بعض المتعصبين ،بتقسيم المساجد كلها إلى مساجد مذهبية[3] .

وظهرت ظاهرة الفتاوى المنكره التي تسيء للمذهب الآخر وتطعن في بعض آراءه ، حيث كان كل فريق من المتعصبين لمذهبهم يصدر فتاوى منكرة ضد المذاهب الأخرى[4].

وفي خضم هذا التعصب المقيت، كان الضحية الأولى لتلك الأحداث المريرة، هو المجتمع المسلم في الشام، الذي كان في أمس الحاجة إلى الوحدة، أمام ضربات المغول التتار من الشرق، والصليبيين من الغرب .

---

(1) العليمي، الانس الجليل ، ج2 ، ص 33 .

(2) العليمي، الانس الجليل ، ج2 ، ص 32 .

(3)ابن الجوزي، المنتظم ج8 ص163. ابن كثير، البداية والنهاية ، ج12، ص 66.الجوجو، التعصب المذهبي، 146.

(4) الجوجو، التعصب المذهبي، 146.

الفصل الرابع

المؤسســــات الدينية الاسلامية في الشـــــام

في العهد المملوكي

- نشأتها وتمويلها وأهدافها ودورها في المجتمع.
- المؤسسات الدينية السائدة:
  - دور القرآن والحديث الشريف.
  - المدارس والكتاتيب.
  - المساجد.
  - الربط والخانقاوات.
  - الزوايا والترب.
  - المكتبات

المؤسسات الدينية الإسلامية في بلاد الشام:

نشأتها وتمويلها وأهدافها:

كانت المساجد والمدارس وغيرها من المؤسسات الدينية ، مراكز رفيعة المستوى للعلم والتدريس، وكان الفقهاء والعلماء، وليس رجال السلطة من الأمراء وغيرهم هم القيمون على المؤسسات التعليمية [1].

وكان تمويل هذه المؤسسات يعتمد في الأساس، على ما تدره مؤسسة الأوقاف في ذلك العهد، لكي يضمن المماليك دخلاً ثابتاً للمؤسسات التي ينشئونها، فكان يوقف عليها أوقافاً تكفي للإنفاق على الفقهاء المدرسين والدارسين[2].

وقد ذكر ابن خلدون ،أنه كثرت الأوقاف على المدارس والزوايا والرباطات في دولة المماليك [3].

فقد نص واقف المدرسة الإقبالية[4]، على أن يرتب فيها "خمسة وعشرين فقيها لهم الجوامك[5] الدارة في كل شهر والطعام في كل يوم والحلوى في أوقات المواسم والفواكه في زمانها وخلع على المدرسين والمعيدين والفقهاء يومئذ وكان وقفا حسنا"[6].

وكذلك "وقفا على تلقين القران الكريم و الفقه، على أن يعطى لطلبتها و معلميها، كفايتهم من المأكل والملبس بالمجان. وقد كانت مدرسته تقدم مئة رغيف خبز كل يوم، وتوزع الصابون على المجاورين و تفرق الزبيب والحلويات كل جمعة على النازلين بها، دون أي مقابل، بفضل

---

(1) حجي، صور من الحضارة، ص135. صعيدي، العلماء، ص54-55.

(2) ابن كثير، البداية، ج13ص 351. ابن تغري بردي، النجوم، ج6، ص54. النعيمي، الدارس، ج1، ص15، 49، 84، 119 .

(3) تاريخ، ج 1ص778، 779.

(4) سيأتي تعريف تلك المدارس في هذا المبحث، في مبحث المدارس من نفس الفصل.

(5) الجامكية جمعها جامكيات وجوامك هي: مرتب من المال لخُدام الدولة من العسكرية والملكية. انظر : معلوف، المنجد في اللغة ص 102.

(6) ابن كثير، البداية، ج13ص 351. النعيمي، الدارس، ج1، ص119.

أوقافها الكثيرة ، من أملاك ، و عقارات ،و حقول في دمشق ،و بيروت ،و طرابلس ،و غيرها من قرى الشام"[1].

وفي حديثه عن هذه المدرسة ذاتها، يذكر النعيمي ت927هـ/1520م أن وقف هذه المدرسة حتى زمانه " لا يمكن حصره و من جملته: العشر من البقاع_ جزء من لبنان اليوم_ من القمح ستون غراره ومن الدراهم خمسة الآف للغنم في شهر رمضان ،ومما رأيناه وسمعنا به من مصالحها الخبز لكل واحد من المنزلين فيها رغيفان ،وللشيخ الذي يقرئ القرآن أو يدرس ثلاثة أرغفة ، وهو مستمر طول السنة والقمصان في كل سنة لكل طالب ومدرس قميص ، والسراويل لكل واحد سروال ، ويطعمون اللحم و ينوع لهم يوم الجمعة العدس وزبيب وقضامة ليلة الجمعة ويفرق عليهم بعد قراءة ما تيسر من القرآن، ويوزع عليهم صابون ،ووعاء يسخن فيها الماء في الشتاء لغسل من احتلام، ويوزع عليهم كعك بعسل في ليلة العشرين من رمضان وكنافة ليلة العشر الأول من رمضان ويعطون قنديل يشعل طول الليل في المقصورة للمدرسة، وأضحية في عيد الأضحى وطعام في عيد الفطر ولحم وهريسة ورز وحلو "[2].

أما واقف دار القران الخيضرية، في سنة 878هـ-1473م؛ فقد "رتب فيها الفقراء والجوامك"[3].

واشتمل وقف دار القرآن الحديث التنكزية كما نصت وثيقة الوقف التي رآها النعيمي على "سوق و ثمانية عشر حانوتا خارج سور دمشق وداخل السور حوانيت أيضا عدة تسعة عشر حانوتا و بستان يعرف بالبندر وبها مشيخة الإقراء والإمامة وكذلك المشتغلون بالقرآن العظيم عدة اثني عشر لكل واحد في الشهر سبعة ونصف من المال والمستمعون عدة خمسة لكل واحد في الشهر، و كذلك نيابة النظر أربعين "[4].

---

(1) الذهبي: تاريخ الإسلام ج1 : 591 –600.و النعيمي : الدارس ج 2 ص :109 .

(2) النعيمي، الدارس، ج1، ص87.

(3) المصدر نفسه، ج1، ص7. بدران،منادمة الإطلال،ج،1ص5.

(4) المصدر نفسه، ج1، ص94.

واشتمل وقف المدرسة الزنجارية في دمشق سنة 820هـ/1417م على "حانوتان جوارها ولها طاحون بالقرب منها وبجوار الطاحون حانوت"[1]. كما اشتمل وقف المدرسة العادلية الكبرى في دمشق كما يفيد النعيمي في زمانه على" قرى وضياع وبساتين"[2]، واوقفت العديد من القرى على المدرسة الشامية الجوانية"[3]. واشتمل وقف المدرسة الظاهرية الجوانية على "ضياع وقرى قبلي دمشق وجزء من البقاع "[4]، أما المدرسة الفارسية فقد اشتمل وقفها في سنة 808هـ/1405م على "حوانيت إلى جانبها، و قرى من عمل الجولان ، ويوزع على مدرسيها وعشرة فقهاء وعشرة مقرئين للقرآن ويتعلم فيها خمسة عشر يتيما إذا حفظ أحدهم القرآن يخرج ويعين غيره من الأيتام، ومقرئين آخرين فيها أيضا غير العشرة المذكورة يحضران عقب الظهر والعصر، وجعل لكل شيخ ثمانين درهما وللطلبة كل شهر خمسا وأربعين وجعل عددهم عشرة وكذاك المقرئين لكل منهم خمسة عشر درهما، ولكل يتيم في كل شهر خمسة عشر درهما. وفي كل موسم وعيد لكل واحد خمسة عشر درهما "[5]. واشتمل وقف المدرسة الضيائية المحمدية على "دكاكين وسوق وحوانيت وجنينة في دمشق وأرض ويؤخذ لأهلها ثلث قمح ضياع وقرى"[6].

وفي تقرير قدمه النعيمي عن الحصيلة المالية لريع أوقاف المدرسة العمادية سنة 865هـ/1460م ذكر أن ريع المدرسة بلغ في ذلك العام "من الدراهم ألف واثنتين وسبعين من الحوانيت جوار المدرسة "[7].

واشتمل وقف أحد المساجد "مصالح المسجد والمئذنة والتربة وعمارته وفرشه وتنويره وعلى الإمام والمؤذن والقيم به مال جزيل، "[8].

---

(1) ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص165.الكتبي، فوات الوفيات، ج4، ص362. النعيمي، الدارس ج1، ص404.

(2) النعيمي، الدارس، ج1، ص271.

(3) المصدر نفسه، ج1، ص226.

(4) النعيمي، الدارس، ج1، ص271.

(5) العليمي،الأنس الجليل، ج2، ص368. بدران، منادمة الأطلال، ج1، ص135. النعيمي، الدارس، ج1، ص324-325

(6) النعيمي، الدارس ج2، ص76.

(7) الذهبي، تاريخ، ج33، ص207. العليمي، الأنس، ج1، ص13. النعيمي، الدارس، ج1، ص312-313.

(8) النعيمي، الدارس، ج2، ص182.

ووقف على دار الحديث الأشرفية البرانية، ضيعات وقرى وبساتين ومصالح كثيرة[1].

ولم تتوقف رعاية الأوقاف للدارسين على تعليمهم وتوفير المأكل والكسوة والمساعدات المادية لهم فقط، بل حرص الواقفون على توفير الأدوات التعليمية مثل الأقلام والمداد والألواح والدوى والحصر التي يجلسون عليها[2].

وإضافة للأوقاف فقد كان لما يغدقه السلاطين ،على رجال الدين والعلماء والمدرسين من أعطيات ومنح كثيرة، دور في دعم وتسيير المؤسسات الدينية؛ فقد كان للعلماء إقطاعات خاصة، يمنحها لهم الملوك والأمراء، ومرتبات تصرف لهم من خزانة الدولة[3]، وبلغت المرتبات للفقهاء والمدرسين بدمشق حوالي ثلاثمائة ألف دينار، وكان عددهم حوالي ستمائة مدرس وفقيه[4].

وفي مجال تأليف الكتب ظهر من الأوقاف سنة 878هـ/1473م ما يوقف على التأليف ويعطى منه كل من ألف كتاباً على مذهب الإمام أحمد[5].

وتعرض الوقف في كثير من الأحيان الى شح موارده وكثيرا ما أثر ذلك على سير التمويل في المؤسسات الدينية والتعليمية في العهد المملوكي، مما كان ينعكس سلبا على سير العملية التعليمية؛ فهجمات المغول المتكررة على بلاد الشام كان لها أسوأ الأثر على الأوضاع الاقتصادية، مما أفلس بعض المؤسسات التعليمية، فالمدرسة البرانية في دمشق كان "الحضور فيها قليلا بسبب قلة الجوامك في المدارس"[6].

---

(1) ابن طولون، مفاكهة، ص95-96.

(2) أمين، الأوقاف، ص257. ص242،263.

(3) ابن كثير، البداية، ج13ص 351 . النعيمي، الدارس، ج1، ص119. ج2،ص306، 307.

(4) علي، خطط، ج4، ص39.

(5) النعيمي، الدارس ج2 126.

(6) النعيمي، الدارس ج1، ص219.

ورغم اهتمام سلاطين المماليك بإنشاء المدارس بهدف نشر العلم والمعرفة ، إلا أنه كان هناك أسباب واضحة لإنشائها تعرض لها بعض الباحثين المحدثين ومن أهمها[1]:

1- رغبتهم في التقرب إلى ا ، وجني الحسنات، وتعليم القرآن وتعاليم الدين الإسلامي، والتمسك بالدين والعقيدة.

2- تشجيع العلماء ونشر العلوم والمعارف بتشجيع الملوك والسلاطين لهم ، ودعمهم مادياً ومعنوياً.

3- تثبيت دعائم وأركان الحكم المملوكي من خلال العلماء بوصفهم القادة الحقيقيون للمجتمع، ولديهم المقدرة في التأثير على الناس.

4- التصدي للعدوان الصليبي ، ومقاومته ، ومقاومة آثاره على المجتمع الشامي والمقدسات والأرض الاسلامية، وذلك ببناء المؤسسات الدينية التي تخرج المجاهدين.

5- تخريج نخبة قوية متمكنة من العلماء والفقهاء والموظفين كي يتولوا الوظائف الحكومية ويساهموا في إدارة وتسيير أعمال الدولة وشؤونها وتحقيق أهدافها.

ومن هذه المؤسسات الدينية التعليمية:

أولا: الكتاتيب:

انتشرت الكتاتيب في معظم مدن بلاد الشام في العهد المملوكي،واختصت غالباً بالأيتام، والحقت بالمساجد أحيانا ،وقد اشترط في معلم الكتاب عدد من الصفات الدينية بشكل خاص، ومن ذلك أن يكون المؤدب من أهل الخير، والدين، والأمانة، والعفة، والصيانة، حافظاً لكتاب الله عالماً بالقراءات السبع ورواياتها، وأحكامها، وأن يعامل الأيتام بالإحسان والتلاطف والاستعطاف، وأن يكون عاقلاً تقياً صحيح العقيدة ويتمتع بصفات الأمانة والديانة[2].

---

(1) الحجي، صور من الحضارة، ص135. غوانمة ، تاريخ ، صـ144 ، 151. البيطار ، التعليم في دمشق ، ص42 ، وصـ58.\. المدني،الحياة العلمية، ص170.

(2) ابن كثير، البداية، ج13ص 351. النعيمي، الدارس، ج2، ص236. الحجي ،صور من الحضارة، ص188.

وبلغ الأمر لدى بعض واقفي الكتاتيب إلى اشتراط شروط أكثر صرامة، ومن ذلك ما ورد في إحدى الوقفيات مثلاً أن يكون " رجلاً حافظاً لكتاب الله العزيز، ذا عقل وعفة وصيانة وأمانة، متزوجاً زوجة تعفه، صالحاً لتعليم القرآن والخط والأدب"(1).

وقد كان هدف هذه الكتاتيب ينحصر في المقام الأول في تربية الأطفال على الفضائل، وتعليمهم قراءة القرآن وحفظه إضافة إلى مبادئ القراءة والكتابة والخط والإملاء وبعض الشعر وأصول الحساب ، وكانت الكتاتيب تؤهل الأطفال لدخولهم المدارس(2).

وعني واقفي تلك الكتاتيب بتحديد كل ما يتعلق بتعلم الأيتام ورعايتهم في هذه المكاتب ، ومن ذلك تحديد المناهج، وطرق التدريس ، والتأديب ، والتربية، فيعلم الطفل القرآن وشيء من التفسير والأدب والشعر ويتعلمون فنون الخط وأدب الحديث والأخلاق " ويعلمهم الفقيه ما تيسر لكل منهم تعلمه من القرآن والخط والهجاء ،ويعاملهم المؤدب بالإحسان والتلطف فيما يرغبون به في الإشتغال ومن أتى منهم بما لا يليق أدبه بفعل ما أباحه الشرع الشريف ولا يضرب الضرب المبرح"(3).

وعرفت الكتاتيب في أغلب المصادر التاريخية بالمكتب ، وأكثر من كان يلتحق به كانوا من الأيتام، وكان يوقف عليهم الأوقاف الغزيرة في سبيل استمراره في أداء مهمته الدينية والتعليمية على أتم وجه(4).

ومن عناية واقفي الكتاتيب بمواعيد الدراسة وأيامها وأوقاتها، وتحديد ما يتم تدريسه في كل فترة ومرحلة عمرية، وجعل أيام يرتاح فيها الأيتام من كل أسبوع، ومن ذلك ما ورد في في إحدى الوثائق، حيث ذكر فيها: " أن الأيتام يستمرون في أيام حضورهم بالمكتب من طلوع الشمس إلى وقت العصر فينصرفون حينئذ . وقبل انصرافهم يقرءون سورة الإخلاص والمعوذتين وفاتحة الكتاب والصلاة على النبي صلى ا عليه وسلم ويدعون، ماعدا يوم الخميس

---

(1) النعيمي، الدارس، ج2، ص 236. أمين، الأوقاف، ص265.

(2) السبكي، معيد النعم، ص130. الخطيب، دور التعليم، صـ107.أحمد، الحياة العلمية، ص7.

(3) ابن العماد، شذرات،ج8،ص140.السخاوي،الضوء اللامع،ج1،ص10. أمين، محمد، الأوقاف ص269.

(4) النعيمي، الدارس، ج1، ص 8. ص12، ص169.

من كل اسبوع فإنهم يستمرون بالمكتب إلى الظهر ويوم الجمعة عطلتهم ؛ وكذلك أيام الأعياد والمواسم والأعذار الشرعية على العادة"[1].

وكان إذا تخرج الطالب من المكتب يعمل له إحتفال تخرج ، يحضره أهله وزملاءه في المكتب ويصرف له مبلغ من المال ليستعين به على معيشته بعد مغادرة المكتب ، كما يصرف لمؤدبه مبلغاً إضافياً على مرتبه مكافأة له على جهده مع اليتيم الذي تخرج من المكتب[2].لذلك كانت هذه الأمتيازات تدفع أغلب الناس لإلحاق أبنائهم في مثل هذه المكاتب، وهي بذلك تشكل مرحلة الروضة كما هو متعارف عليه في وقتنا الحاضر.

ويلتحق الطلاب بالكتاتيب وهم في سن مبكرة ، ثم بالمدارس بعد إنهاء دراستهم في الكتاب، إلا أن العسلي ذكر أن أعمار طلبة المدارس في مرحلتها الأولى كانت تتراوح بين الحادية عشرة والثانية عشرة[3].

ومن أهم الكتاتيب في بلاد الشام كتاب جاروخ التركماني الملقب بسيف الدين[4]، وكتاب دار القران الكريم الدلامية في دمشق[5]، والكتاب الذي بجوار دار القرآن الكريم الصابونية، خارج دمشق جنوب باب الجابية، وقد أنشأه الخواجكي أحمد الشهابي القضائي ابن علم الدين ابن سليمان بن محمد البكري الدمشقي المعروف بالصابوني ت 868هـ/1463م، وأوقفه " لأيتام عشرة بشيخ يقرءهم القرآن العظيم بمعاليم من المال شرطها لهم معلومة تصرف عليهم من جهات عديدة منها عدة قرى غربي مدينة بيروت "[6].

---

(1) ابن خلدون ،تاريخ،ج7،ص686.عاشور، المؤسسات، ص345. حجي،صور من الحضارة،ص188
(2) عاشور، المؤسسات ص344.
(3) معاهد العلم، ص22. الخطيب ، دور التعليم ، صـ 151.
(4) النعيمي، الدارس، ج1، ص169. بدران،منادمة الإطلال،ج،1ص92.
(5) المصدر نفسه، ج1، ص8.
(6) النعيمي، الدارس، ج1، ص12.

ومن الكتاتيب أيضا التي عرفتها بلاد الشام كتاب الشيخ عبد الحميد بن عبد الهادي بن يوسفَ المقْدسي المتوفى سنة 658هـ ـ/1259م، في دمشق، وقد وصفه الذهبي بأنه كان "شَيخاً حسناً فَاضلاً جيد التعليم"[1].

وكان للشيخ "جمال الدين الإسكندري ت680هـ/1281م الحاسب بدمشق، "مكتب ، وقد انتفع به خلق كثير، وكان شيخ الحساب في وقته"[2].

وكان إسماعيل بن إبراهيم بن سالم بن بركات الأنصاري المعروف بابن الخباز الدمشقي الحنبلي المؤدب، يؤدب الأطفال في مكتب له " وكان شيخاً سهلاً متواضعاً دمث الأخلاق سليم الباطن يفيد الطلبة ويعيرهم الأجزاء بسهولة إلى أن مات في صفر سنة 703هـ/1303م"[3].

كما أوقف الطواشي ظهير الدين مختار، مكتبا للأيتام على باب قلعة دمشق، " ورتب لهم الكسوة والجامكية، وكان يمتحنهم بنفسه ويفرح بهم"[4].

وفي جوار المدرسة الجقمقية بدمشق أقام الملك الناصر حسن في حوالي سنة 761هـ/1359م مكتبا للأيتام[5].

وشارك الأعيان والتجار كعبد الرحيم بن أحمد بن عبد الرحيم الحلبي التاجر المعروف بابن الترجمان بحلب ت سنة 786هـ/1384م شارك في بناء " مكتب للأيتام بالقرب من المدرسة الشرفية وقف عليه وقفاً جيدا، وكان ديناً خيراً عليه سكون"[6]،وفي تربة الأمير بدر الدين حسن أمير دمشق بنى هذا الأمير كتابا للأيتام سنة 814هـ/1411م[7].

---

(1) الذهبي، سير، ج43، ص375.

(2) ابن كثير، البداية، ج13ص349.

(3) ابن حجر، الدرر، ج1، ص121.

(4) ابن كثير، البداية، ج14ص89. النعيمي، الدارس، ج2، ص221.

(5) ابن العماد، شذرات،ج7،ص291.المحبي،خلاصة الأثر،ج1،ص211.النعيمي، الدارس، ج1، ص375.بدران ص375.بدران ،منادمة، ص272.

(6) ابن حجر، الدرر، ج1، ص306.

(7) المصدر نفسه، ج2، ص183.

وساهمت العديد من نساء الأمراء والحكام في إنشاء الكتاتيب، فقد أنشئت الست ستيته الخوندة المعظمة المحجبة بنت الأمير سيف الدين الكبير كوكبائي المنصوري زوجة نائب الشام تنكز الملقب بسيف الدين في دمشق مكتبا خصصته لتعليم الأيتام القرآن سنة730هـ-1329م[(1)].

وقد كانت الكتاتيب في بعض الأحيان ملحقة بالمساجد[(2)]، فهذا "أبو عبد ا محمد بن الخطيب سلامة بن سالم بن الحسن بن ينبوب 716هـ-/1316م، أحد الصلحاء المشهورين بجامع دمشق-الأموي-، سمع الحديث وأقرأ الناس نحوا من خمسين سنة، وكان يفصح الأولاد في الحروف الصعبة"[(3)].

وفتح بعض العلماء والمشايخ بيوتهم كمكاتب لتعليم الأطفال كما فعل القاضي أمين الدين الأشتري أبو العباس أحمد بن شمس الدين أبي بكر عبد ا بن محمد بن عبد الجبار بن طلحه الحلبي المعروف بالأشتري الشافعي المحدث ليقرأوا عليه في بيته لأمانته عنده وصيانته وديانته"[(4)].

ومما سبق يمكن القول أنه في العصر المملوكي قلما يوجد أمير أو سلطان إلا وأوقف للأيتام مكتباً لتعليمهم والصرف عليهم، فيشير الكاتب محمد أمين إلى أنه قلما تخلو وثيقة وقف خيري من تخصيص جزء من ريع ذلك الوقف لتعليم عدد من الأطفال الأيتام، كما يؤكد أنه قلما يوجد مسجد أو مدرسة وقفية في العصر المملوكي إلا ويوجد بجوارها مكتب لتعليم الأيتام[(5)].

ثانيا: المساجد:

كانت المساجد اول المؤسسات التعليمية ظهوراً ،وحضيت باهتمام كبير من سلاطين المماليك لدورها الديني التعبدي فضلاً عن دورها التعليمي ودورها في جميع المجالات، فبالإضافة إلى المهمة الدينية التي بنيت من أجلها ، كانت المساجد من أهم المراكز التعليمية في الإسلام، وأكثرها انتشاراً، فقد عقدت فيها مجالس العلم ، حيث كان العلماء والفقهاء والأدباء

---

(1) ابن كثير، البداية، ج14ص 173. النعيمي، الدارس، ج2، ص211.

(2) النعيمي، الدارس، ج2، ص236.

(3) ابن كثير، البداية، ج14ص 91. النعيمي، الدارس، ج1، ص250.

(4) ابن كثير، البداية، ج13ص 351. النعيمي، الدارس، ج2، ص236.

(5) أمين، الأوقاف، ص242 وكذلك ص263.

يجلسون، وحولهم تلاميذهم، وسميت مثل هذه المجالس بالحلقات التعليمية ، أو حلقات العلم ، ولذلك كانت المساجد بمثابة مراكز ومعاهد للعلم والثقافة ، والوعظ ودراسة القرآن ، والحديث والفقه واللغة ، وغيرها من العلوم[1].

وكانت بلاد الشام، تشتهر بمقدساتها المشهورة وفي مقدمتها المسجد الأقصى ، الذي وصفه ابن حوقل بقوله: "وببيت المقدس مسجد ليس في الإسلام مسجد أكبر منه"[2]، وكذلك مسجد الخليل في مدينة الخليل،والمسجد الأموي في دمشق.

وحضي المسجد الأقصى برعاية المماليك، وتنافسوا في إعماره، والإنفاق عليه ،ورعاية شؤونه ، ودعم سلطتهم الدينية فيه ،وكانت عنايتهم به ورعايتهم له، ليكون مهد الحياة الدينية والعلمية والفكرية ، ومحط رحال العلماء والفقهاء وطلبة العلم ، وقد تبوأ الأقصى في تلك الفترة مركز الصدارة ، ليس في الشام فحسب ، بل في مختلف أنحاء المعمورة ،وبالفعل غدا المسجد الأقصى من أهم المساجد التي عني بها المماليك كونه من المساجد المقدسة وحتى يظهروا بصورة الحامي للإسلام ومقدساته .

وقد برزت عناية السلطان الظاهر بيبرس 658ـ676هـ /1260-1277م بعمارة المسجد الأقصى [3] و قام السلطان المنصور قلاوون الألفي 679-689هـ/1278-1290م بتعمير " سقف المسجد الأقصى من جهة القبلة مما يلي الغرب عند جامع الأنبياء(4) أما الناصر محمد بن قلاوون فإنه وخلال ولايته الثالثة 709-741هـ/1309م-1341م، " عمر في أيامه عام 731هـ/1330م السور القبلي الذي عند محراب داود عليه الصلاة والسلام ورخم صدر المسجد الأقصى، وفتح بالمسجد الأقصى الشباكين اللذين عن يمين المحراب وشماله، وجدد تذهيب القبتين قبة المسجد الأقصى وقبة الصخرة ومن العجب أن تذهيب قبة الصخرة كان قبل العشرين والسبعمائة وقد مضى عليه إلى عصرنا –عصر العليمي ت سنة900هـ/ 1511فهذا أكثر من مائة وثمانين سنة وهو في غاية الحسن والنورانية من رآه يظن أن الصانع قد فرغ منه الآن [5]

---

(1) ابن خلدون ، مقدمة ، ص219-220 ، ص349-350. حسن ، تاريخ الإسلام ، ج4 ، ص421-422.

(2) ابن حوقل ، صورة الأرض ، صـ171.

(3) ابن كثير،البداية، ج14،ص164. العليمي، الأنس، ج2، ص89.

(4) العليمي،الأنس،ج2،ص345.

(5) العليمي،الأنس، ج2ص89.

وفي عهد السلطان الأشرف شعبان بن حسن بن الناصر محمد في عام 769هـ/1371م " جددت الأبواب الخشب المركبة على أبواب الجامع الأقصى [1].

أما السلطان الأشرف اينال الناصري فإنه "عمر المسجد الأقصى في أيامه[2]، وخلال حكم السلطان الأشرف قايتباي 872- 902هـ/1467-1497م " جدد عمل الرصاص على ظاهر الجامع الأقصى وفك الرصاص القديم ثم ركب ولم يكن كالأول في حسن الصناعة والإتقان، وكان الصانع له رجلا من أهل الروم ثم قصد ناظر الحرمين الأمير ناصر الدين بن النشاشيبي أن يفك الرصاص عن ظاهر قبة الصخرة ويجدده كما فعل بالجامع الأقصى فمنعه الشيخ جمال الدين بن غانم شيخ الحرم وقام في ذلك أعظم قيام وكان توفيقا من ا [3]

ومن ذلك ندرك مدى عناية أغلب سلاطين المماليك في المحافظة على إستمرارية المؤسسات الإسلامية في الشام، وبقاءعطائها.وذكر العليمي في كتابه الدارس أن السلطان المملوكي الأشرف قايتباي قد أمر بالاهتمام بالمسجد الأقصى " وما يحتاج إليه من العمارة "[4]، بعد أن " اختل نظامه واحتاج إلى العمارة.

ومن مساجد الشام نذكر أيضا **مسجد قبة الصخرة المشرفة،** وقد اهتم سلاطين الدولة المملوكية بهذا المسجد، فقام الظاهر بيبرس عملية ترميم لمسجد قبة الصخرة عام 668 هـ/1270م، حيث " جدد فصوص الصخرة الشريفة التي على الرخام من الظاهر من قبل واجهة القبةالمشرفة[5].

فمن يقول بعد ذلك ويشكك في نوايا السلاطين الأماجد ،فهذه آثارهم ماثلة تشهد لهم بصدق توجههم وعظيم إيمانهم ،حيث بلغت تلك المؤسسات الدينية في عهدهم ،غاية الرقي والإهتمام الرسمي والشعبي واستطاعت بفضلهم المساهمة في مسيرة الحضارة الإنسانية"[6]

---

(1)العليمي،الأنس ، ج2، 96.

(2) السخاوي، الضوء اللا مع ،ج9، ص252. العليمي، الأنس، ج2، ، ص99.

(3) العليمي،الأنس، ج2ص88. بدران، منادمة الأطلال، ج1، ص114.

(4) النعيمي،الدارس، ج1، ص213.

(5) العليمي،الأنس،ج2،ص87.

(6) حجي، صور من الحضارة،ص54.

وفي سلطنة الظاهر برقوق 784- 815هـ/1382م-1412م: " عمرت دكة المؤذنين التي بالصخرة الشريفة تجاه المحراب" وقد نُقش عليها: "بسم ا الرحمن الرحيم جددت هذه السدة المباركة بالصخرة الشريفة في أيام مولانا السلطان الظاهر ابن سعيد برقوق.. تاريخ مستهلّ شوال 789هـ/ 1387م".[1].

وفي سلطنة الظاهر جقمق: " حرق جانب من سقف الصخرة الشريفة بصاعقة نزلت من السماء ودخلت من باب الصخرة القبلي فأحرقت بعض السقف من جهة الغرب من جانب القبة واجتمع الناس لإطفاء الحريق فحصل بذلك ضجة عظيمة[2]، وأعاد الظاهر جقمق ترميم القبة وعمر السقف بأحسن مما كان[3] لذا عرف عن سلاطين المماليك علو همتهم، وسرعة نجدتهم، وعظيم رعايتهم للمقدسات الأسلامية في الشام والحجاز ،وكان دافعهم الأساس حب التقرب الى ا وعمل الخير.

ومما لاشك فيه، أن مساجد بلاد الشام كانت قد ساهمت في المحافظة على التراث الإسلامي والثقافة الدينية وشاركت في إحياء الحركة الفكرية من خلال مواعظ ودروس العلماء والفقهاء، وإقامة حلقات العلم، ومن هذه المساجد مساجد فلسطين كمسجد الرملة ومسجد الجمعة في طبريا والمسجد الأبيض ومسجد الياسمين، وقد وصف المقدسي مسجد الرملة بقوله: "ليس في الإسلام أبهى من جامعها، أبهى وأرشق من جامع دمشق_يقصد الجامع الأموي_، يسمى المسجد الأبيض، ليس في الإسلام أكبر من محرابه، ولا بعد منبر بيت المقدس أحسن من منبره ، وله منارة بهية"[4]، وقد جدد الظاهر بيبرس عندما فتح يافا سنة 666هـ/1267م ، قام بتجديد مسجد مسجد الرملة، فعمر قبته التي على المحراب والباب المقابل له، كما عمر منارته القديمة[5]. وفي الرملة جوامع أخرى ، لكن أهمها هذا المسجد.

وهذا يدل على مدى إهتمام السلاطين والأمراء المماليك بالمؤسسات الدينية ،ورفدها بالمال والعمران، حتى تؤدي وظيفتهاعلى أكمل وجه فبفضلهم خرجت تلك المؤسسات الدينية جيلاً متديناً متسلحاً بالإيمان قادراً على مواجهة الصليبيين والتتار.

---

(1) العليمي، الأنس، ج2، ص94. كرد علي، خطط، ج6، ص66.

(2) العليمي، الأنس، ج2، ص97.

(3) المصدر نفسه،ج2،ص98.

(4) المقدسي، أحسن التقاسيم ، صـ142-143. جودة ، مدينة الرملة ، صـ206-207.

(5) الكتبي، فوات ، ج1 ، ص244. العليمي ، الأنس ، ج2 ، ص129.المدني ،الحياة العلمية،ص167.

أما عن مساجد دمشق التي كانت من أهم حواضر الشام في العهد المملوكي، فقد أحصى العز بن شداد ت668هـ/1269م [1]، ونقل عنه النعيمي [2]، المساجد الموجودة في دمشق وحدها فكانت أكثر من ثمانمائة مسجدا، وأضاف النعيمي مسجدا آخر بني في عهده وهو: مسجد المؤيد الذي بني سنة 820هـ/1417م [3]، ويأتي الجامع الأموي على رأس هذه المساجد من حيث الأهمية الدينية والتعليمية[4]، وقد اعتنى السلاطين المماليك بهذا المسجد، وأدخلوا عليه عدد من التجديدات والإصلاحات والترميمات والإضافات، ففي سنة 668هـ-1269م أمر الظاهر بيبرس بإخراج " الصناديق والخزائن استخدم بعضها للكتب وكانت قريبا من ثلاثمائة خزانة وجددو فيها قوارير البول _أي المراحيض_ والسجاجيد الكثيرة ومنع أن يبيت أحد من الناس بجامع دمشق ورفعت الدربزينات فاستراح الناس والجامع من ذلك واتسع على المصلين"[5]، وفي سنة 698هـ/1297م تم تجديد مشهد عثمان في الجامع الأموي وجعل له إماما وراتبا[6].

ومن ذلك ما ذكره ابن كثير[7] في أحداث سنة 727هـ/1327م بأنه: تم ترخيم الحائط الشمالي للجامع الأموي، وفي سنة 729هـ/1328م " كمل ترخيم الحائط القبلي من جامع دمشق وبسط الجامع جميعه وصلي به الجمعة"[8]، وفي سنة 730هـ/1329م بدأ العمل في ترخيم الجانب الشرقي من الجامع الأموي ليشبه الجانب الغربي[9]، وبدأ العمال في" جمع الفصوص المفرقة في حيطان الجامع وأن تجعل في الحائط القبلي فحصل الاتفاق على ذلك وشرع فيه في خامس الشهر المذكور فنقض الترخيم من الجانب الشرقي وجدد وذهب وعمل نسبة للجانب الغربي الذي تقدم عمله وكمل ذلك في آخر هذه السنة"[10]، وفي سنة 816هـ/1413م تم بناء

---

(1) ابن شداد،الأعلاق،ج1،ص234

(2) ابن شداد،الأعلاق ج1،ص235. النعيمي، الدارس، ج2،ص233-283.

(3) النعيمي، الدارس، ج2، ص284.

(4) المصدر نفسه، ج2، ص285.ابن العماد شذرات،ج8،ص272. السخاوي،الضوء اللامع،ج1،ص10.

(5) المصدر نفسه، ج2، ص313-314.

(6) ابن كثير، البداية،ج14،ص147 . النعيمي، الدارس، ج2،ص306.

(7) البداية، ج14، ص149.

(8) ابن كثير، البداية، ج14، ص164.

(9) المصدر نفسه ، ج14، ص170.

(10) النعيمي، الدارس، ج2،ص304.

المأذنة الغربية وقد كان احترق رأسها في الفتنة بين الحنابلة والشافعية[1]، وفي سنة 833هـ/1429م" رسم السلطان الأشرف برسباي ،للجامع الأموي بألف دينار من بيت المال فأخذت وصرفت في ترميم الجامع الأموي بحيث لم يظهر لما صرف المال في كبير أمر وكان في المشهدين الشرقين بعض عمارة فلما فرغ من عمارتها أمر بالصلاة فيها ليظهر للناس أن ذلك عمر من مال السلطان وكان المشهدان المذكوران معطلين من الفتنه"[2].

وبرز عدد كبير من الشخصيات الدينية التي لعبت دورا مهما في تطور الأوضاع الدينية في بلاد الشام من خلال المساجد، ومن أشهر هذه الشخصيات:

الفقيه الحنبلي عبد الرحمن بن سليمان البغدادي ثم الدمشقي[3]ت670 ه/1271م، و القاضي نجم الدين بن عبد الرحمن المقدسي(ت 689هـ/1290م)، و المحدث محمد بن أبي الفتح البعلي ثم الدمشقي ت709 هـ/1309م [4].

والشيخ الإمام العالم علاء الدين على بن سعيد بن سالم الأنصاري ت721هـ/1320م إمام مشهد علي من جامع دمشق كان بشوش الوجه متواضعا حسن الصوت بالقراءة ملازما لإقراء القرآن العزيز بالجامع الأموي[5].

والشيخ الصالح العابد الزاهد الناسك عبد ا بن موسى بن أحمد الجزري ت725هـ/1324م وقد "كان مقيما بمشهد أبي بكر من جامع دمشق، و كان من الصالحين الكبار مباركا"[6].

الشيخ علي بن محمد يوسف الموصلي المعروف بالبالي ت734هـ/1333م "كان رجلا مباركا ينوب في الأمانة بمشهد عثمان يعني مشهد المؤذنين بجامع دمشق"[7].

---

(1) النعيمي، الدارس ، ج2،ص309.

(2) النعيمي، الدارس ج2، ص313.

(3) المصدر نفسه ج 2 ص 381 .

(4) المصدر نفسه ج 2 ص357 .

(5) ابن كثير، البداية، ج14، ص116. النعيمي، الدارس، ج2، ص305-306.

(6) ابن كثير، البداية، ج14، ص137. النعيمي، الدارس، ج2، ص306-307..

(7) النعيمي، الدارس، ج2، ص306.

الإمام شمس الدين أبو عبد ا محمد بن إبراهيم بن داود الكردي الشافعي إمام مشهد علي ت759هـ/1328م [1].

واشتمل الجامع الأموي في العهد المملوكي على تسعة أئمة يصلون فيه الصلوات الخمس منهم[2]:

الخطيب وإمام في مقصورة الحنفية، وإمام في مقصورة الحنابلة، وإمام في الكلاسة، وإمام في مشهد زين العابدين علي، وإمام في مشهد أبي بكر، وإمام في مقصورة الكندي، وفيه لإقراء القرآن في ذلك العهد ثلاثة وسبعون مقرءاً يعسر تعدادهم.

ومن مساجد دمشق الشهيرة التي بنيت في العهد المملوكي: مسجد ابن الصيرفي ، نسبة لفخر الدين بن الصيرفي الحنبلي(ت بعد 660هـ/1261م)، وكان يتقاضى من الدولة-على إمامته لهذا المسجد- ستين درهما كجراية شهرية[3]،و مسجد الرماحين أم فيه الأديب محمد بن عبد الرزاق الرسعني ثم الدمشقي(ت 689ه/1193م)([4]، وجامع الملاح، أنشأه الصاحب شمس الدين غبريال ناظر الدواوين بدمشق المتشرف بالإسلام في سنة 701هـ/1300م[5].

ومن هذه المساجد أيضا: جامع تنكز الذي "أنشأه أمير الأمراء تنكز نائب الشام سنة 717هـ/1317م ظاهر باب النصر على نهر بانياس بدمشق وتردد القضاة والعلماء في تحرير قبلته، فاستقر الحال في أمرها على ما قال الشيخ تقي الدين بن تيمية في يوم الأحد الخامس والعشرين منه وشرعوا في بنائه "[6]، وجامع الكريمي نسبة إلى منشأه القاضي كريم الدين عبد الكريم بن المعلم هبة ا وكيل الخاص السلطاني، وقد أمر ببنائه في سنة 718هـ/1318م[7]، و و مسجد ابن شقير، الأديب شرف الدين بن عبد المنعم الدمشقي المعرف بابن

---

(1) النعيمي، الدارس ، ج2، ،ص305.

(2) النعيمي، الدارس ، ج2، ص315.

(3) الصفدي ، الوافي ج 9 ص 458 459 .

(4) الكتبي ،فوات الوفيات ج 2 ص 446 . ابن رجب ، ذيل طبقات الحنابلة ج 2 ص :324 . ابن العماد ، شذرات ج 5 ص ،404 410 .

(5) النعيمي، الدارس، ج2، ص324.

(6) ابن كثير، البداية، ج14، ص93. النعيمي، الدارس ، ج2، ص327-328.

(7) ابن كثير، البداية، ج14، ص99. النعيمي، الدارس ، ج2، ص321.

شقير(ت730هـ/1274م)، و تأنق في عمارته[1]، و جامع النيرب الذي بناه الصدر أمين الدين محمد بن فخر الدين بن أحمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن محمد بن يوسف ابن أبي العيش الأنصاري الدمشقي سنة 734هـ/1333م[2]، وجامع الخليخاني، الذي أنشأه نجم الدين بن خليخان سنة 736هـ1335م[3]، وجامع يلبغا على شط نهر بردى تحت قلعة دمشق وقد أنشأه السيفي يلبغا سنة 748هـ/1347م[4]، وجامع الطواشي الذي بني في المحرم من سنة 813هـ/1410م وكان وكان يسمى بالمسجد العمري "خارج باب النصر وكان مسجدا قديما بوسط الطريق فحول إلى غرب الطريق توسعه للطريق على المارة ثم أحدث فيه خطبة، ثم خرب في أيام الفتنة فجدده الطواشي مرجان خازندار الأمير شيخ[5] وعمل فيه خطبة ووسعه ووقف عليه وقفا ورتب له إماما وخطيبا وجعل فيه محدثا"[6]، وجامع السقيفة بناه شخص يقال له خليل الطوغاني رأس نوبة نوبة في دار السعادة سنة 814هـ/1411م[7]، وجامع العقبية، جدد في سنة 817هـ/1414م، وجعل فيه خطبة، وكان مسجدا فوسع وجعل جامعا وبنى له مأذنة على يد أحد التجار[8].

وجامع السلطان، خلف مسجد المؤيد وقد بني سنة 818هـ/1415م[9]، و جامع الجوزة، غربي عمارة السلطان القايتبائية، وسعه القاضي بدر الدين ناظر الجيش سنة 830هـ/1426م من الجهة الشمالية، " وجعله جامعا وحصل به حريق ضخم"[10]، و جامع المزاز، وقد بناه تقي الدين أبو بكر بن أحمد بن جعفر الزيني الجوخي سنة 833هـ1429م بعد أن كان مسجدا، و "كان رجلا حسنا يجتمع له الناس"[11]، و جامع ابن العنبري، بناه علاء الدين علي المعروف بابن

---

(1) ابن العماد: شذرات 5 ص :341 .

(2) ابن كثير، البداية، ج14، ص193. النعيمي، الدارس ، ج2، ص338.

(3) ابن كثير، البداية، ج14، ص293. النعيمي، الدارس ، ج2، ص324.

(4) النعيمي، الدارس ، ج2، ص326.

(5) ابن تغري، النجوم الزاهرة،ج14،ص40.

(6) بدران،منادمة الأطلال،ج1ص387.

(7) النعيمي، الدارس ، ج2، ص332.

(8) المصدر نفسه، ج2، ص325العلبي،خطط ،ص322.

(9) ابن طولون ،مفاكهة،ص90.

(10) النعيمي، الدارس ج2، ص330. بدران،منادمة الأطلال،ج1ص388.العلبي،خطط،ص323.

(11)النعيمي، الدارس ، ج2، ص325.

العنبري الطرابلسي ت842هـ/1442م[1]، و جامع ابن منجك، أنشأه الأمير العوني الغيائي الهمامي الصارمي إبراهيم ابن الأمير سيف الدين منجك اليوسفي الناصري[2].

كما اشتهرت حلب بمسجدها الجامع، وقد اجتاحه التتار سنة 658هـ/1259م وارتكبوا فيه مجزرة وحشية، راح ضحيتها عدد كبير من المصلين، ثم أمروا بحرق المسجد، ولم تطفأ ناره إلا بعد الأمطار التي سقطت على حلب، " ثم اعتنى نور الدين يوسف بن أبى بكر بن عبد الرحمان السلماسي الصوفي بتنظيف الجامع ودفن ما كان به من قتلى المسلمين في آبار كانت للجامع للغلّة في شماليه، وعمر حائطه وزين الحائط القبلي والحائط الغربي من جهة الصحن وعمل له سقفاً متقناً"[3].

واشتملت حلب إلى جانب مسجدها الجامع على مائتان وسبعة عشر مسجداً[4]، غير المساجد التي في أطراف المدينة[5].

وفي بعلبك مسجد يعرف بمسجد الحنابلة[6]؛ و عليه كتابة تجديد بنائه في سنة 682هـ/1283م، زمن السلطان المملوكي أبي المعالي سيف الدين قلاوون. و ممن تولى إمامته الفقيه عبد الرحمن بن يوسف البعلي ت688هـ/1289م، قدمه للصلاة فيه بالناس شيخ الحنابلة محمد اليونيني الصوفي ت 658هـ /1259م ، فظل به إماما إلى أن انتقل إلى دمشق[7].

ومن المساجد الشامية الأخرى والتي أسهمت في رفعة الأمة ،في أوج أزمتها ،التي سببها الخطر الصليبي والتتاري المغولي، مسجد في بصرى، ومسجد في وتر، ومسجد في إمنان [8]،

---

(1)النعيمي، الدارس ، ج2، ص339. العلبي، خطط، ص323.
(2) المصدر نفسه، ج2، ص342.
(3) إبن شداد، الأعلاق، ج1، ص15.
(4) المصدر نفسه ،ج1 ص27.
(5) إبن شداد، الأعلاق ج1، ص27-30.
(6) ابن كثير، البداية، ج14، ص179. ابن العماد، شذرات، ج5، ص404. ابن حجر، الدررالكامنة، ج1، ص124. الصفدي، الوافي،ج1،ص203. العلبي، خطط، ص323.
(7) ابن رجب ، ذيل طبقات الحنابلة ج 2 ص ،319 .ابن العماد ، شذرات ج5 ص ،404 .
(8) إبن شداد، الأعلاق ، ج1، ص109.

ومسجد قيسارية[1]، ومسجد عكا[2]، ومسجد عسقلان[3]، والكثير من المؤسسات الدينية التي أدت نفس دور المساجد تقريباً كالربط والخنقاوات والمدارس والزوايا وغيرها من مؤسسات.

ثالثاً: - المدارس:

تممت المدارس دور المساجد الجليل في رفعة الأمة، ونجحت تلك المؤسسة العريقة في تربية الأجيال تربية إيمانية صادقة، وأسهمت في تطور الدولة المملوكية وزيادة عمرها الزمني والحضاري ،فبفضلها حمي التراث العربي الإسلامي من الإندثار والضياع فكان تنافس رجال الحكم والسلطة في الدولة المملوكية في بنائها فريضة هم شرعوها، لحماية بيضة الدين وحراسة الشرع الحنيف، فانشئوا هذه المدارس واختاروا أفضل المدرسين وأتقاهم للعمل فيها[4].

ولا يخفى على أحد عظم مسؤولية المدارس ودورها الكبير في نشر العلوم، فقد سهلت تلك المدارس الحصول على المعرفة لمئات الطلبة خلال العهد المملوكي، مما ساهم في زيادة الوعي والثقافة حتى غدا العصر المملوكي من أزهى العصور الإسلامية.

وإلي جانب أن المدارس في العهد المملوكي قد أقيمت لتؤدي وظيفة تعليمية، فإنها أيضا أقيمت فيها الشعائر الدينية، واتخذت كمساجد تقام فيها الصلوات المفروضة، وصلاة الجمعة والعيدين، ولذلك كانت أقرب ما يكون بالمسجد؛ إلا أنها تميزت عن المساجد بوجود مساكن خاصة للطلبة، وكانت عادة ما تلحق بالمدارس ليقطنها الطلاب والمدرسون خاصة المغتربون، كذلك جرت العادة أن يكون بها مدفن واقفها[5]؛ ذلك لأن كثير من الواقفين حرصوا على أن يدفنوا بمدارسهم التي بنوها لكي يحظوا بثواب قراءة القرآن والترحم عليهم من الطلبة والصوفية، حيث كان ينص على ذلك في شروط الوقف[6].

---

(1) المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص129.

(2) المصدر نفسه، ، ص142.

(3) المصدر نفسه، ، ص148.

(4) ابن اياس،بدائع،ج3،ص، 95.أحمد ، الحياة العلمية ، ص12. عبد العاطي،التعليم ،ص122.

(5) المقريزي،الخطط،ج2،ص400. العليمي، الأنس، ج2 ، ص390-391. علي، القدس، ص162.عبد العاطي،التعليم في مصر،ص123.

(6) العليمي، الأنس، ج2، ص390-391.عاشور، العصر المماليكي، ص411. عبد العاطي، التعليم في مصر، ص123.

وعين المماليك في تلك المدارس المدرسين الأكفاء ، وكان المدرس هو من كان يتصدى لتدريس العلوم الشرعية من التفسير والحديث والفقه والنحو وغير ذلك ، وكان من قوانين وشروط الوقف ان لايسمح للمدرس ممارسة مهامه التدريسية إلا بعد تأهيله وحصوله على الإجازة بالتدريس(1).

ومن الصفات التي يجب ان يتحلى بها المدرس،وغالبا ما إشترط الواقفين على المدرسين صفات وخصائص تؤهلهم للتدريس في تلك المدارس مثل: أن يكون ذا رياسة وفضل وديانة وعقل ومهابة وجلالة وعدالة ، وأن يتصف بسعة العلم والتضلع في الفنون ، والأخذ من كل منها بحظ وافر ، وطول الباع في البحث والمناظرة ، وعدم الجدال في الباطل ، وتربية الطلبة ، وتأديبهم والتقريب على من عسر على فهمه شيء من المسائل(2).

وبالنسبة لمواد الدراسة في تلك المدارس فبصرف النظر عن اختلاف الدراسة الفقهية في تلك المدارس حسب اختلاف المذاهب الفقهية، فقد تركزت الدراسة فيها أيضا حول علوم الحديث والقرآن واللغة العربية، فضلا عن تدريس الوعظ، والعلوم الرياضية(3).

هذا بالإضافة إلى أن بعض المدارس كانت مختصة بتدريس علم بذاته، مثل دور الحديث، كدار الحديث في القدس التي كانت عبارة عن مدرسة تخصصت في تدريس علم الحديث كما نص على ذلك كتاب وقفها (4)كانت منطقة الصالحية في دمشق موئلاً لعدد ضخم من المدارس التي أنشئت في العصر الزنكي والأيوبي، واستمرت في أداء دورها في العصر المملوكي، وأضيف إليها عدد جديد في العصر المملوكي، ومن هذه المدارس(5):

1- المدرسه الأسعردية

نسبة إلى بانيها برهان الدين إبراهيم بن مبارك شاه الأسعردي في دمشق، وكانت في "غاية الحسن ورتب بها وظائف كثيرة وانتفع الناس بها، وعمل بها تربة ورتب بها فقراء

---

(1) القلقشندي ، صبح ج14 ، ص322.الحجي،صور من الحضارة،ص135. المدني ،الحياة العلمية،187.

(2) القلقشندي ، صبح ، ج11 ، ص90. عبد الدائم ، التربية ، ص177. المدني ،الحياة العلمية،187.

(3) الحجي، صور من الحضارة،ص173. الخالدي، أهل العلم، ص8.

(4) العليمي، الأنس، ج2 ، ص395-396.

(5) الزرنوجي ، تعليم المتعلم ، صـ139.

ومقرئة يقرؤون القرآن وهي من أحسن عمائر دمشق "[1]، وهي غير المدرسة الأسعردية في القدس وتقع فوق الرواق الشمالي للحرم، غرب المدرسة الملكية، وقد بنيت ووقفت سنة (760هـ /1358م) من قبل التاجر مجد الدين الأسعردي[2].

2- المدرسة الأصفهانية

بالقرب من درب الشعارين في دمشق، بناها رجل تاجر من أصبهان: ودرس بها خطيب دمشق جمال الدين أبو محمد عبد الكافي الربعي الدمشقي المفتي، ناب القضاء مدة "وكان دينا حسن الصورة فيه صفات مفيدة كثيرة، "[3]. ثم من بعده الفقيه جمال الدين أحمد بن عبد ا المعروف بالمحقق، [4].

3- المدرسة الحمصية

مقابل المدرسة الشامية البرانية، ، ودرس بها العالم العلامة محيي الدين الطرابلسي وكان قاضي القضاة ويلقب بأبي رياح وحضر عنده الشيخ العالم القاضي الشافعي يعني جلال الدين القزويني[5].

4-المدرسة الحلبية

بنيت في دمشق وممن توفي فيها شهاب الدين أحمد بن عبد الخالق، وكان ملازما للصلاة ووقف إلى جانب المدرسة الحلبية مسجدا وأضافه إلى المدرسة المذكورة ووقف عليها وقفا، ووقف ثلث حانوت يبيع الزيت وثلث على زوجته والثلث الثالث على ابن أخيه ووقف على

---

(1) سيقتصر الباحث في حديثه عن المدارس بذكر المدارس التي أنشئت في العهد المملوكي، وسيتم ذكر جميع المدارس التي أسست في العهد الزنكي والأيوبي و ظلت تؤدي دورها في العهد المملوكي، وذلك من خلال ملحق الجداول الخاص بالمدارس،ملحق رقم (1) وسيستدل الباحث على ذلك من خلال تتبع المدرسين الذين عملوا في تلك المدارس في العهد المملوكي.

(2) العليمي، الأنس ، جـ2 ، صـ38.

(3) النعيمي، الدارس، ج1، ص118.

(4) المصدر نفسه، ج1، ص118. العلبي،خطط،ص242.

(5) النعيمي، الدارس، ج1، ص174.

قراءة البخاري ومآل ذلك إلى حانوت الزيت ، توفي سنة 815هـ/1416م "وكان شيخا دينا جدا"[1].

5- المدرسة الفارسية

واقفها الأمير سيف الدين فارس الدوادار التنمي الفارسي، وقرر فيها للتدريس الشيخ جمال الدين الطيماني، ولما مات جمال الدين الطيماني المصري استقر ولده في تدريس الفقهاء واستنيب عنه الشيخ تقي الدين العلامة ابن قاضي شهبة فكان يحضرها يوم الإثنين بعد العصر. ثم ولده شيخنا العلامة بدر الدين واستمر بها شيخ الفقهاء إلى أن نزل عنها للشيخ تقي الدين بن قاضي عجلون[2].

6- المدرسة الصلاحية:

وكانت المدرسة الصلاحية التي أنشأها صلاح الدين الأيوبي في بيت المقدس سنة 583هـ/1187م ، أهم مؤسسة تعليمية دينية، وقد استمرت في أداء دورها المهم في تخريج العلماء والفقهاء في العهد المملوكي، وكانت من المدارس التي يشار إليها بالبنان[3].

وقد تنوعت الموضوعات العلمية التي كان العلماء يدرسونها بالمدرسة الصلاحية ، فقد تباينت تلك الموضوعات، بين العلوم الشرعية عامة، والفقه خاصة، وعلوم اللغة العربية، والعلوم الرياضية، والتاريخ، والمنطق، وعلم الكلام[4].

وكانت مشيخة المدرسة الصلاحية من الوظائف السنية بمملكة الإسلام[5]، وكان شيخ الصلاحية أحد ثلاثة يتولون السلطة الفعلية في بيت المقدس، ويصرفون الشؤون العامة فيها، أما الشخصان الآخران فهما: نائب السلطان، وناظر الحرمين الشريفين، وكثيراً ما كان شيخ الصلاحية يجمع بين وظائف القضاء وتدريس الصلاحية وخطابة المسجد الأقصى، وكان نظام

---

(1) ابن العماد،شذرات،ج7،ص324 . بدران،منادمة الأطلال،96.

(2) النعيمي، الدارس، ج1ص324-325.

(3) الأصفهاني، الفتح ، ص145. أبو شامة ، الروضتين ، ج2 ، ص114. العليمي ، الأنس ، ج2 ، ص41.

(4) العليمي، الأنس، ج2، ص179، 183. العسلي ، معاهد ، ص70. عبد المهدي ، المدارس ، ج1 ، ص199. طوقان، العلم ، ص18.وسنتطرق الى العلوم التي درست في المدارس في الفصل الخامس من الرسالة.

(5) العليمي، الأنس، ج2 ، ص41. كرد علي ، خطط ، ج6 ، ص121.

التدريس يسمح للمدرس بأن يدرس في أكثر من مكان واحد ، كما كان النظام يسمح له بأن ينيب شخصاً آخر للتدريس مكانه، وكان يعمل تحت إمرة شيخ الصلاحية أربعة قضاة: واحد للشافعية ، وثانٍ للحنفية ، وثالث للمالكية ، ورابع للحنابلة[1].

ومن الواضح أن شيخ الصلاحية، كان له دور فاعل في المشاركة في إدارة وتسيير الشؤون الدينية والعامة في بيت المقدس، إذ كان يحظى بمكانة عالية مرموقة ، سواء على الصعيد العلمي، أو الاجتماعي، أو السياسي.

وهناك عدد كبير من المدارس في بلاد الشام وخاصة في مدينة دمشق والقدس يطول المقام بذكرها، وقد قام الباحث بعمل جدول بالمدارس التي بنيت في بلاد الشام في العهد المملوكي[2].

7- المدرسة الصدرية:

وتقع في درب الريحان بالقرب من الجامع الأموي بدمشق، و هي في الأصل دار لصدر الدين أسعد بن عثمان بن المنجا (ت657هـ/1258م)، ثم حولها إلى مدرسة و وقفها على الحنابلة[3]، درس فيها من بني المنجا الفقيه زين الدين المنجا بن أسعد (ت695هـ/1295م)، ووجيه الدين محمد بن عثمان[4]و غيرهم المحدث أبو محمد عبد الرحمن بن يوسف البعلي[5].

8- المدرسة الجوزية:

بسوق القمح ، قرب الجامع الأموي ، بناها الفقيه محي الدين يوسف بن عبد الرحمن بـن الجوزي البغدادي(ت656هـ/1258م)، بالأموال التي جمعها من الملوك في سفرياته إليهم مـن الخليفة العباسي المستعصم با (640-656هـ/1242-1258م) ،ووقفها على الحنابلـة فـي

---

(1) العليمي، الأنس، ج2 ، ص180. ابن العماد ، شذرات ، ج5 ، ص184. العسلي ، معاهد ، ص66-67. عبد المهدي، المدارس ، ج1 ، ص197.

(2) انظر ملاحق الدراسةالملحق رقم (1) و(2).

(3) ابن شداد، الاعلاق، ص257. الكتبي، عيون التواريخ ج20 ص:217. الذهبي سير أعلام ج 23 ص،375.

(4) ابن شداد ،الاعلاق ص257. ابن رجب ، طبقات الحنابلة، ج2 ص232. النعيمي، الدارس ج2 ص،88.

(5) ابن رجب طبقات الحنابلة، ج2، ص319 . النعيمي ،الدارس ج 2 ص : 88 .

سنة652هـ/1254م[1]؛ و كاف صاحبه الفقيه عبد الرحمن بن رزين الحوراني ثـم الدمشـقي بتولي أمر بنائها، فلما اكتملت في عام 656هـ/ 1258م جاء إلى بغداد ليرفع إليه حسابها، فلما وصلها وجد المغول قد دخلوها، فقتلوه مع صاحبه محي الدين يوسف[2]. وكانت وقفية المدرسة مكتوبة على عتبة بابها،و فيها البسملة، و اسم واقفها، و ومذهب الذين أوقفت علـيهم، و سـنة الانتهاء من بنائها، و أوقافها، من قرى و عقارات[3].

ومن مدرسيها الفقيه نجم الدين احمد بن قدامة المقدسي ثم الدمشقي (ت689هـ/1290م)، و الفقيه شهاب الدين احمد بن عبد الرحمن احمد المقدسي (ت 697هـ/ 1297م)، والفقيه عز الدين بن تقي الدين سليمان، و عقد فيها مجلسا للقضاء نيابة عن والده في 697هـ/ 1297م[4]، و أعاد فيها القاضي شمس الدين محمد بن عبد الوهاب الحراني ثم الدمشقي(ت 675هـ/1275م)[5]. وقد استمرت هذه المدرسة في نشاطها العلمي إلى القرن العاشر الهجري/16م[6].

9-المدرسة المنجائية:

تقع بداخل الجامع الأموي، أنشأها الفقيه زين الدين أبو البركات المنجا بن القاضي عز الدين عثمان الدمشقي(ت695هـ/ 1295م)، و هو أول من درس فيها[7].

كما اشتمل الجامع الأموي في العهد المملوكي على عدد من المدارس لمختلف المذاهب **وكان من أهمها:**

---

(1) ابن شداد: الاعلاق ص256. ابن رجب، طبقات الحنابلة، ج2 ص259. 381. والنعيمي: الدارس ج2، ص29.

(2) ابن رجب طبقات الحنابلة ج2، ص264.

(3) النعيمي، الدارس، ج2، ص29.

(4) ابن كثير، البداية ج13 ص352. النعيمي، الدارس، ج2، ص33-44.

(5) ابن رجب طبقات الحنابلة، ج2، ص288.

(6) النعيمي، الدارس، ج2، ص61.

(7) ابن رجب طبقات الحنابلة، ج2، ص333. والنعيمي، الدارس، ج2، ص121.

الغزالية وتعرف بالشيخ نصر المقدسي، والأسدية للملك المظفر أسد الدين شيركوه وهي شافعية، والمنجائية لابن منجا حنبلية، والقوصية حنفية، والسفينية حنفية، المقصورة الكبيرة حنفية، والزاوية المالكية، والشيخية لابن شيخ الإسلام[1].

رابعاً- دور القرآن:

1- دار القران الوجيهية:

بناها التاجر وجيه الدين محمد بن عثمان بن المنجا (ت 701هـ/1301م)، و جعل فيها حجرات كثيرة، و وقف عليها بعض أملاكه[2].

2- دار القرآن الكريم السنجارية:

تجاه باب الجامع الأموي الشمالي ، وقفها علاء الدين علي بن إسماعيل بن محمود السنجاري، ورتب فيها جماعة يقرؤون القرآن ويتلقونه وله مواعيد حديث توفي في 735هـ/1336م، و"كان أحد التجار الصدق الأخيار ذوي اليسار المسارعين إلى الخيرات، رجلا جيدا فيه ديانة وبر"[3].

3- دار القران الكريم الجزرية:

عمرها في دمشق كمدرسة للقراء الشيخ الحافظ الإمام المقري محمد بن محمد بن محمد بن يوسف شمس الدين أبن الجزري توفي في 834هـ/1435م[4].

4- دار القرآن الكريم الصابونية:

خارج دمشق جنوب باب الجابية بناها المقر الخواجكي أحمد الشهابي القضائي ابن علم الدين بن سليمان ابن محمد البكري الدمشقي المعروف بالصابوني ابتدأ في عمارتها سنة 836هـ/1432م، وفرغ منها في سنة 868هـ-1459م، وخطب به قاضي القضاة جمال الدين

---

(1) النعيمي، الدارس،ج2، ص61 ومابعدها.

(2) ابن رجب، طبقات الحنابلة، ج2، ص347. و ابن حجر العسقلاني، الدرر ج3 ص238. والنعيمي: الدارس ج 2 ص:17.

(3) النعيمي، الدارس، ج1، ص11.

(4) النعيمي، الدارس، ج1، ص8.

يوسف بن أحمد بن ناصر الباعوني الشافعي ، ثم خطب بها العالم علاء الدين علي بن يوسف بن علي بن أحمد البصروي الشافعي وتولى إمامتها العالم معروف الجبرتي، الحنفي ثم توفي فتولاها عمر بن معروف الجبرتي (1).

5- دار القران الخيضرية

شمالي دار الحديث السكرية بالقصاعين في دمشق، أنشأها في سنة ثمان وسبعين وثمانمائة قاضي القضاة قطب الدين أبو الخير محمد بن محمد بن عبد ا بن خيضر الخيضري الدمشقي الشافعي، وولي تدريس دار الحديث الأشرفية ووكالة بيت المال وكتابة السر وقضاء الشافعية(2).

6- دار القران الكريم الدلامية:

أنشأها الجناب الخواجكي الرئيسي الشهابي أبو العباس أحمد بن المجلس الخواجكي زيـن الدين دلامة أبن عز الدين نصر ا البصري إلى جانب داره ووقفها، ورتب بها إماما وله مـن المعلوم مائة درهم، وقيما وله مثل الإمام وستة أنفار من الفقراء الغرباء المهاجرين فـي قـراءة القرآن ولكل منهم ثلاثون درهما في كل شهر، ومن شرط الإمام الراتب أن يتصدى شيخا لإقراء القرآن للمذكورين وله على ذلك زيادة على معلوم الإمامة عشرون درهما وستة أيتام بالمكتـب على بابها، ولكل منهم عشرة دراهم في كل شهر أيضا، وقرر لهم شيخا وله من المعلوم سـتون درهما في كل شهر، وقراءة البخاري في الشهور الثلاثة وله من المعلوم مائة درهم وعشـرون درهما، وناظرا وله من المعلوم في الشهر ستون درهما، وعاملا وله من المعلوم كل سنة ستمائة درهم، ورتب للزيت _ يستخدم الزيت للإضاءة_ في كل عام مثلها، ولأرباب الوظائف خمسـة عشر رطلا من الحلوى ورأسى غنم أضحية ولكل من الأيتام جبة قطنية وقميصا كذلك ومنـديلا وقرر قارئ يوم الثلاثاء من كل أسبوع وله في الشهر ثلاثون درهمـا وشـرط علـى أربـاب الوظائف حفظ حزب الصباح والمساء لأبن داود يقرؤونه بعد صلاة الصبح والعصر وأن يكون الإمام هو القارئ علي ضريح الواقف والقيم هو البواب والمؤذن" توفي في 853هـ ـ/1486م،

(1) النعيمي، الدارس، ج1، ص11.والعلماء هم : يوسف بن أحمد بن ناصر توفي سنة 880هـ/1480م هـ. بن العماد، شذرات الذهب 7 330.و العاتكي الدمشقي توفي سنة 905هـ/1504م هـ. ابن العماد شذرات الذهب ج 8ص 27. عمر بن معروف الجبرتي توفي سنة 946 هـ/1545م ابن العماد، شذرات الذهب 8ص 266.

(2) النعيمي، الدارس، ج1، ص7.

وأول من باشر الإمامة والمشيخة الشيخ شمس الدين البانياسي وقراءة الميعاد الشيخ شمس الدين أبن حامد[1].

خامساً:- دور الحديث:

لعبت دور الحديث دوراً مهماً في الحياة العلمية والحركة الفكرية ، خاصة وأنها اهتمت بالعلوم الإسلامية بشكل عام ، وبعلوم الحديث بشكل خاص، وكان منها:

1- دار الحديث الهكارية:

أنشأها الأمير شرف الدين أبو محمد عيسى بن بدر الدين بن أبي القاسم الهكاري ، وقفها سنة 666هـ/1267م ، وكان مولده بالقدس سنة 593هـ/1196م ، وتوفي بدمشق سنة 669هـ/1270م[2].

2- دار الحديث البهائية:

داخل باب توما في دمشق، وقفها بهاء الدين أبو محمد القاسم ابن الشيخ بدر الدين أبي غالب المظفر توفي في سنة 723هـ، وولي تدريسها نجم الدين بن فهد أحمد بن حمدان بن أحمد بن عبد ا الأذرعي الدمشقي ثم الحلبي الشافعي، وولي مشيختها الشريف شمس الدين أبو المحاسن ويقال أبو عبد ا الحسيني الدمشقي[3].

3- دار الحديث الدوادارية:

قال ابن كثير: "وفيها وقف الأمير علم الدين سنجر الدوادار رواقه داخل باب الفرج دار حديث وولي مشيخته الشيخ علاء الدين علي بن إبراهيم بن داود الشيخ الإمام المفتي المحدث علاء الدين أبو الحسن بن الموفق العطار ابن الطبيب الشافعي ، وممن درس بهذا المكان الشيخ الفقيه نور الدين أبو عبد ا محمد بن أبي بكر بن محمد بن عمر بن قوام البالسي الأصيل الدمشقي المعروف بابن قوام، "[4].

---

(1) النعيمي، الدارس ج1، ص8.

(2) العليمي، الأنس، ج2، ص94. العسلي، معاهد، ص149-150.

(3) النعيمي، الدارس، ج1، ص43-45.

(4) البداية ،ج13، ص414.

4- دار الحديث السامرية: أوقفها الصدر الكبير سيف الدين أبو العباس أحمد بن محمد ابن علي بن جعفر البغدادي السامري نسبه إلى مدينة سر من رأى في العراق، توفي سنة 696هـ/1296م، وممن ولي مشيختها شهاب الدين أحمد بن علاء الدين علي بن قوام الشافعي توفي 825هـ/1421م[1].

5-دار الحديث الباسطية: في حلب بناها علي بن محمد الرداني الباسطي بظاهر حلب[2].

6- دار الإيتام التنكزية: بنيت في عهد الامير تنكز نائب الشام ،في بيت المقدس، وكان يتعلم بها ثلاثون صبيا[3].

7-دار الحديث الهكارية: في القدس اوقفها الأمير شرف الدين الهكاري،سنة666هـ/1267م.[4]

8-دار الحديث السيفية: في القدس ،بناها الأمير تنكزسنة 729هـ 1329.[5]

9-دار الحديث الطشتمرية: بنيت في القدس وكان فيها كتاب لتعليم الطلاب الإيتام،وقاعات لمبيت طالبي العلم،والمشتغلين به،وقاعات للأجتماع والدرس[6]، ومما لاشك فيه ان تلك الدور كان لها دور فاعل ،في تعزيز الحركة الفكرية والعلمية في مدينة القدس وهذا برأي الباحث نتاج الأهتمامات الا متناهية للدولة المملوكية ،واهتمامها بنشر العلوم والمعارف .

وذكر ابن شداد في كتابه[7]العديد من دور الحديث بحلب بني بعضها في العهد الأيوبي وبقيت حتى العهد المملوكي دون ان يوضح تواريخ إنشائها او تفاصيل وافية حيث ذكرها تباعاً وبدون تفصيل ومنها:

10- دارللحديث انشأها بهاء الدين بن شداد نفسه.

---

(1) ابن كثير، البداية ،ج13، ص414.

(2) ابن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب،ج2، ص345.

(3) النعيمي، الدارس، ج2، ص150. عبد المهدي، المدارس، ص179.

(4) ابن اياس، بدائع الزهور، ج7، ص233.

(5) النعيمي، الدارس، ج2، ص151. عبد المهدي، المدارس، ص191.

(6) المصدر نفسه، ج2، ص184.

(7) الأعلاق الخطيرة،ج1،ص122.

11- **دار للحديث** انشأها مجد الدين بن الداية.

12- **دار الحديث** التي أنشأها بدر الدين الأسدي.

وذكر عدة دور أخرى منها دار الفردوس وتربة الملك الأفضل نو الدين ،دار الحديث البدوية التي أنشأها مؤيد الدين إبراهيم بن يوسف القفطي.

13- **دار الحديث القلانسية:**

أنشأها الصاحب عز الدين أبو ليلى حمزة ابن مؤيد الدين أبي المعالي أسعد بن عز الدين غالب بن المظفر بن القلانسي. توفي سنة 729هـ/1328م[1].وعرفت الكثير الكثير من دور الحديث والقرآن لايتسع المقام لذكرها،وذكرها النعيمي في الدارس.[2]

سادساً- الربط:

جمع رباط، وهو شبيه بالخانقاه ،كان مقرا،للجنود والمجاهدين، ثم اصبحت الربط مأوى، يلجأ إليه العلماء، والرحالون، وطلاب العلم[3].

وكان العلماء يتخذون من الرباطات أماكن للمطالعة من ناحية، والكتابة من ناحية أخرى، وهم يشتغلون فيها بالعلم، ويؤلفون الكتب، وبخاصة في مجال التصوف[4].

وقد عرفت بلاد الشام عدداً من الربط في العهد المملوكي وهي:

1- **الرباط التكريتـي**: في دمشق بالقرب من الرباط الناصري، بناها التاجر الكبير وجيه الـدين محمد بن علي بن أبي طالب بن سويد التكريتي[5].

2- **الرباط الزمني:** بباب المتوضأ تجاه المدرسة العثمانية واقفه الخواجا شمس الدين محمد بـن الزمن أحد خواص الملك السلطان الأشرف قايتباي [6].

---

(1) النعيمي،الدارس ج1،ص43. بدران،منادمةالاطلال،ص51.

(2) ج1، ص43 وما بعدها.

(3) المقريزي، الخطط، ج2، ص427. عبد الدائم ، التربية ، ص161.

(4) عبد المهدي، الحركة، ص75. المدني الحياة العلمية، ص181.

(5) النعيمي، الدارس، ج2، ص150. العلبي،خطط،ص410.

(6) العليمي، الأنس، ج2، ص36.

3- رباط علاء الدين البصير: وهو أقدم ربط ببيت المقدس، كان يقع بباب الناظر شمال الطريق المؤدية إلى الحرم القدسي، أنشأه سنة 666هـ/1267م الأمير علاء الدين بن عبد ا الصالحي، في عهد الملك الظاهر بيبرس، وقفه على الفقراء القادمين إلى بيت المقدس للزيارة ، وقد سـمي الرباط بهذا الاسم نسبة إلى واقفه، وكان أعمى فسموه بصيرا[1].

4- رباط ستيتة زوجة تنكز: في دمشق بنته الخاتون ستيتة زوجة تنكز نائب الشام الشهير ،عنـد باب المدرسة النورية [2].

5- رباط الماردينى: بباب حطة في القدس مقابل المدرسة الكاملية وهي بجوار التربة الأوحديـة وقفه منسوب لامرأتين من عتقاء الملك الصالح[3] صاحب ماردين[4] وشرطه أن يكون لمن يرد من ماردين وقصر ذلك عليهم فقط[5].

6- الرباط المنصوري: قرب باب الناظر قبلي الطريق الموصلة إلى الحرم القدسي في القـدس، أنشأه الملك المنصور قلاوون في سنة 681هـ/ 1282م ، ووقفه على الفقراء القادمين إلى بيت المقدس[6].

ومن الربط الأخرى في مدينة دمشق: رباط جاروخ منسوب لجاروخ التركماني، وربـاط الغرس خليل كان واليا بدمشق، ورباط المعراني بدرب المهراني، ورباط البخاري عنـد بـاب الجابية، ورباط السفلاطوني، ورباط الفلكي،وفي كتاب خطط دمشق للعلبي ذكر ربـاط صـفية ورباط زهرة، وغيرها من الربط يمكن الرجوع اليها في نفس الكتاب[7].

---

(1) العليمي ، الأنس ، ج2 ، ص91. العسلي ، معاهد ، ص315. كرد علي ، خطط ، ج6 ، ص149.

(2) ابن كثير،البداية ،ج14،ص151.العلبي،خطط،ص411.

(3) هو:الملك الصالح صاحب ماردين مات بها في سنة 766 أو في آخر التي قبلها وهو أصوب و صلي عليه صلاة الغائب بدمشق في المحرم سنة 766 قال ابن كثير كان قد جاوز الثمانين منها في الملك ستين سنه. انظر:ابن حجرالدرر الكامنة ج2،ص359.

(4) وماردين قلعة مشهورة على قمة جبل الجزيرة في الشام مشرفة على العراق وقراها، مثل قرىدنيسر ودارا ونصيبين العراقية، وبقربها مدينة سميت بإسمها فيها أسواق كثيرة وخانات ومدارس وربط وخانقاوات أنظر:الحموي،معجم البلدان ج5/ص39. ابن جبير،رحلة،ج1،ص171.

(5) العليمي، الأنس، ج2، ص42.

(6) المصدر نفسه ج2 ، ص91 ، 157. العسلي ، معاهد ، ص317-318. الخالدي ، المعاهد ، ص8.

(7) النعيمي، الدارس، ج2، ص151-152. (عدد العلبي اسماء الربط في الشام بشكل مختصر ينظر كتاب خطط دمشق للمؤلف،ص412.)

وذكر العليمي إلى أنه كان بالخليل عدد من الربط وهي: الرباط المنصوري، الذي عمره الملك المنصور قلاوون سنة 686هـ/1287م[1] ، ورباط الطواشي، ورباط مكي[2] .

سابعاً- الخانقاوات:

ومفردها خانقاه ، وتجمع على خوانق وخوانك، وهي كلمة فارسية الأصل معناها: البيت، وقيل أصلها خونقاه ، أي الموقع الذي يأكل فيه الملك وهي مركزاً للصوفية وعابري السبيل[3].

ويعود الفضل الأول في إنشائها الى السلطان صلاح الدين الأيوبي في مصـر، كانـت تؤدى فيها الصلوات، وتقام فيها الأوراد والأذكار ، وكان يعقد فيها دروساً في الفقـه والـدين والعربية والتصوف والحديث، وكانت تشتمل على خزائن للكتب والمصاحف القرآنية، وبعـض الخوانق كانت توفر حاجات الطلاب: من المأكل والمشرب، والأدوية، والاحتياجات الأخرى[4].

1. الخانقاه الصلاحية:

بناها صلاح الدين بعد تحرير بيت المقدس سنة 583هـ/1187م، مدرسة للفقهاء الشافعية ورباطاً للصلحاء الصوفية، ووقف عليهما أوقافاً حسنة[5]، والخانقاه الصلاحية هي أقدم خوانـق القدس، كانت تقع غربي الحرم القدسي[6].

ولأهمية هذه الخانقاه العريقة حرص سلاطين المماليك ،على ان يتحكموا بتعيـين مـن يروه مناسباً لرئاستها والتعليم فيها[7].

وولي تلك الخانقاه العديد من علماء الشام، وكان منهم الشيخ غانم بن علي بـن حسـين الأنصاري المقدسي، وله فيها زاوية معمورة أقام بهـا عشـرين سـنة ، وأقـام فيهـا الملـك

---

(1) العليمي، الأنس ، ج2 ، ص157.

(2)العليمي، الأنس ، ج2 ص142.

(3) المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص416. عبد الدائم ، التربية ، ص160.

(4) الحجي، صور من الحضارة،ص 160.عبد الدائم ، التربية ، ص160. إبراهيم ، الحياة الاجتماعية، صـ74. عبد المهدي ، الحركة ، ص78.

(5) الأصفهاني، الفتح ، ص145. أبو شامة ، الروضتين ، ج2 ، ص114. ابن واصل، مفرج، ج2، ص408. العليمي ، الأنس ، ج2 ، ص99. العارف ، المفصل ، ص179.

(6) عبد المهدي المدارس،ص194.العسلي ، معاهد ، صـ330. غوانمة ، تاريخ ، صـ177.

(7) القلقشندي ، صبح ، ج12 ، ص105-106. العسلي ، معاهد ، ص335.

الناصرصلاح الدين الشيخ غانم المذكور وولاه مشيخة الخانقاه الصلاحية، وهو أول من وليهـا، توفي في دمشق سنة633هـ/1234م[1].

2. الخانقاه الباسطية:

في دمشق أنشأها القاضي زين الدين عبد الباسط بن خليـل نـاظر الجيـوش الإسـلامية والخوانق والكسوة الشريفه وكانت هذه الخانقاه دارا له فلما نزل السلطان الملك الأشرف برسباي إلى دمشق خاف من نزول العسكر بها فجدد لها محرابا وأوقفها، وقد توفي القاضي المذكور في سنة 854هـ/1451م، وأول من ولي مشيخة هذه الخانقاه قاضي القضاه الباعوني[2].

3. الخانقاه الشهابية:

داخل باب الفرج غربي العادلية الكبرى وشمالي المعينية واللاقية في دمشق. وقفها أيدكين بن عبد ا الأمير الكبير علاء الدين الشهابي توفي سنة 677هـ/1272م، وممن ولي مشـيختها الشيخ شمس الدين السلسبيلي قال المعتمدي محمد بن عيسى الامام العالم المفتي شـمس الـدين السلسبيلي المصري، توفي سنة 770هـ/1368م[3].

4. الخانقاه العزية:

في دمشق، من إنشاء الأمير عز الدين أيدمر الظاهري ونائب السلطنة بالشام[4].

5. الخانقاه المجاهدية:

منسوبة لمجاهد الدين إبراهيم أخي زين الدين أحمد أمير خازندار الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن الملك الكامل افتتحها 656هـ/ 1254م وجعلها للصوفية وقرر فيه عشـرين صـوفيا وتوفي في نفس السنة[5].

---

(1) اليونيني ، ذيل ، ج3 ، ص59-60. اليافعي ، مرآة ، ج4 ، ص82. العليمي ، الأنس ، ج2، ص240-241. النعيمي ، الدارس ، ج2 ، ص153.

(2) النعيمي، الدارس، ج2، ص111.

(3) المصدر نفسه، ج2، ص126.

(4)ابن حجر ،الدرر،ج2،ص326. بدران،منادمة الأطلال،ج1،ص273.العلبي ،خطط، ص401.

(5) الصفدي،أعيان العصر،ج2،ص358. العيني،عقد الجمان،ج158،1.

6. الخانقاه النجيبية:

ويقال لها النجيبية البرانية وخانقاه القصر لكونها بحارته وهي مطلة على الميـدان بناهـا النجيبي جمال الدين اقوش الصالحي النجمي ، وممن ولي مشيختها علي بن مجاهد علاء الـدين المجدلي اشتغل ببلاده ثم قدم القدس الشريف، ثم قدم دمشق فاشتغل توفي 794هـ/ 1393[1].

7. الخانقاه الكججانية:

بنيت في دمشق، وبناها الأمير مجاهد الدين الكججاني في سـنة 785هـ ـ/1383م.[2]، ومن الجدير ذكره وجود عدة خنقاوات في دمشق وحلب وحماة مثل الخانقاة المجاهدية في دمشق ،والخانقاة الشهابية في حلب واليوسفية في حماة، وذكرالباحث عبد المهدي مجموعة من خانقاوت القدس يمكن الرجوع اليها في كتابه المدارس في بيت القدس[3].

<u>ثامناً:- الزوايا:</u>

هي كلمة عربية تعني الركن من الدار أو المكان عامة، وهي جمع زاوية، أطلقـت علـى المكان الذي يأوي اليه الكثير من المتصوفة والمنقطعين من الزهاد والعباد ،وهي شبيهة أيضـاً بالرباط و"الخانقاه"، إلا أنها أصغر، وهي أبنية صغيرة منفصلة في جهات مختلفة من المدينة، في شكل دور، أو مساجد صغيرة، يقيم فيها المسلمون الصلوات الخمس، ويتعبدون فيها ويعقدون بها حلقات دراسية في علوم الدين ، كما يعقد فيها مشايخ الطرق الصوفية حلقات الذكر ، وقد تكون الزاوية في ناحية من نواحي المساجد الكبرى[4].

ووجد في أغلب مدن الشام كدمشق وبيت المقدس وحلب ، زوايا عديدة كان من أهمها:

أولاً: زوايا القدس:

ومنها الزاوية الوفائية: بباب الناظر تجاه المدرسة المنجكية على مقربة من باب النـاظر أحـد أبواب الحرم القدسي من ناحية الغرب، ومنشئها هو تاج الدين أبو الوفا محمد ، ويبدو أنها كانت بالأصل داراً سكنية قبل أن يشتريها أبو الوفا محمد في عام 782هـ/1381م، إذ عرفت بـدار

---

(1) ابن حجر،أنباء الغمر،ج5،ص73..

(2) النعيمي، الدارس، ج2، ص136. بدران،منادمة الأطلال،ص293 .

(3) ص11، ومابعدها.

(4) المقريزي،السلوك،ج1،ص182. الحجي ،صور من الحضارة،ص162.

معاوية[1] لاعتقاد ساد بين أهل القدس بأن الخليفة الأموي سكن في موقعها عند إقامته في القدس، كما عرفت أيضا بدار الهائم وهو أحد شيوخ المدرسة الصـلاحية المعـروفين بتـدريس علـم الرياضيات وكان يسكن فيها، [2].

الزاوية الشيخونية: بالقرب من الوفائية عند سويقة باب حطة، واقفها الأمير سيف الدين قطيشـا بن علي بن محمد، من رجال حلقة دمشق ، كان مجاورا بالقدس الشريف وجعل نظرها لنفسـه، ثم من بعده لولده شيخون فسميت بالشيخونية نسبة لولد الواقف[3].

الزاوية المهمازية: تقع على مقربة من السور الشمالي للحرم القدسي، بالقرب من المعظمية من جهة الغرب منسوبة للشيخ كمال الدين المهمازي، ووقفت على مربع من الملك الصالح إسماعيل بن الناصر محمد بن قلاوون في شهر ذي القعدة سنة 745هـ/ 1354م، وبها قبر رجـل مـن ذريته اسمه الشيخ خير الدين خضر المهمازي[4] **الزاوية المحمدية** بجوار الباوردية مـن جهـة الغرب، واقفها محمد بك زكريا الناصر [5].

الزاوية اليونسية: مقابل المدرسة الباوردية، ونسبتها للفقراء اليونسية،وكذلك **الزاوية الطواشية:** بحارة الشريف وتعرف قديما بحارة الأكراد، واقفها الشيخ الصالح شمس الدين محمد بن جلال الدين عرب بن فخر الدين أحمد المجاور بالقدس[6]

زاوية المغاربة: بأعلا حارة المغاربة وقف الشيخ عمر بن عبد ا بن عبـد النبـي المغربـي المصمودي المجرد، وكان رجلا صالحا عمر الزاوية وأنشأها من ماله [7].

الزاوية الحمراء: بالقرب من الخانقاه الصلاحية وهي منسوبة للفقراء الوفائية[8].

---

(1) العليمي، الانس، ج2، ص73. العلبي،خطط،ص413وما بعدها.

(2) العليمي، الأنس ،ج2،ص43.

(3) ابن حجر، انباء الغمر،ج1،ص9.

(4) العليمي، الأنس،ج2،ص42.

(5) المصدر نفسه،ج2،ص43.

(6) النعيمي، الدارس، ج2، ص166. بدران،منادمة الأطلال،ج1،ص351. العلبي خطط،ص414.

(7) العليمي، الانس الجليل،ج2،ص45.

(8) الغزي،الكواكب السائرة،ص31.

الزاوية اللؤلؤية: بباب العمود في السور القدسي الجنوبي، وقد أنشأها بدر الدين لؤلـؤ غـازي عتيق السلطان المملوكي الأشرف شعبان بن حسين وكانت مخصصة للتصـوف مـن الفقـراء المنقطعين في مدينة القدس(1)

الزاوية البسطامية: في حارة السعدية الواقعة بين باب الساهرة والسور الشمالي للحرم القدسي، واقفها الشيخ عبد ا البسطامي(2)

الزاوية الأدهمية: وتقع خارج السور الشمالي للقدس بين بابي الساهرة والعمود، داخـل مغـارة الكتان وهي للفقراء الأدهمية، وهم المتصوفة من أتباع الزاهد إبراهيم بن أدهم، وقد عمر هـذه الزاوية الأمير منجك نائب الشام ووقف عليها هو وغيره من أهل الخير وفيها قبور جماعة مـن الصالحين(3)..

الزاوية القلندرية: وكانت أول أمرها كنيسة بناها الروم البيـزنطيين، وكانـت تعـرف بالـدير الأحمر، حتى قدم إلى بيت المقدس رجل اسمه الشيخ إبراهيم القلندري وأقام بهـا جماعـة مـن الفقراء فنسبت إليه، ببيت المقدس(4).

الزاوية الجراحية: كانت تقع في حي الشيخ جراح بظاهر بيت المقدس من جهة الشمال ، سميت بالجراحية نسبة لواقفها الأمير حسام الدين الحسين بن شرف الدين عيسى الجراحي ، أحد أمراء الملك الناصر صلاح الدين ، وقد توفي فـي سـنة 598هـ ـ/1201م ، ودفـن فـي زاويتـه المذكورة(5).

وقد أشار العارف إلى الأمير حسام الدين الجراحي بقوله: "إنه من رجال صلاح الدين ، وقيل: إنه كان طبيبه الخاص ، وقد أبلى في معركة القدس بلاء حسنا"(6).

---

(1) العليمي، الانس الجليل،ج2،ص46.

(2) المصدر نفسه،ج2،ص46. العلبي،خطط،ص416.

(3) العليمي، الانس الجليل،ج2،ص164. بدران،منادمة الأطلال،ص209.

(4) ابن،تغري،النجوم الزاهرة،ج3،ص50.

(5) العليمي ، الأنس ، ج2 ، ص100-101. العسلي ، معاهد ، ص343.المدني ،الحياة العلمية،ص185.

(6) العارف ، المفصل ، ص239. المدني ،الحياة العلمية،ص185.

زاوية الشيخ بدر الدين:

أنشأها السيد بدر الدين بن محمد بن يوسف بن بدران، توفي سـنة 650هـ ـ/1252م، ودفن بزاويته في ظاهر بيت المقدس من جهة الغرب، وفي هذه الزاويـة أضـرحة آل بيتـه، ومنهم، ابنه محمد المتوفى سنة 663هـ/1264م[1].

زاوية الهنود:

كانت تقع قرب باب الأسباط ، وهي من الزوايا القديمة ، نزل بها طائفة مـن الهنـود، فعرفت بهم[2].

ثانياً: زوايا دمشق:

الزاويه الروميه الشرقيه: بناها الشيخ الزاهد شرف الدين محمد بن عثمان بن علي في دمشـق، توفي سنة 684هـ/1285م[3].

الزاويه الحريرية الأعقفية: بناها في دمشق الشيخ أحمد الأعقف الحريري شهاب الدين بن حامد بن سعيد التنوخي الحريري، توفي سنة 723هـ/1323م[4].

الزاوية الدهستانية: عند سوق الخيل بدمشق. بناها الشيخ إبـراهيم الدهسـتاني، **تـوفي سـنة 720هـ/**1320م[5].

الزاوية الحصنية: أنشأها في دمشق الشيخ تقي الدين الحصني، وقفها الأمير سودون بن عبد ا التنبكي الدواداري في مرض موته لما ولي أستاذه نيابة دمشق في 775هـ/1373م[6].

---

(1) العليمي ، الأنس ، ج2 ، ص241-242. العسلي، معاهد، ص344. المدني، الحياة العلمية، ص185.

(2) العليمي ، الأنس ، ج2 ، ص100.عبد المهدي،المدارس،ص213. كرد علي، خطط، ج6، ص150.

(3) النعيمي، الدارس، ج2، ص154.العلبي، خطط، ص415.

(4) النعيمي ،الدارس ج2، ص155. .العلبي،خطط،ص415.

(5) المصدر السابق ، ج2، ص156.

(6) النعيمي، الدارس،ج2،ص156. بدران ، منادمة ص 301 . العلبي،خطط،ص415.

الزاوية الدينورية الشيخية: بانيها فـي دمشـق الشـيخ أبـو بكـر الـدينوري تـوفي سـنة 661هـ/1262م، وكان له فيها جماعة مريدون يذكرون الله تعالى بأصوات حسنة طيبة[1].

الزاوية السيوفية: بناها في دمشق نجم الدين عيسى بـن شـاه أرمـن الرومـي تـوفي سـنة 710هـ/1310م وأوقف الملك الناصر عليها وعلى ذرية الشيخ نجم الدين قريتي عين الفيجـة ودير مقرن بوادي بردى الثلث للزاوية والثلثان للذرية وبنى له ولجماعته بيوتا حولها[2].

الزاوية الداودية: أنشأها في دمشق الشيخ الصالح زين الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بـن داود القادري الصوفي الصالحي توفي 856هـ/1456[3].

الزاوية السراجية: في دمشق العلامة الزاهد بهاء الدين هارون الشهير بعبد الوهاب بـن عبـد الرحمن بن عبد الولي الأخميمي المراغي المصري ثم الدمشقي الشافعي764هـ/1362م[4].

الزاوية الطالبية الرفاعيـة: فـي دمشـق، عمرهـا الشـيخ طالـب الرفـاعي تـوفي سـنة 683هـ/1284[5].

الزاوية الوطية: في دمشق، وكانت مخصصة للمغاربة على اختلاف أجناسهم بشرط أن لا يكون النازل بها مبتدعا ولا شريرا، وقفها الرئيس علاء الدين علي المشهور بـابن وطيـة الموقـت بالجامع الأموي ووقف عليها حوانيت وطباقا حولها سنة 901هـ/1495م، وكانت تعرف أيضا بزاوية المغاربة[6].

الزاوية العمادية المقدسية: بناها في دمشق الشيخ الإمام عماد الدين أحمد بن إبراهيم بن عبـد الواحد بن علي بن سرور بن العماد المقدسي الصالحي توفي 688هـ/1288م[7].

---

(1)بدران ، منادمة ،ص305. العلبي،خطط،ص416.

(2) الصفدي،أعيان العصر،ج1،ص36. النعيمي، الدارس، ج2، ص158.

(3) ابن الجوزي ،المنتظم،ج1،ص95.

(4) النعيمي، الدارس، ج2، ص158.

(5) النعيمي، الدارس، ج2، ص 195. بدران ، منادمة ص ، ص307. العلبي،خطط،ص414.

(6) النعيمي، الدارس ، ج2 ، ص312.

(7) النعيمي، الدارس، ج2، ص159.بدران،منادمة،ص308. . العلبي،خطط،ص414.

الزاوية الغسولية: بناها في دمشق شيخ الفقراء أبو عبد ا محمد بن أبي الزهر الغسولي توفي سنة 737هـ/1336م[1].

الزاوية الفقاعية: بناها في دمشق الشيخ يوسف الفقاعي الزاهد ابن نجاح بن موهوب وكان عبدا صالحا خائفا قانتا كبير القدر له أصحاب ومريدون، توفي سنة 679هـ/1280م[2].

الزاوية القوامية البالسية: بناها في دمشق الشيخ الزاهد الكبير أبو بكر بن قوام بن علي بن قوام البالسي توفي سنة 658هـ/1259م[3].

الزاوية القلندرية الحيدرية: بناها جماعـة مـن الصـوفية تـدعى الفقـراء الحيدريـة سـنة 655هـ/1259م في حلب[4].

ثالثاً:- زوايا الخليل:

في مدينة الخليل بفلسطين ،زاوية علي البكا وكان صاحبها الشيخ علي البكا مشـهوراً بالصلاح والعبادة، وإطعام من يجتاز به من المارة والزوار ، وكان الملك المنصور قلاوون يثني عليه، توفي سنة 670هـ/1271م، [5].وذكر الباحث،عدنان ابو دية مجموعة كبيرة من الزوايـا في مدينة الخليل يمكن الرجوع اليها.

رابعاً- زوايا نابلس:

زاوية الشيخ عبد ا بن غانم بن علي:

من أشهر علماء ومشايخ عصره، مشهوراً بالخير والعبادة ومكارم الأخلاق، لـه أشـعار وكلام قوي في علم التصوف، توفي بنابلس سنة 672هـ/1273م[6]. وتولى زاويته ابنه الشـيخ

---

(1) النعيمي، الدارس، ج2، ص160. بدران، منادمة، ص308

(2) ابن كثير ، البداية ، جـ13، صـ292.النعيمي، الدارس، ج2، ص160..

(3) النعيمي، الدارس، ، ج2، ص162.

(4) المصدر نفسه، ج2، ص165.

(5) ابن كثير ، البداية ، ج13، ص293. العليمي ، الأنس ، ج2، ص245. الدباغ ، بلادنا ، ج9 ، ص68-69. 69. ابودية،الزوايا الصوفية،ص26ومابعدها.

(6) ابن كثير ، البداية ، ج13 ، ص297. العيني ، عقدالجمان ، جـ2 ، صـ122.

العالم أبو عبد ا محمد، وكانت زاويته مـأوى لكـل مـن قـدم إلـى نـابلس، تـوفي سـنة 693هـ/1293م، ودفن عند والده[1].

تاسعاً:- الترب:

1- الترب الموجودة في دمشق:

- التربة الأفريدونية: وبها دار قرآن شرقي جامع حسان بدمشق خارج بـاب الجابيـة وقفهـا التاجر الكبير شمس الدين أفريدون العجمي، واشتمل " وقفها على مزارع وبساتين وضياع وقرى كثيرة "[2].

- التربة الأيدمرية: هي تربة الأمير عز الدين أيدمر بن عبـد ا الحلبـي الصـالحي تـوفي سنة667هـ/1268م كان من أكابر الأمراء وأحظاهم عند الملوك ثم عند الملك الظاهر بيبـرس كان يستنيبه إذا غاب[3].

- التربة الأيدمورية: عند الجسر الأبيض بالخانقاه العزية بدمشق، بناها أيدمر الأمير الكبير عز الدين الظاهري الذي كان نائب دمشق في عهد السلطان الظاهر برقوق[4]، حبس مدة ثـم أطلـق فصلح حاله فلبس عمامة مدورة وسكن بمدرسة عند الجسر الأبيض بدمشق توفي ودفن بها [5].

[5].

- التربة الجيبغائية: بناها الأمير سيف الدين الجيبغ العادلي في حلب ،ومـات الأميـر الكبيـر المعمر سيف الدين الجيبغ أي العادلي سنة 754هـ/1353م[6].

---

(1) الصفدي ، الوافي ، ج3 ، صـ292.

(2) الذهبي،العبر،ج4،ص153.بدران ،منادمة الأطلال،ص319.

(3) النعيمي،الدارس ، ج2، ص 176 .العلبي ،خطط،ص433.

(4) الملك الظاهر برقوق بن أنس بن عبد ا الجركسي العثماني ذكر الخواجا عثمان الذي أحضره من بلاد الجركس أنه اشتراه منه يلبغا الكبير واسمه حينئذ الطنبغا فسماه برقوقا لنتوء في عينيه فكان في خدمة يلبغا من جملة المماليك الكتابية واتصل بخدمة الأشرف شعبان فلما قتل الأشرف ترقى برقوق إلى أن أعطي إمرة أربعين وانفرد برقوق بتدبير المملكة فجلس على تخت الملك ولقب الملك الظاهر وبايعه الخليفة المتوكل محمد بن المعتضد العباسي في مصر والقضاة والأمراء ومن تبعهم أنظر:ابن العماد، شذرات الذهب ج7،ص6.

(5) النعيمي، الدارس، ج2، ص176.

(6) المصدر نفسه، ج2، ص178.

- **التربة البزورية:** وقفها التاجر ابن البزوري أبو بكر محفوظ بن معتوق البغدادي توفي سـنة 694هـ/1294م[1].

- **التربة البهادر آصية:** وقفها سيف الدين بهادرآص المنصوري من أعيان الأمراء في الشـام توفي سنة 730هـ/1329م[2].

- **التربة البلبانية:** وهي تربة اتخذها الأمير سيف الدين طرناه بلبان توفي سنة 734هـ/1333م إلى جانب داره ووقف عليها مقرئين وبنى عنده مسجدا بإمام ومؤذن[3].

- **التربة البلبانية:** بناها الأمير سيف الدين بلبان الحموي توفي سنة 836هـ/1432م[4].

- **التربة البصية:** وهي تربة أمين الدين ابن البص كـان رجـلا محبـا للخيـر تـوفي سـنة 731هـ/1330م[5].

- **التربة البدرية:** الأمير بدر الدين محمد بن الوزيري توفي سنة 716هـ/1316م[6].

- **التربة البدرية:** وهي تربة الأمير بدر الدين حسن بناها سنة 814هـ/1411م[7].

- **التربة البرسيائية الناصرية:** أنشأها هي والجامع الذي بجوارها الحاجب الكبير بدمشق برسب أي الناصري ووقف عليها وقفا جيدا جليلا [8].

- **التربة البهائية:** بناها محمود بن سلمان بن فهد الحلبي ثم الدمشقي شهاب الدين أبـو الثنـاء توفي سنة 725هـ/1324م[9].

---

(1) الغزي،الكواكب السائرة، ص67. بدران،منادمة ،الأطلال، ص324.

(2) النعيمي، الدارس، ج2، ص178.العلبي،خطط،455.

(3) المصدر نفسه، ج2، ص180.

(4) المصدر نفسه ج2 ،ص180. بدران،منادمة ،الأطلال،ص324.

(5) ابن طولون،مفاكهة،ص82. بدران،منادمة ،الأطلال،ص324.

(6) النعيمي، الدارس، ج2، ص182.

(7) المصدر نفسه ، ج2، ص182.

(8) النعيمي، الدارس، ج2، ص182.بدران،منادمة ،الأطلال،ص323.

(9) ابن حجر،انباء الغمر،ج7ص250.النعيمي، الدارس،ج2،ص184.بدران،منادمة،ص326.

- **التربة التكريتية:** بناها أبو البقاء توبة بن علي بن مهاجر التكريتي توفي سنة 698هـ/1298م[1].

- **التربة التنكزية:** بناها الأمير سيف الدين تنكز توفي سنة 741هـ،1340م[2].

- **التربة التغربورمشية:** أنشأها دوادار نائب الشام حسين وسمي نفسه تغري ورمش في زمن الظاهر جقمق[3].

- **التربة التورزية:** أنشأها هي والجامع الذي بداخلها آخر سنة خمس وعشرين وثمانمائة صاحب الحجاب الأمير غرس الدين خليل التوريزي الدستاري بدمشق[4].

- **التربة التبكميقية:** أنشأها أمير حاج أستاذ دار العثماني توفي سنة 826هـ/1422م[5].

- **التربة الجوكندارية:** بناها الأمير صارم الدين إبراهيم بن قراسنقر الجوكندار توفي سنة 723هـ/1322م[6].

- **التربة العلائية المريدية**: بناها مريد الدين العلائي صاحب الديانة والبر والصدقة والإحسان إلى أصحابة وغلمانه وكان أميرا مقدما أكثر من أربعين سنة وجنده مائة فارس، توفي سنة 698هـ/1298[7].

- **التربة الطوغانية الناصرية:** بناها الأمير طوغان توفي سنة 847هـ/1443م[8].

---

(1) النعيمي، الدارس ج2، ص185.

(2) المصدر نفسه، ج2،ص 186.بدران،منادمة ،الأطلال،ص83.

(3) النعيمي، الدارس، ج2ص185.

(4) المصدر نفسه، ج2، ص187.

(5) النعيمي، الدارس ، ج2، ص188.

(6) المصدر نفسه، ج2 ص189. بدران،منادمة ،الأطلال،ص381. العلبي،خطط ، 456.

(7) المصدر نفسه ، ج2، ص197-198.كرد،خطط الشام ،65.

(8) النعيمي، الدارس، ج2، ص 199. بدران،منادمة ،الأطلال،ص381.

- **التربة العلائية الأميرية:** وهي تربة الأمير علي المارداني نائب الشام، بناها على أن يدفن بها فمات بمصر سنة 814هـ /1411م وولاها الأمير قرابغا الحاجب، وفي كتـاب وقفهـا أربعـة مقرئين يقرأون القرآن في التربة كل يوم[1].

- **التربة العزية الأيبكية الحموية:** أنشأها الأمير الكبير عز الدين أيبك الحمـوي تـوفي سـنة 703هـ/1303م[2].

- **التربة العديمية:** بناها قاضي القضاة مجد الدين عبد الرحمن بن جمال الدين عمر بن أحمد بن العديم الحلبي توفي سنة 677هـ/1278م[3].

- **التربه العزيه البدرانيه الحمزيه:** أنشأها حمزة بن موسى بن أحمد بن الحسـين بـن بـدران الشيخ الإمام العلامه عز الدين أبو يعلى المعروف بابن شيخ السـلاميه وقـف درسـا بتربتـه بالصالحيه وكتبا وعين لذلك الشيخ زين الدين بن رجب توفي ليلة الأحـد حـادي عشـرين ذي الحجة سنة 769هـ1367م[4].

- **التربه العادليه البرانيه:** بناها متولي حماه الملك العادل زين الدين كتبغا المعلى المنصـوري، وله عليها أوقاف دارة على وظائف من قراءة و أذان وأمامه توفي سنة 702هـ/1302م[5].

- **التربة الغرلية:** أنشأها الأمير سيف الدين غرلو العادلي تـوفي سـنة 719هـ ـ/1319م[6]. وللأطلاع على مزيد من الترب والتي شكلت أهم المؤسسات الدينية ينظر النعيمي.[7]

---

(1)النعيمي، الدارس ج2، ص 199. بدران،منادمة ،الأطلال،ص346.

(2) النعيمي، الدارس، ج2، ص 199. بدران،منادمة ،الأطلال،ص345.

(3) النعيمي، الدارس، ج2، ص 200.

(4) النعيمي، الدارس، ج2، ص201.

(5) المصدر نفسه، ج2، ص201.

(6) النعيمي، الدارس، ج2، ص208.

(7) النعيمي، الدارس ج2، ص179.

2 - الترب والمقابر في القدس[1]:

- التربة المجاورة لسور المسجد الأقصى الشريف[2].

- التربة الأوحدية قرب باب حطة واقفها الملك الأوحد نجم الدين يوسف ابـن الملـك الناصـر صلاح الدين داود ابن الملك المعظم عيسى تاريخ وقفها في العشرين من ربيـع الآخـر سـنة 697هـ 1296م[3].

- تربة بها ضريح يقال انه قبر السيدة فاطمة بنت معاوية، مقابـل المدرسـة الحسـنية ببـاب الناظر[4].

- التربة السعدية بباب السلسلة تجاه المدرسة التنكزية وباب المسجد واقفها الأمير سـعد الـدين مسعود بن الأمير الأسفهلار بدر الدين سنقر بن عبد ا الجاشنكير الرومـي الحاجـب بالشـام المحروسة في دولة الملك الناصر محمد بن قلاوون تاريخ كتاب وقفه في السابع والعشرين مـن شهر ربيع الآخر سنة 711هـ/1312م[5].

- التربة (المدرسة) الجالقية: وموقعها برأس درج العين بالزاوية الشمالية الغربية عنـد ملتقـى طريق الواد بطريق بباب السلسلة، وقف ركن الدين الكبير العجمي المعـروف بالجـالق وهـو مدفون بها توفي سنة 707هـ/ 1307م وكان من جملة الأمراء بالشام في دولة الملك المنصور قلاوون وبعده[6].

- تربة الملك حسام الدين بركة خان مقابل المدرسـة الطازيـة تـاريخ عمارتهـا فـي سـنة 792هـ/1391م وعمرت بعد موته[7].

---

(1) العسلي، دراسة أثرية تاريخية لمقابر القدس،ص42.
(2) العليمي، الأنس، ج2، ص36.
(3) العمري،مسالك الأبصار،ص47. العليمي، الأنس ، ج2،ص39.
(4) العليمي، الأنس، ج2، ص43.
(5) ابن الجوزي،المنتظم،ج9ص156.
(6) العليمي، الأنس.ج2، ص41.
(7) المصدر نفسه. نفس الجزء والصفحة.

- التربة الكيلانية بجوار الطازية من جهة الغرب منسوبة إلى الحاج جمال الدين بهلـوان ابـن الأمير شمس الدين قرادشاه ابن شمس الدين محمد الكيلاني اللاهجي المشهور بـابن الصـاحب كيلان وبها ضريحه ونقل اليها كما أوصى به[1].

- التربة الطشتمرية بالقرب من الكيلانية وقف الأمير طشـتمر العلائـي أنشـأها فـي سـنة 784هـ-1385م وتوفي ودفن بها في شعبان سنة 786هـ/1387م[2].

ط- التربة الهمازية واقفها الأمير ناصر الدين المهمازي، ويذكر العليمي أنهـا " صـارت فـي عصرنا مسكنا كبقية المنازل"[3].

- تربة القيمرية: بها قبة محكمة البناء بظاهر القدس الشرف من جهة الشمال مما يلي الغـرب نسبتها لجماعة من الشهداء المجاهدين في سبيل ا قبورهم بها وهم الأمير الشهيد حسام الـدين أبو الحسن بن أبي الفوارس القيمري ووفاته في سنة 648هـ/1249م والأميـر ضـياء الـدين موسى ابن أبي الفوارس ووفاته في سنة 648هـ/1249م والأمير حسام الدين خضر القيمـري والأمير ناصر الدين أبي الحسن القيمري ،وبالقبة المذكورة قبر الأمير ناصر الدين محمد جـابر بك أحد أمراء الطبلخانة بالشام وناظر الحرمين بالقدس الشريف والخليل عليه السلام ووفاته ليلة الاثنين حادي عشر المحرم سنة 776هـ/1377م وبظاهر القبة المذكورة تربة بها قبور جماعة من المجاهدين[4].

- مقبرة باب الرحمة وهي بجوار سور المسجد الشرقي فوق وادي جهنم، وهي أقـرب التـرب إلى المدينة وفيها قبر شداد ابن أوس الأنصاري، وغيره من العلماء والصالحين، وقد جدد فيهـا تربة، في أولها من جهة الشمال، الأمير قانصوه اليحياوي، ويشتمل على إيوان وبه مدفنان مـن وكملت عمارها في سنة 895هـ/1496 وصارت مشهورة[5].

---

(1)العليمي، الأنس، ج2، ص41.

(2) العليمي، الأنس.ج2، ص45.

(3) المصدر نفسه نفس الجزء والصفحة. عبد المهدي، المدارس، ص309.

(4) العليمي، الأنس، ج2، ص48-49.

(5) ابن العماد، شذرات الذهب، ج6، ص191. ابن تغري، النجوم الزاهرة، ج16، ص266. السخاوي، الضوء اللامع، ج2، ص275.

- مقبرة الساهرة: وهي شمالي البلد، إلى جانب طور زيتا من جهة الغرب، وبه مقبرة يدفن فيها موتى المسلمين وبها جماعة من الصالحين والمقبرة مرتفعة على جبل[1].

- مقبرة الشهداء: بالقرب من مقبرة الساهرة إلى جهة الشرق وهي مقبرة لطيفة لقلة من يقصـد الدفن فيها فإنه لا يدفن فيها من أهل البلد إلا قليل من الناس[2].

- مقبرة ماملا: او مأمن ا وهي بظاهر القدس من جهة الغرب، وهي أكبر مقابر البلد وفيهـا خلق من الأعيان والعلماء والصالحين والشهداء وتسميتها بماملا قيل إنما أصله: ممـا مـن ا ، وقيل باب ا ، ويقال زيتون الملة، واسمها عند اليهود بيت لمـواء، وعنـد النصـارى بـابيلا، والمشهور على ألسنة الناس ما ملا[3].

عاشراً: - المكتبات:

تعد المكتبات الإسلامية من أهم المؤسسات الدينية الثقافية، التي يفخر بها الإسـلام،والتي كان لها دور كبير جداً في نشر المعرفة والثقافة بين المسلمين وغيرهم ، ووجـد فـي أغلـب المؤسسات الدينية في عهد المماليك،من مساجد ومدارس خزائن للكتب ،ولعبت المكتبات في بلاد الشام في العهد المملوكي دورا مهما في الأوضاع الدينية، والحياة العلمية، وكان لها أكبر الأثـر في تطوير النواحي الدينية والعلمية في تلك الفترة، وزادت من شحذ الهمم العلمية والدينية بـين كافة طبقات المجتمع الشامي.

وكان الاهتمام بالمكتبات زمن المماليك امتدادا لما بدأه صلاح الدين عندما فتح القدس فإنه حمل إلي قبة الصخرة وإلى "محراب المسجد الأقصى مصاحف وختمات، وربعات معظمات، لا تزال بين أيدي الزائرين على كراسيها مرفوعة، وعلى أسرتها موضوعة" ولا تزال نسخ القرآن الكريم التي أودعها صلاح الدين في المسجد الأقصى تشهد على ما تحتويـه خزانـة المسـجد الأقصى من الكتب ومن بينها المصاحف [4].

---

(1) ابن العماد، شذرات الذهب ج2، ص63-64.

(2) ابن الجوزي ،المنتظم، ج10، ص206. العليمي،الأنس، ج2، ص64.

(3) العيني، عقد الجمان، ج1، ص244. العليمي، الأنس، ج2، ص64.

(4) الأصفهاني، الفتح، ص141-142.ابن واصل،مفرج ،ج2،ص230.الحجي، صورمن الحضارة، ص190.

وذكر الحموي طرفا عن خزانة الكتب في الجامع الأموي بدمشق ووصفها بأنهـا كانـت جليلة[1]، ووجدت خزائن عديدة للكتب في بلاد الشام، وهذا من حرص سلاطين المماليك علـى تزويد تلك الخزائن بالكتب المتنوعة، وعلى رأسها الكتب الدينية[2].

ومما يجدر ذكره أن أي من المدارس في بلاد الشام كانت لا تكاد تخلو من وجود خزانـة للكتب، وكذلك الزوايا حيث كانت تقدم خدماتها لطلاب العلم، فقد اشـتملت المدرسـة اللبوديـة النجمية[3]،على خزانتين للكتب، اشتملت على نفائس الكتب[4].

كما اشتملت المدرسة البادرائية على "خزانة كتب نافعة"[5]،وتم شحن المكتبـات بالكتـب النفيسة ، واستغلت المساجد والمدارس كمكتبات حتى عد الباحث حمادة أماكن خـزن الكتـب، ومنها مكتبات ألحقت بالمشافي والترب والمقابر،ومكتبات وجدت في الربط والخنقاوات ومكتبات في قصور الأغنياء والسلاطين والأمراء والمكتبات المتنقلة مع السلاطين في أسفارهم [6].

وعرفت كثير من المكتبات الخاصة، والتي حرص كثير من العلماء والشـيوخ والفقهـاء على تأسيسها، وجمع ما يمكن من الكتب الدينية والعلمية فيها، سواء عـن طريـق الشـراء أو النسخ، بحيث كان العالم منهم يقوم بنسخ بعضا من الكتب بنفسه، أو يؤجر من يقوم بنسخها[7]

ومن أمثلة المكتبات الخاصة في بلاد الشام في العهد المملوكي، دار الكتب الفخرية فـي القدس التي وقفها القاضي فخر الدين بن فضل ا (ت732هـ/1331م)، وقد بلغ عدد مجلـداتها نحو عشرة آلاف مجلد[8].

وكان زين الدين أبو حفص عمر بن مسلم بن سعيد القرشي الملحي مدرس دار الحـديث الأشرقية في دمشق(ت732هـ/1331م)، قد "ملك من نفائس الكتب شيئا كثيرا"[9].

---

(1) معجم، ج11، ص174.

(2) على، القدس، ص169.

(3) مدرسة خارج سور دمشق، انشأها نجم الدين يحيي بن محمد بن اللبودي في سنة 664هـ/1264م أنظر:النعيمي، الدارس، ج2، ص106.

(4) النعيمي، الدارس، ج2، ص108.

(5) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج3، ص165.

(6) ينظر كتاب المكتبات في الإسلام ، ص82 ، ذكر فيه المؤلف انواع المكتبات بالتفصيل.

(7) الكتبي، فوات، ج1، ص59. ابن العماد، شذرات، ج7، ص205.

(8) العدواني،المكتبة ،ص45.

(9) النعيمي، الدارس ج1، ص31.

وشمس الدين أبو عبد ا محمد بن محمد بن عبد الكريم البعلي المعروف بابن الموصـلي كان قد أقام بطرابلس وصار من فضلائها "وكتب بخطه المليح شيئا كثيرا نسخا وحصـل مـالا وكتبا، ويواظب على سوق الكتب"[1]

أما نجم الدين أبو محمد هاشم ابن الشيخ عبد ا بن علـي التنـوخي البعلبكـي مـدرس المدرسة الصارمية فقد "كتب ونسخ وحصل الكتب"[2]

وكان محمد بن علي بن محمد بن غانم الشيخ بدر الدين ابن الشيخ علاء الـدين " يحـب الكتب ويجمعها وخلف لما مات ألفي مجلد وكان بعض العلماء يتاجر في الكتب كالشيخ شـعيب بن ميكائيل بن عبد ا التركماني الجاكيري(ت732هـ/1331م)[3]. وبعرض هذه المؤسسـات الدينية، العريقة والتي لم نحصها كلها لكثرتها الواضحة والتي يحتاج حصرها الى الآلاف مـن الصفحات لايتسع لها المقام الآن، لذلك ذكرنا أهم مايعتد به منها، وسوف نتطرق فـي الفصـل القادم إلى العلوم والمعارف التي درستها وتناولتها هذه المؤسسات الجليلة، والتي أسهمت في قيام أعظم حضارة عرفتها البشرية، وحوت في جنباتها أعظم العلماء والفقهاء والأدبـاء والمفكـرين ،الذين تفيئوا ظلال الدولة المملوكية الماجدة.

---

(1)النعيمي، الدارس ، ج1، ص71.

(2) المصدر نفسه ج1، ص247.

(3) الدارس، ج2، ص62.

الفصل الخامس

العلوم الدينية لدى المسلمين في الشام
في العهد المملوكي

- القرآن وعلومه.
- الحديث الشريف.
- الفقه.
- التصوف. العلوم المساعدة للعلوم الدينية.

العلوم الدينية لدى المسلمين في الشام في العهد المملوكي:

انتشرت العلوم الدينية في بلاد الشام، وتعددت المصنفات المختلفة التـي اعتمـدت فـي التدريس، فغدت سمات الحركة الفكرية في العهد المملوكي واضحة،حيث الاهتمام الشديد بالعلوم الدينية التي أخذت قسطاً وافراً من الاهتمام من بين العلوم التي كانت سائدة في ذلك العصر [1]، وسنحاول في هذا الفصل التعرف على أهم العلوم الدينية التي كانت سائدة في بلاد الشام في تلك الفترة:

ومن أبرز العلوم التي كانت سائدة في بلاد الشام في العصر المملوكي العلـوم الدينيـة، كالفقه والقراءات والتفسير وغيرها، فقد اهتم المماليك ، بهذه العلوم ، وشجعوا العلماء والفقهـاء على تدريسها في المؤسسات الدينية المختلفة ، وحرص سلاطين المماليك على الاهتمـام بتلـك العلوم ونشرها وكذلك العلماء وغيرهم من عامة الناس، ويبدو أن هذا الاهتمام من قبل السـلطة الحاكمة والناس يعود إلى أسباب عدة أهمها[2]:

أولاً: إن هذه العلوم ، ذات الطابع الديني ، لها علاقة وطيدة ومباشرة بمظاهر حياة الناس الدينية والاجتماعية ، وما يتبعها من سلوكيات ومعاملات.

ثانياً: إن تشجيع هذه العلوم ونشرها وتدريسها والاقتداء بما فيها من قول وفعـل يـؤدي إلـى التقرب إلى ا سبحانه وتعالى، ومن ثم تعم مظاهر الخير والصلاح والتقوى.

ثالثاً: نشر الوعي الديني والفكر السني بين الناس، لمقاومة الفكر الشـيعي، والتصـدي للفـرق الدينية المنحرفة.

رابعاً: إقامة العديد من المدارس والمراكز الدينية الموقوفة على الاشتغال بالعلوم الدينية ، وتوفير الدعم المالي لها، الأمر الذي أدى إلى ازدياد عدد الطلاب فيها وكثرة المشتغلين بالعلوم الدينية.

---

(1) عبد المهدي، الحركة، ص116-117.

(2) زيادة، دمشق، ص 43. المدني، الحياة العلمية، ص198.

ومن أهم العلوم الدينية:

اولاً: القرآن الكريم وعلومه:

1- التفسير:

كان التفسير من أهم ما يدرس في معظم المؤسسات الدينية في بلاد الشام، و من أشـهر المفسرين من علماء العهد المملوكي في الشام الشيخ المعروف عبد الواحد بن عبد الكريم ، العالم الفاضل المفسر كمال الدين صنف نهاية التأميل في بيان أسرار التنزيل وهو من أكبر التفاسـير، وتوفي في سنة 651هـ/1252م، وله أيضا المجيد في إعجاز القرآن المجيد [1].

والإمام الشهير ابن الجوزي يوسف بن عبد ا شمس الدين أبو المظفـر سـبط الإمـام الحافظ أبي الفرج، صنف الكتب المفيدة منها تفسير القرآن العظيم في تسعة وعشـرين مجلـدا، وكانت وفاته في سنة 654هـ/1256م، وهو أيضا أحد مشاهير المؤرخين في العهد المملـوكي في بلاد الشام وهو صاحب كتاب المنتظم [2].

وعرف من العلماء أبو شامة عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمـان، الشـيخ الإمام شهاب الدين المقدسي الدمشقي الشافعي وأبو شامة لقب له، كان أحد الأئمة وتـلا علـى السخاوي[3]، وعني بالحديث وبرع في فنون العلم وقيل بلغ رتبة الاجتهاد، له في التفسير؛ كتاب "نور المسرى في تفسير آية الإسراء"، توفي في سنة 665هـ/1267م، وهو أيضا أحد مشاهير المؤرخين والنحويين في العهد المملوكي في بلاد الشام وله كتاب الروضتين [4].

وكذلك أبن النقيب جمال الدين محمد بن سليمان الحنفي المقدسي المعروف ، أحد الأئمة في علم التفسير، وله كتاب في التفسير سماه "التحرير والتجبير لأقوال أئمة التفسير في معـاني

---

(1) السبكي، طبقات الشافعية، ج5، ص133.

(2) ابن كثير، البداية، ج13، ص272..

(3) هو السخاوي: الإمام العالم شيخ القراء والأدباء علم الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الصمد ، ولد سنة 558هـ/1162م، وتوفي سنة 643هـ/1245م. انظر: الذهبي، سير، ج16، صـ395-396.

(4) ابن كثير، البداية ج 13ص290..

كلام السميع البصير"[1] ،وقد درسه ابن النقيب بالمسجد الأقصى ، وتوفي ابـن النقيـب سـنة 698هـ/1298م[2].

والشيخ المفسر محمد بن أيوب بن عبد القاهر المقرئ الحلبي، العالم الفاضل المحقق بدر الدين، صنف مختصر "الرشاف من زلال الكشاف "وهو مؤلف في التفسير اختصره من كتـاب الكشاف وعرف عنه العلم والورع ومكارم الأخلاق ودرس في حلب ودمشق في الشام توفي سنة 705هـ/1305م[3].

وعرف من العلماء المفسرين نجم الدين أبو الربيع سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم الطوفي ثم البغدادي الحنبلي، العلامة ، الفقيه الأصولي ، ومؤلفاته كثيرة منهـا "الإكسـير فـي قواعد التفسير"، وكانت وفاته بمدينة الخليل بفلسطين سنة 716هـ/1317م[4].

ومن العلماء أبن جبارة أحمد بن الشيخ تقي الدين أبي عبد الله محمد بـن عبـد الـولي المقدسي الحنبلي الفقيه الأصولي النحوي ، ولد في 648هـ/1247م، صنف تفسيرا وأشياء فـي القراءات، وتوفي فجأة بالقدس في سنة 728هـ/1329م، وهو من علماء النحو[5].

وعرف أيضا الإمام العالم أبن جماعة قاضي القضاة بدر الدين أبو عبد الله محمـد بـن إبراهيم بن سعد الله بن علي الحموي ، ولد بحماة سنة 639هـ/1241م ، وتلقى علـم التفسـير والفقه والحديث في دمشق ، وفي عام 687هـ/1288م ، ولي الخطابة والإمامة فـي المسـجد الأقصى والقضاء في بيت المقدس ، كان وافر العقل ، متين الديانة ، وله مصنفات عديدة منهـا: "التبيان لمهمات القرآن"[6]، "الفوائد اللائحة من سورة الفاتحة" ، "تحرير الأحكام في تدبير أهـل الإسلام"[7]، وقد توفي رحمه الله سنة 733هـ/1332م[8].

---

(1) ابن كثير، البداية ، ج1 ، ص5. بدوي، الحياة العقلية ، ص121.
(2) خليفة ، كشف ،ج1 ص308. البغدادي، هدية، ج2، ص19.
(3) الصفدي، أعيان، ج2، 268.
(4) ابن حجر، الدرر الكامنةج 2ص154.
(5) ابن كثير، البدايةج 14ص 142. ابن حجر، الدرر الكامنةج 1ص259.
(6) خليفة ، كشف ج1،ص29.
(7) المصدر نفسه ، ص306.
(8) الذهبي ، العبر ، ج4 ، ص96. ابن كثير ، البداية ، ج14 ، ص178.

والشيخ أبن قيم الجوزية شمس الدين محمد بن أبي بكر الدمشقي، العالم الفاضل المحقق، كان من تلاميذ شيخ الإسلام ابن تيمية ،امتحن هو وشيخه مرات عديدة، فسر الفاتحة الشريفة وصنف "التبيان في أقسام القرآن"، وتوفي في سنة 751هـ/1352م[1].

وكذلك أبن كثير إسماعيل بن عمر القرشي البصري ثم الدمشقي الفقيه الشافعي الحافظ عماد الدين ابن الخطيب شهاب الدين وكنيته أبو الفداء، له التفسير الكبير وقد ولد في سنة 700هـ/1300م وكانت وفاته في شهر شعبان بدمشق774هـ/1375م، وهو من أشهر وأهم المؤرخين في بلاد الشام في العهد المملوكي وله كتاب البداية والنهاية في التاريخ [2].

وكذلك ابن الهائم أحمد بن محمد بن عماد بن علي الشهاب أبو العباس القرافي المصري ثم المقدسي الشافعي، ،ومن مصنفاته " التبيان في تفسير غريب القرآن " ، وكان فقيهاً بارعاً في الحساب والفرائض، توفي سنة 815هـ/1412م[3].

وقاضي القضاة شيخ الإسلام شمس الدين أبو عبد ا محمد بن جمال الدين بن عبد ا بن سعد بن عبد ا بن مصلح بن الديري الخالدي العبسي الحنفي الشيخ الإمام العالم المحقق ، سكن بيت المقدس واشتغل بالعلم، وولي مشيخة المدرسة المنجكية ودرس بالمعظمية الحنفية وأفتى ودرس وحدث وجلس للمواعيد يفسر القرآن العظيم[4]، كان إماماً في الفقه وفروعه، بارعاً في العربية والأصول والحديث، وأفتى ودرس سنين بالقدس[5].

والعالم المفسر أبو الفتح محمد بن عبد الرحيم الشهير بابن صدقة المخزومي، سكن بمدينة دمشق، وصنف "الفيض القدسي في تفسير آية الكرسي" وهو مؤلف جليل ذكر في تفسيرها مائتين وثلاث وثلاثين وجها وزاد عليها فيما بعد مائة وثلاثين وجها، وتوفي سنة 837هـ/1438م[6].

وكذلك المفسر أحمد بن حسين بن حسن بن علي بن أرسلان، أبو العباس، شهاب الدين،

---

(1) ابن حجر، الدرر، ج5، 137.

(2) النعيمي الدارس ج1، ص36. ابن العماد، شذرات الذهب، ج6، ص231.

(3) ابن حجر، إنباء، ج7، ص81. السخاوي، الضوء اللامع، ج1، ص361..

(4) العليمي، الأنس، ج2، ص224.

(5) ابن تغري، المنهل، ج4، ص198.

(6) خليفة، كشف،ج2 ص1304.

الرملي، ولد بالرملة بفلسطين وانتقل في كبره إلى القدس، فتوفي بها، وكان زاهدا متهجدا، وبرع في التفسير والقرآت والفقه والتاريخ، وألف في ذلك: " الزبد منظومة في الفقه"، و "شرح سنن أبي داود" و "منظومة في علم والقرآت" و "شرح البخاري" ، و"طبقات الشافعية" تراجم، و"تصحيح الحاوي" فقه، و "إعراب الألفية"في النحو، وغير ذلك[1].

وكذلك العالم المفسر محمد بن يحيى بن أحمد، شمس الدين ابن زهرة ولد في سنة 758هـ/1357م، وانتقل إلى دمشق، ثم استقر في طرابلس الشام وتوفى بها سنة 848هـ/1444م، من كتبه "فتح المنان" ، وشروح كبيرة في الفقه، و التذكرة في التفسير يشتمل على تفسير وحديث وفقه ووعظ[2].

والمفسر إبراهيم بن موسى بن بلال بن عمران بن مسعود بن دمج البرهان الكركي الشافعي، كان بارعا في أنواع العلوم صنف في القراءات والعربية والتفسير والفقه وأصوله منها حاشيته على تفسير العلامة التركماني الحنفي القاضي، انتهى في حاشيتها إلى أول الأنعام و"درة القارئ المجيد في أحكام القراءة والتجويد"، وتوفي في سنة 853هـ/1454م[3].

والشيخ المفسر أحمد بن أحمد بن محمود بن موسى الشهاب المقدسي ثم الدمشقي الحنفي المقرئ، ولد سنة 791هـ/1392م بالقدس ونشأ بها فحفظ القرآن وهو ابن تسع، وقرأ القراءات على جماعة ومهر فيها وتصدى لإقرائها، وتكسب بكتابة المصاحف وكان متقناً فيها مقصوداً من الآفاق بسببها، مات بدمشق [4].

و العالم المفسر عبد الرحمن بن علي بن إسحاق بن محمد أبو الفرج التميمي الدارمي الخليلي الشافعي ، نظم أسباب النزول للجعبري سماه "مدد الرحمن في أسباب نزول القرآن" وصنف "درر النفائس في ملح المجالس في التفسير" على طريق الوعظ افتتح كل مجلس منه بخطبة تناسبه، وكانت وفاته في شهر شعبان سنة 876هـ/1477م. بالخليل من ارض فلسطين[5].

---

(1) السخاوي، الضوء، ج1، ص181.

(2) السخاوي، الضوء، ج5، ص23. خليفة، كشف، ج 2، ص 742. كحالة، معجم، ج1، ص118.

(3) السخاوي، الضوء اللامع، ج1، ص111.

(4) المصدر نفسه ، ج1، ص148.

(5) المصدر نفسه، ج2، ص250. كحالة، معجم، ج5، ص145.

وابن أمير حاج محمد بن محمد الحلبي الحنفي ، كان عالما عاملا وبارعا في الفنـون، وخاصة الفقه الحنفي، فسر سورة العصر وسماه "ذخيرة القصر في تفسـير سـورة العصـر"، وكانت وفاته في رجب سنة 879هـ/1480م بمدينة القدس الشريف[1].

والعلامة المفسر إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط ابن علي بن أبي بكر برهـان الـدين وكني نفسه بأبي الحسن الخرباوي البقاعي، نزيل القاهرة ثم دمشق ولد في سـنة 1406/809م رحل إلى بيت المقدس ثم القاهرة وهو في غاية من الفاقة والفقر والحاجة وكانت وفاته في سـنة 885هـ/1480م ودفن خارج دمشق، له "نظم الدرر في تناسب الآي والسـور" يتعلـق بعلـم التفسير، وصنف "الفتح القدسي في تفسير آية الكرسي" [2].

والشيخ ابن الخطيب محمد بن سليمان المقدسي الحنفي أبو عبد ا جلال الدين، صـنف "التحرير لأقوال المفسرين لكلام رب العالمين "وهو تفسير ضخم جمع أقوال جل المفسرين، وقدم فيه بأسباب النزول وأقوال المفسرين وتفاصيل الجمل وبيان السير إلى غير ذلك مما لا يوجد في غيره من التفاسير، وكانت وفاته في سنة 898هـ/1495م[3].

الإمام العلامة شمس الدين أحمد بن أحمد بن محمد بن عبد ا بن زهير بـن خليـل ، الرملي، ثم الدمشقي الشافعي. ولد بالرملة ، ثم استوطن دمشق، وناب في الحكم مراراً، فحمدت سيرته ومروءته، وناب في إمامة الجامع الأموي، ثم استقل بها، فباشرها سـنين حتـى تـوفي، وانتهت إليه مشيخة الإقراء بدمشق، وكان له مشاركة جيدة في عدة من العلوم، وله نظم حسـن، وتوفي رحمه ا سنة 923هـ/1517م[4].

و قاضي القضاة ابن أبي شريف إبراهيم بن محمد بن أبي بكر بن رضوان شيخ الإسلام برهان الدين المري المقدسي الشافعي ، ولد في بيت المقدس سنة 836هـ/1432م ونشأ به وأخذ العلوم في بيت المقدس ومصر من علماء زمانه، وله التفسير على سورة الرحمن، وتفسير سورة الكوثر وسورة الإخلاص والكلام على البسملة وعلى خـواتيم سـورة البقـرة ، تـوفي سـنة

---

(1) الداوودي ، طبقات المفسرين، ج1ص43. السخاوي، الضوء اللامع، ج4، ص404. خليفة، كشف، ج1ص358، 729.

(2) الداوودي، طبقات المفسرين، ج1، ص348. السخاوي، الضوء اللامع، ج1، ص63 خليفة، كشف الظنون، ج2، ص1233.

(3) الداوودي، طبقات المفسرين، ج،1ص354.

(4) السخاوي، الضوء اللامع، ج1، ص140. الغزي، الكواكب، ج1، ص80.

923هـ/1517م[1].

ومما سبق ندرك حجم الجهد الديني الذي بذله العلماء في العهد المملوكي في مجال تفسير القرآن، ونعتقد أن ذلك لم يكن يتأتى لهم لولا الازدهار الكبير والتقدم الواضح في كافة النواحي والأوضاع العلمية والدينية في بلاد الشام، أضف إلى ذلك روح التدين التي كان يتمتع بها الأهالي في بلاد الشام والسلاطين المماليك في ذلك الوقت.

2- القراءات:

يعد علم القراآت من علوم القرآن الكريم الهامة ،والتي إنتشرت في الشام ولقيت عناية كبيرة من السلاطين والعامة ،وبرع فيها كثير من علماء العهد المملوكي بفضل ذلك التشجيع والرعاية من السلطة المملوكية للمؤسسات الدينية وخصوصاً دور القرآن ومن البارعين في هذا الميدان:

أبو الفتح الأنصاري محمد بن علي بن موسى الإمام شمس الدين الدمشقي، ولي مشيخة الإقراء في تربة أم الصالح بدمشق وكان عارفا بوجوه القراءات توفي سنة 657هـ/1259م[2].

أبي الدر رشيد الدين أبو بكر ابن المقرئ المكيني أحد الحذاق بالقراءات، رحل في طلب الإسناد فقرأ بالإسكندرية، وكان من كبار المقرئين في زمانه، توفي في سنة 673هـ/1274م بدمشق[3].

ثم الإمام العالم شيخ القراء ابن وثيق إبراهيم بن محمد بن عبد الرحمن الإشبيلي، ولد سنة 567هـ/1171م، تنقل كثيرا، وقدم إلى غزة سنة 595هـ/1198م، قرأ القراءات السبع بها، توفي في مصر سنة 654هـ/1256م[4].

---

(1) السخاوي، الضوء اللامع، ج1، ص84.

(2) الذهبي، معرفة القراء، ج2، ص265.

(3) ابن كثير، البداية، ج13، ص352.

(4) الذهبي، سير، ج16 ، ص516. عطية ، تاريخ التعليم ، ص68.

و أبو القاسم سديد الدين خضر بن عبد الرحمن بن خضر الحموي المقرئ، قرأ القراءات على أبي الحسن السخاوي ودرس بمدينة حماة في الشـام القـرآن، تـوفي فـي شـوال سـنة 681هـ/1282م[1].

الإمام العالم ناصر الدين عبد الولي بن عبد الرحمن بن محمد المقدسـي، درس القـرآن ببيت المقدس ودمشق وأخذ عنه الحفاظ، ولد سنة 601هـ ـ/1204م، وتـوفي بدمشـق سـنة 690هـ/1291م[2].

وكذلك شمس الدين أحمد بن عبد ا بن الزبير، الإمام المقرئ المجود، ، خطيب حلـب، كان إماماً فاضلاً ماهراً، محرراً للقراءات ووجوهها وعللها، كان ديناً عفيفاً تقياً، تـوفي سـنة 690هـ/1291م[3].

و الإمام شهاب الدين أبو عبد ا محمد بن عبد الخالق بن مزهر الأنصاري الدمشقي، قرأ القراءات على السخاوي وروى الحديث وكان عالما فاضلا ذاكرا للروايات حسن المعرفـة لـه مشاركة في الفقه والنحو، ووقف كتبه بدار الحديث الأشرفية [4].

و الإمام رضي الدين بن دبوقا جعفر بن القاسم بن جعفر بن علي بـن جـيش الربعـي الدمشقي المقرئ الكاتب، قرأ القراءات على أبي الحسن السخاوي وحصـل طرفـا مـن العلـم والعربية والأدب وعالج الكتابة والتصرف، عرف عنه الإجادة في تدريس والقراآت فصيحا متقنا وكان إمام مسجد الخواص، توفي في سنة 691هـ/1292م[5].

ومنهم الإمام العالم شيخ القراء أبو إسحاق إبراهيم جمـال الـدين بـن داود بـن ظـافر العسقلاني الدمشقي، ولد سنة 622هـ/1225م ، سمع من كثيرين من العلماء كالسخاوي ولازمه

---

(1) الذهبي، معرفة القراء، ج2، ص287.

(2) ابن الجزري ، طبقات ، ج1 ، ص478. الدباغ ، بلادنا ، ج3 ، ص252.

(3) الذهبي، معرفة القراء، ج2، ص705.ابن تغري بردي، المنهل، ج1، ص67.

(4) الذهبي، معرفة القراء، ج2، ص706.

(5) الذهبي، سير، ج2، ص707.

مدة، ولي مشيخة الإقراء بتربة أم الصالح بدمشق، وقصده القراء وطلبة العلم حتى وفاته بدمشق سنة 692هـ/1292م[1].

ومن القراء أيضا ابن الدمياطي الإمام شمس الدين محمد بن عبد العزيز بن أبي عبد ا بن صدقة أبو عبد ا الدمشقي المقرئ، كان ذاكرا للقراءات ذكرا جيدا طويل الروح حسن الأخلاق حسن العشرة، وكان يتصدر حلقات العلم ويقرأ من القرآن قراءة على التربة الصلاحية، توفي في سنة 693هـ/1294م[2].

والمقرئ الشافعي الصوفي الإمام موفق الدين أبو عبد ا محمد بن علي بن المبارك الأنصاري الرباني النصيبي نزيل بعلبك وشيخ الإقراء بجامعها وشيخ الخانقاه، استوطن بعلبك أربعين سنة وكان إمام مسجد كبير بها، وكان يجلس للناس ويورد أحاديث من حفظه، وكان جيد المعرفة بالأدب بديع النظم عارفا بالقراءات693هـ/1294م[3].

وعرف أيضاً القاضي إبن منكلي دانيال بن صرفا ضياء الدين أبو الفضائل التركماني الشافعي المقرئ قاضي الشوبك من أعمال الأردن ، قدم دمشق وقرأ القراءات على السخاوي وسمع من جماعة ثم رحل وسمع ببغداد وبحلب وبمصر، وكان فقيها مقرئا عالما مجموع الفضائل، سكن دمشق مدة وولي القضاء بأماكن عدة [4].

ومن المشهورين بالقراءات أيضاً، العالم الشيخ المقرئ إبن طرخان أبو محمد عماد الدين عبد الحافظ بن بدران بن شبل النابلسي المقدسي شيخ نابلس قدم دمشق في صباه وسمع الكثير، وتفرد بأشياء وقصد للسماع والزيارة والتبرك وبني بنابلس مدرسة وجدد طهارة وكان كثير التلاوة والأوراد لازما بيته إلى جانب مسجده، توفى سنة 698هـ/1298م[5].

---

(1) ابن الجزري، طبقات، ج1 ، ص14. النعيمي ، الدارس ، ج1 ، ص244.

(2) الذهبي، معرفة القراء،ج2 ص707.

(3) المصدر نفسه ، ج2، ص710.

(4) المصدر نفسه، ج2، ج2، ص713.

(5) الذهبي، سير، ج11 ، صـ356. الصفدي، الوافي، ج18، ص35.

وأبو عبد ا   شرف الدين أحمد بن عثمان القدمي رفيق الخطيب جلال الدين القزويني ولد سنة بضع وستين وقدم دمشق سنة 695هـ/1296م وأتقن القراءات وكان خيرا متوددا لقن جماعة[1].

والإمام شمس الدين أبو عبد ا   محمد بن منصور بن موسى الحلبي الحاضري المقرئ النحوي، قرأ القراءات بجماعة كتب في السبعة والعشرة، وكان شيخ الإقراء بالتربة العادلية، وكان متوسط المعرفة في القراءات سنة 700هـ/1300م[2].

و أبو عبد ا   محمد بن عبد الكريم بن علي الشيخ المعمر نظام الدين الدمشقي، حفظ القرآن وجوده، أقرأ بالجامع ثم ترك التعليم بسبب هرمه وقيل أصيب بالعمى ثم مرض زمانا إلى أن توفي سنة 704هـ/1304م[3].

ثم الإمام شرف الدين أبو العباس المعروف بابن الفركاح أحمد بن إبراهيم بن سباع بن ضياء الفزاري البدري المقرئ النحوي الشافعي خطيب جامع دمشق ، عني بالحديث بعد وأكثر عن ابن عبد الدائم والموجودين وتبحر في القراءة، ولي مشيخة إقراء الناصرية ومشيخة إقراء التربة العادلية زمانا ثم ولي خطابة جامع جراح وكان أحسن أهل زمانه قراءة للحديث لأنه كان فصيحا مفوها ، قرأ عليه بالروايات إمام مسجد السبعة وهو من مساجد دمشق الشهيرة، توفي بدار الخطابة سنة 705هـ/1305[4].

وأحمد بن مؤمن الدمشقي المعروف باللبان، أقرأ بالجامع الأموي وتصدر للقراءة، وكان مقري حاذق مجود، قرأ على أبي شامة والشيخ زين الدين الزواوي، وكان دينا متواضعاً في جمادى الأولى سنة 706هـ/1306م[5].

---

(1) ابن حجر، الدرر، ج1، ص308.
(2) الذهبي، معرفة القراء، ج2، ص712.
(3) المصدر نفسه ، ج2، ص297.
(4) ابن الوردي، تاريخ، ج2، ص246. ابن كثير، البداية، ج14، ص45. كحالة، معجم، ج1، ص138.
(5) ابن حجر، الدرر، ج1، ص384.

ومن علماء الشام المشهورين أبو الفتح أحمد بن موسى الموصلي الحنبلي المقرئ نزيل دمشق كان عارفا بالقراءات، وفاته سنة 710هـ/1310م[1].

الشيخ الكبير المقرئ تقي الدين ابن المقصاني أبو بكر بن عمر بن المشبع الجزري نائب الخطابة وكان يقرئ الناس بالقراءات السبع عاش عفيفاً ديناً توفي في سنة 713هـ/1313م[2].

ومنهم الإمام المقرئ النحوي الفاضل إسماعيل بن محمد جمال الدين ابن الفقاعي الحموي الحنفي، درس بمدرسة الطواشي بحماة وأخذ عنه جماعة، وأخذ القراءات عنه خلق كثير وتصدر للإشغال بالشام زمانا وكان موصوفا بمعرفة القراءات بصيرا بالعربية، ولد سنة 642هـ/1243م ومات سنة 715هـ/1315م[3].

وعرف منهم الإمام الفقيه شهاب الدين أبو عبد ا حسين بن سليمان بن فزارة الكفري ثم الدمشقي المقرئ ، ولد سنة 718هـ/1318م، وقدم دمشق بعد الخمسين فحفظ القرآن وناب في القضاء وأفتى وقرأ الفقه، وقرأ بالروايات على الشيخ زين الدين الزواوي وغيرهما، وشرح على الشيوخ في القراءات والفقه والعربية وعالج الشروط مدة وكان من صغره على طريقة حميدة وقد عمر وأسن وقصده القراء لعلو إسناده وذكره للقراءات، توفي في جمادى الأولى سنة 719هـ/1319م[4].

وكذا العالم شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الوالي بن جباره المقدسي الحنبلي ، ارتحل إلى مصر ودمشق وحلب ، حيث درس بهما القراءات، ثم عاد إلى بيت المقدس وتصدر لإقراء القرآن والعربية ، ولد سنة 647هـ/1249م ، وتوفي ببيت المقدس سنة 728هـ/1327م[5].

---

(1) الذهبي، معرفة القراء، ج2، ص751.

(2) النعيمي، الدارس، ج1، ص90. ابن حجر، الدرر، ج1، ص542.

(3) الذهبي، معرفة القراء، ج2، ص752.

(4) الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج1، ص107. الصفدي، الوافي، ج12، ص234. ابن العماد، شذرات ، ج6، ص51.

(5) ابن حجر، الدرر، ج1،ص259-260. ابن العماد، شذرات، ج6، ص248. المدني،الحياة العلمية، ص206. ص206.

ومنهم أيضاً الشيخ العلامة المقرئ أبو إسحاق إبراهيم برهان الدين بن عمر بن إبـراهيم بن خليل الجعبري ، من علماء الخليل بفلسطين ، ولد سنة 640هـ ـ/1242م ، سـمع ببغـداد ودمشق ، ثم قدم إلى الخليل وأقام بها مدة طويلة ثم توفي الشيخ برهان الدين في الخليـل سـنة 732هـ/1331م ،وكان يقرئ الناس له تصانيف كثيرة في القـراءات والحـديث والعربيـة والتاريخ ، مثل "شرح الشاطبية" ، "نزهة الدرة في القراءات العشرة" ، والشرعة في القـراءات السبعة، وله "الدماثة في القراءات الثلاثة وشرحها"، "وعقود الجمان في تجود القرآن"، "وحـدود الإتقان في تجويد القرآن" [(1)].

و شهاب الدين أحمد بن محمد بن جبارة بن عبد الولي المرداوي المقرئ ، قرأ القـراءات وبرع في علوم القرآن ، قدم حلب ودرس فيها مدة ثم القدس وله شرح الرائيـة فـي التجويـد واشتهر بالقراءات وشرح الشاطبية للأمام الشاطبي شرحا مطـولا، تـوفي فـي رجـب سـنة 728هـ/1328م ببيت المقدس [(2)].

وعرف منهم ابن الفصيح فخر الدين أحمد بن علي بن أحمد الهمداني ثم الكوفي الحنفـي ولد سنة 680هـ/1279م إشتهر في العراق ثم قدم دمشق وكان تقياً ديناً متبـتلاً عـرف عنـه الإجادة في القراآت، توفي في سنة 755هـ/1353م[(3)].

وكذلك قاضي القضاة شهاب الدين أبو الخير أحمد بن عمر بن محمد الحموي الشـافعي، المعروف بابن أبي الرضا، قاضي قضاة الشافعية بحلب، كان إماماً فاضـلاً عالمـاً بـالقراءات السبعة ووجوهها، وله مصنفات في علم القراآت توفي 791هـ/1388م[(4)].

والحافظ الإمام المقري شمس الدين أبن الجزري محمد بن محمد بن محمد بن يوسف ولد سنة 751هـ/1348م بدمشق، برز في علم القراءات وعمر مدرسة للقراء وسماها دار القرآن، وأقرأ الناس، توفي في سنة 833هـ،1432م[(5)].

وبرع في علم القراآت العالم أحمد بن محمد بن أحمد بن الشويش الحلبي الجبريني وأقـرأ مدة وأخذ عنه القراآت ومات بفلسطين في سنة 793هـ/1390م[(6)]

---

(1) ابن كثير ، البداية ، ج14 ، ص174-175. السبكي ، طبقات ، ج5 ، ص219.

(2) الصفدي، الوافي، ج8، ص18. ابن حجر، الدرر، ج1، ص241. خليفة، كشف،ج2، ص1159.

(3) ابن حجر، الدرر، ج1، ص241.

(4) ابن تغري ، المنهل، ج1، ص88.

(5) النعيمي، الدارس، ج1، ص8. ابن كثير،ج 13ص 219. ابن العماد، شذرات ج 7ص204.

(6) ابن حجر، الدرر، ج1، ص288.

و زين الدين أبو محمد عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن عياش، الشيخ المقرئ ،عمـر طويلاً وهو ابن الشيخ المقرئ الزاهد شهاب الدين، المعروف بابن عياش، ولد بدمشق ، وقـرأ على الشيخ شمس الدين محمد بن أحمد العسقلاني القراءات العشرة، فساوى والده في علو السند وكان قد أخذ عن أبيه القراءات السبع ،من كتاب أبيه "ورقات المهرة في تتمة قـراءات الأئمـة العشرة "وقرأ عليه ختمة جامعة للقراءات العشرة، ، توفي 853هـ/1455م[1].

ثانياً: الحديث وعلومه:

يعد علم الحديث من أشهر العلوم التي اهتم بها العلماء وطلبة العلم في العهد المملـوكي، ولاقى هذا العلم تشجيعاً خاصاً من السلاطين ووقاف المؤسسات الدينية ،بل وجعل له مـدارس عرفت بمدارس الحديث زخرت بها مدن الشام، وارتادها المئات من الطلبة، ودرس فـي هـذه المدارس علماء أفذاذ كالعلماء المحدثين الشاميين الذين ساهموا في الحياة العلمية عـرف مـنهم الإمام العالم المحدث نجيب الدين أبو العشائر فراس بن علي بن زيد العسقلاني الدمشقي ، ولـد سنة 583هـ/1187م ، حدث بالشام ، وحدث بمصر ، توفي سنة 663هـ/1264م[2]، وبمـا أنه أدرك العهد المملوكي عده الباحث من علماء ذلك العصر .

الإمام العالم شيخ المحدثين أبو الحسين رشيد الدين يحيى بن علي بن عبد ا بن علـي بن مفرج النابلسي، ولد سنة 584هـ/1188م ، سمع وروى، وإليه انتهت رئاسـة الحـديث، توفي سنة 662هـ/1263م[3]وقد أدرك العهد المملوكي .

ومن المحدثين المشهورين الشيخ العالم أبو عبد ا موفق الدين محمد بـن عمـر بـن يوسف بن يحيى الدمشقي الشافعي ، ولد سنة 595هـ/1198م ، سمع من علماء الشام المحدثين، روي عنه الحديث وبرع فيه حتى فاق أقرانه ، وعرف عنه الزهد والخشوع وطـول الصـحبة وتوفي سنة 671هـ/1272م [4].

وعرف من محدثي الشام الإمام المحدث شرف الدين أبو المظفر يوسف بن الحسن بـن بدر بن الحسن بن مفرج النابلسي الدمشقي الشافعي، ولد سنة 603هـ/1206م ، سـمع بحلـب

---

(1) ابن تغري بردي، المنهل، ج2، ص95.

(2) الذهبي، سير، ج17 ، ص62.

(3) الذهبي، سير، ج17، ص41. ابن العماد ، شذرات ، ج5 ، ص450.

(4) العيني، عقد، ج2 ، ص109.

ومصـر ، وروى الكثير ، وحدث، كان مشهوراً بالصلاح والإفادة ، وتولى مشيخة دار الحديث النورية بدمشق إلى أن توفي فيها سنة 671هـ/1272م[1].

وبرع الإمام العالم الفقيه شمس الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الملك بـن عثمان المقدسي الحنبلي بعلم الحديث، وولد سنة 606هـ/1209م ، سمع من كثيرين وحدث، و كان من أعـلام الشـام ، صـالحاً صـادقاً عابـداً، ودرس عليـه الكثيـرون، تـوفي سـنة 689هـ/1290م[2].

وعرف من علماء الحديث أيضاً ، الشيخ الإمام العالم المحدث شمس الدين أبو عبد ا ابن الكمال محمد بن الشيخ الكمال عبد الرحيم بن عبد الواحد بن أحمد المقدسي الصالحي الحنبلي ، ولد سنة 607هـ/1210م ، سمع من الشيخ موفق الدين وآخرين ، كان إماماً فقيهاً محدثاً زاهداً عابداً ، حدث دهراً من عمره ، وولي مشيخة دار الحديث الأشرفية وتدريس الضيائية[3] ، حدث عنه البرزالي والمزي وابن الخباز وآخرون ، توفي سنة 688هـ/1289م[4].

وكذلك الشيخ العالم أبو القاسم علاء الدين علي بن بلبان المقدسي ،وقد تنقل كثيـراً فـي طلب الحديث ولد سنة 612هـ/1215 ، سمع ببغداد ودمشق ومصر ، كان خيراً لين الجانب ديناً، ، توفي سنة 684هـ/1285م[5].

ومن المحدثين العلماء المحدث علي بن أحمد بن عبد الواحد بن أحمد بن عبـد الـرحمن المقدسي ، تفقه على شيوخ المحدثين كالموفق وقرأ عليه "المقنع" وأذن له في إقرائـه ، وصـار محدث الإسلام وراويته ، روى الحديث أكثر من ستين سنة ، وسـمع منـه الأئمـة والحفـاظ، وتكاثرت عليه الطلبة.

وعرف من المحدثين قاضي القضاة ، سليمان بن حمزة بن أحمد بن عمر بن أبي عمر محمد بن أحمد بن محمد بن قدامه تقي الدين أبو الفضل المقدسي الحنبلي، كـان مـن الأعـلام

---

(1) الذهبي ، سير ، ج17 ، ص115. اليافعي ، مرآة ، ج4 ، ص172.

(2) ابن العماد، شذرات، ج6، ص73.

(3) الضيائية: تقع في جبل قاسيون وهي مدرسة ضياء الدين محاسن كان رجلاً صالحاً ، بنى هذه المدرسة ، وجعلها موقوفة على من يكون أمير الحنابلة يذكر فيها الدرس. انظر: النعيمي ، الدارس ، ج1 ، ص38 .

(4) الذهبي ، سير ، ج17 ، ص235-236.

(5) ابن العماد ، شذرات ، ج6 ، ص48.

المحدثين المتبحرين في الحـديث وعلومـه ، ولـد سـنة 628هـ ـ/1230م ، وتـوفي سـنة 715هـ/1315م كان إماماً محدثاً ، بارعاً[1].

وأبو العباس، شهاب الدين أحمد بن فرح بن أحمد بن محمد بن فرح اللخمـي الاشـبيلي الشافعي، نزيل دمشق، ، وهو من علماء الحديث، وله "شرح على الأربعين حديثا النووية"و لـه منظومة في ألقاب الحديث تسمى "القصيدة الغرامية"، و "مختصر خلافات البيهقي" في الخـلاف بين المذاهب، توفي في دمشق سنة 699هـ/1300م[2].

ومنهم المحقق العالم الفقيه المحدث شمس الدين أبو المحاسن ويقال أبو عبد ا الحسـيني الدمشقي من اشهر علماء الحديث جمع أشياء مهمة في الحديث وكتب أسماء رجال مسند أحمـد واختصر كتابا في أسماء الرجال مفيدا وولي مشيخة دار الحديث التي بباب توما بدمشق وجمـع مختصرا من "تهذيب الكمال" لشيخنا المزي وزاد فيه رجال مسند أحمد وكتب بخطـه كثيـرا و شرع في شرح "سنن النسائي" ومن مؤلفاته "اختصار الأطراف للمزي" وكتاب "رياض الزاهدين في مناقب الخلفاء الراشدين" وكتاب "الإمام في آداب دخول الحمام" وكتاب" العرف الـذكي فـي النسب الزكي" و"ذيلا على العبر" توفي في شعبان سنة 765هـ/1360م[3].

ومن المحدثين ابن قوام أبو عبد ا محمد نور الدين بن أبي بكر بن محمد بن عمر بـن قوام الدمشقي ،من أشهر المحدثين في عصره مهر في الحديث وغيره وسمع من جماعة وكان يحب السنة ويفهمها جيدا، وكان حسن الخلق، توفي في سنة 765هـ/1363م[4].

الإمام المحدث علي بن المظفر بن إبراهيم بن عمر بن زيد الكندي الدمشقي درس الحديث على شيوخ كثيرين وحصل علوماً كثيرة كالقراءات السبع وشيئاً من الفقه ونظم الشعر وبـرع فيه وصنف كتاباً ضخماً سماه التذكرة الكندية وقفها بالمدرسة السميساطية و تولى وظائف عدة وبرع في الخط والحساب وولي مشيخة دار الحديث النفيسية وكان عالم الحـديث فيهـا، تـوفي 716هـ/1316م[5].

---

(1) الذهبي، العبر، ج4، ص42.

(2) الذهبي، معجم، ج1، ص30. الصفدي، الوافي، ج7، ص286.

(3) ابن ناصر الدمشقي، الرد الوافر، ص55. النعيمي، الدارس، ج1، ص45.

(4) النعيمي، الدارس، ج1، ص49-54. ابن العماد، شذرات، ج6، ص205.المدني، الحياة العلمية، ص206.

(5) ابن كثير، البداية، ج14، ص39. النعيمي، الدارس، ج1، ص85.

وبرع في علم الحديث النساء المحدثات اللواتي نافسن الرجال في ذلك العلم ،وهذا يدل على إتاحة العلم والتعليم للإناث كما للذكور في عهد المماليك واشتهر منهن:

1- المحدثة المقدسية أسماء بنت محمد بن الكمال عبد الرحيم ، سمعت من الشيخ أحمد بن عبد الدائم ، توفيت سنة 723هـ/1323م[1].

2- المحدثة أسماء بنت أحمد بن سالم بن قاسم المصري النحوي، ولدت سنة 658هـ/1257م، سمعت على شيوخ عصرها، وأجاز لها الكثيرون من المحدثين ، وسمع منها البرزالي، وكانت تقيم في عكا، وروي عنها الكثير من الأحاديث توفيت سنة 736هـ/1334م[2].

3- أسماء بنت خليل المقدسية،زوجة القلقشندي المؤرخ المعروف وسمعت على أبي العباس أحمد الحجار المحدث في الشام وحدث عنه شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية من "صحيح البخاري" بقراءة مشهورة عليها وعلى زوجها ، توفيت في القدس سنة 795هـ/1392م [3].

4- أبطن بنت عبد ا العجمية أم إبراهيم عتيقة علي بن حسين ابن مناع التكريتي التاجر أم ولده. سمعت شيئا من "صحيح مسلم" على أحمد بن عبد الدائم، وسمع منها البرزالي، وكانت صوامة قوامة، ماتت بدمشق في ثاني عشر رجب سنة 729هـ/1327م[4].

5- أسماء أم عمر قريبة زينب بنت العلائي ابنة العز الجمالي الأقرمني ، سمعت قطعة من "صحيح البخاري" على ابي العباس الحجار وسمعت عليه أيضا المائة المنتقاة من "صحيح البخاري" انتقاء تقي الدين ابن تيمية، وحدثت بالمائة المذكورة عن أبي العباس الحجار بقراءة الشيخ صدر الدين الياسوفي، توفيت في سنة790هـ/1388م[5].

---

(1) ابن حجر، الدرر ، ج1 ، ص361. كحالة ، أعلام ، ج1 ، ص64.

(2) الفاسي، ذيل، ج2 ، ص357.

(3) ابن حجر، الدرر الكامنة، ج1، ص360. ابن العماد، شذرات،ج6، ص344.

(4) الفاسي، ذيل، ج2 ، ص359.

(5) ابن حجر، أنباء الغمر، ج2، ص310. الفاسي، ذيل، ج2 ، ص358.

6- فاطمة بنت عبد الدائم بن أحمد بن عبد الدائم بن نعمة المقدسية، سمعت على جدها أحمد بن عبد الدائم "صحيح مسلم" سمع منها البرزالي وتلاميذه، وحضرت جزء ابن الفرات وجزء أيوب وأربعين الآجري وأخذ عنها كما أفضل محدثي زمانها، ، توفيت في سنة 734هـ/1335م.[1]

7- تتر بنت محمد بن أحمد بن محمد بن عثمان بن المنجا التنوخي، سمعت على زينـب بنـت الكمال مشيخة خطيب مردا بسماعها منه وسمعت على أقش بن عبد ا الشلبي الصفوي كتـاب الترغيب والترهيب للتيمي، وسمعت على أحمد بن رضوان بن إبراهيم بن الزنهار مـن بـاب الجيم إلى آخر الترغيب، وعلى علي بن العز عمر المقدسي الصالحي من باب الطاء إلى آخـر الترغيب وهي حاضرة على جميعهم في الرابعة بسماعهم على أحمد بن عبد الدائم،وسمعت على الجزري، أجازت لشيخنا القاضي شهاب الدين ابن حجر وأبي الفتح بن أبي بكر بـن الحسـين المراغي، وتوفيت سنة 803هـ/1402م بدمشق[2].

8- خديجة بنت إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم بن سلطان البعلبكية أم محمد، وممن أجـاز لهـا إسحاق بن يحيى الآمدي والواني والدبوسي وابن سيد الناس والقطب الحلبي وعبد ا بن علـي الصنهاجي وعبد الرحمن بن عبد الولي البكراني ويحيى بن محمد بـن سـعد وغيـرهم روت بالإجازة عن جماعة من شيوخها عدة كتب، ، وحدثت سمع منها القاضي شهاب الدين أحمد بـن حجر، بدمشق[3].

9- خديجة بنت محمد بن أبي بكر بن أحمد بن عبد الدائم المقدسي، سمعت حاضرة في الرابعة على المسند محمد بن أحمد بن أبي الهيجاء، ابن الزراد الحريري "صحيح ابن حبـان" بقـراءة محب الدين عبد ا بن أحمد بن المحب المقدسي الصالحي في سنة اثنين وعشرين وسبعمائة مع أخيها محمد، توفيت بعد سنة 780هـ/1378م[4].

10- خديجة بنت عبد الحميد بن غشم بن محمد المرداوي المقدسي، سبط الشيخ شـمس الـدين محمد بن الكمال عبد الرحيم المقدسي الحنبلي أم يوسف، سمعت على شيخ الإسلام عبد الرحمن

---

(1) الفاسي، ذيل ، ج2 ، ص358.

(2) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج2،ص67.الفاسي، ذيل ، ج2 ، ص359.

(3) السخاوي، الضوء اللامع، ج 12، ص24 .الفاسي، ذيل ، ج2 ، ص363.

(4) الفاسي، ذيل ، ج2 ، ص36.

بن أبي عمر والفقيه علي بن أحمد ابن البخاري "جامع الترمذي" وحديث بمجلس منه وهو من مناقب عبد ا بن عباس ، ماتت في رابع عشر جمادى الأولى سنة 734هـ/1332م[1].

11- خديجة بنت إبراهيم بن الشهاب محمود بن سلمان بن فهد الحلبي، سمعت على الحجار وروت الحديث وحفظت "صحيح البخاري"، توفيت في سنة 760هـ/1358م[2].

12- خديجة بنت أحمد بن عبد الدائم بن نعمة، ولدت سنة 598هـ/1201م ، أجاز لها العديد من العلماء ، كانت امرأة صالحة متدينة ، توفيت سنة 685هـ/1286م[3].

خديجة بنت عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الملك بن عثمان المقدسية ، توفيت سنة 707هـ/1307م[4].

13- خديجة بنت عبد الرحمن بن محمد المقدسية ، ولدت سنة 617هـ/1220م ، روت عن القزويني وجماعة ، كانت عابدة صالحة ، وتوفيت سنة 701هـ/1301م[5].

14- خديجة بنت محمد بن سعد بن عبد ا بن سعد المقدسية ، توفيت سنة 701هـ/1301م[6].

15- خديجة بنت نصر ا بن محمد بن عياش بن حامد بن خليف الصالحية أم إسماعيل وكانت تعرف بالداية، حضرت على أحمد بن عبد الدائم في الرابعة قطعة جيدة من "صحيح مسلم"، توفيت سنة 725هـ[7].

16- زاهدة بنت إبراهيم بن الشهاب محمود بن سلمان بن فهد الحلبي، سمعت على الحجار وشرحت "صحيح البخاري"[8].

---

(1) الفاسي، ذيل ، ج2 ، ص363-364. السخاوي، الضوء اللامع، ج 12، ص15.

(2) الفاسي، ذيل، ، ج2 ، ص363.

(3) الذهبي ، معجم ، ج1 ، ص225.دعبول، تراجم النساء،ص54.

(4)الذهبي ، معجم ، ج1 ، ص228.

(5) الذهبي ، سير ، ج17 ، ص121-122. ابن العماد ، شذرات ، ج6 ، ص135.

(6) الذهبي ، معجم ، ج1 ، ص232.

(7) المصدر نفسه ، ج1 ، ص233. الفاسي، ذيل، ج2 ، ص365.

(8) ابن حجر، الدرر الكامنة، ج2، ص112.

17- زينب بنت أحمد بن عمر بن أبي بكر بن شكر المقدسية ، ولدت سنة 645هـ ـ/1247م ، سمعت من جعفر الهمداني وجماعة ، حدثت بدمشق ومصر والمدينة وبيت المقـدس ، ورحـل إليها الطلبة ، كانت عابدة خيرة ، توفيت سنة 722هـ /1322م.

18- دنيا بنت محمد بن عبد الهادي بن عبد الحميد بن عبد الهادي المقدسية(1).

19- زينب بنت أحمد بن عبد الرحيم بن عبـد الواحـد المقدسـية الصـالحية، ولـدت سـنة 646هـ /1244م، سمعت على أحمد بن عبد الدائم المقدسي من كتاب الأسماء والصـفات فـي "صحيح مسلم" إلى آخر الصحيح. وروت عن شيوخها بالإجازة كثيرا مـن الكتـب والأجـزاء العالية، سمع عليها خلق كثيرون من الحفاظ والأعيان، توفيت في تاسع عشر جمادى الأولى سنة 740هـ /1338م بصالحية دمشق(2).

20- زينب بنت أحمد بن كامل بن عمر بن عثمان الصالحية، سمعت على عمر بـن محمـد ، توفيت سنة 1285/687م بصالحية دمشق.

21- زينب بنت خليل بن كيكلدي المقدسية، سمعت على أبي العباس الحجار "صحيح البخاري" وحدثت عنه بالمائة المنتقاة من "صحيح البخاري" انتقاء ابن تيمية بقراءة الشـيخ صـدر الـدين الياسوفي، توفيت سنة 795هـ /1393م بالقدس(3).

22- زينب بنت عبد الرحمن بن عبد الواحد بن عبد الرحمن بن عبد الواحد بن هلال الدمشقي الأزدية، ولدت حوالي سنة 650هـ /1248م، سمعت من يحيى بن الحنبلـي جـزء ابـن زيـد الصغير والرحلة للخطيب، وحدثت سمع منها البرزالي (4).

23- زينب بنت عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن قدامة المقدسية الصالحية بنت قاضي القضاة شمس الدين أبي الفرج ابن الشيخ أبي عمر، سمعت على أحمد بن عبد الدائم قطعة من "صـحيح

---

(1) الفاسي، ذيل، ج2 ، ص365.

(2) الذهبي، معجم، ج1، ص248. ابن حجر، الدرر الكامنة، ج2، ص117..

(3) الفاسي، ذيل، ج2 ، ص368. ابن العماد، شذرات ، ج6 ، ص344.

(4) الفاسي، ذيل، ج2 ، ص369. كحالة، أعلام النساء، ج2، 138.

مسلم"، وسمعت على والدها والفخر ابن البخاري، وأجاز لها ابن المهير وإسـماعيل بـن أبـي اليسر، تفرد بإجازتها شرف الدين ابن الكويك، توفيت في سنة 739هـ/1337م[1].

24- زينب بنت الرضي عبد الرحمن بن محمد بن عبد الجبار المقدسية، سـمعت علـى ابـن المبارك الزبيدي "صحيح البخاري" [2].

25- زينب بنت عثمان بن محمد بن الشمس لؤلؤ الحلبية الأصل الدمشقية، سمعت على الحجار حضورا جميع "صحيح البخاري" و"جزء أبي الجهم"، أجازت للقاضي شهاب الدين أحمـد بـن حجر، توفيت سنة 800هـ/1400م[3].

26- زينب بنت عمر بن عباس بن عجرمة النجاب التلي، سمعت على أحمد بـن عبـد الـدائم "صحيح مسلم"، وحضرت في الرابعة على خطيب مردا سنة ثلاث وخمسين وستمائة وسـمعت من أربعين الآجري وغير ذلك، توفيت سنة 728هـ/1326م[4].

27- زينب بنت عمر بن كندي البعلبكية، روت بالإجازة عن المؤيد بن محمد الطوسي "صحيح مسلم" وعن أبي روح، توفيت سنة 699هـ/1297م[5].

28- زينب بنت محمد بن أحمد بن عبيد ا المقدسي الصالحي، سمعت على أحمد بن عبد الدائم "صحيح مسلم"[6].

29- زينب بنت محمد بن أحمد بن عبد ا بن أبي عمر بنت شمس الدين، سمعت على الكمـال عبد الرحيم بن عبد الملك والشيخ شمس الدين ابن أبي عمر والفخر علي بن البخاري الشـمائل

---

(1) الذهبي، معجم، ج1، ص252. دعبول، تراجم النساء،ص55.

(2) الفاسي، ذيل، ج2 ، ص370.

(3) المصدر نفسه، ج2 ، ص370. ابن حجر، إنباء، ج3 ، ص404..

(4) الذهبي، معجم، ج1، ص254. الفاسي، ذيل، ج2 ، ص370. ابن حجر، الدرر، ج2 ، ص121.

(5) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج8، ص193. الذهبي، معجم، ج1، ص254. تذكرة، ج4، ص1488.

(6) الفاسي، ذيل، ج2 ، ص371. دعبول، تراجم النساء،ص53.

للترمذي، وحدثت بها في رجب سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة بصالحية دمشق بالجامع المظفري، وأجاز لها ابن عبد الدائم والكرماني، توفيت سنة 746هـ/1345م[1].

30- زينب بنت مكي بن علي بن كامل الحراني، سمعت على حنبل بن عبد ا الرصافي مسند الإمام أحمد بن حنبل وعلى عمر بن طبرزد "جامع الترمذي" وسنن أبي داود والزهد لابن المبارك ومغازي الواقدي وكتاب النسب للزبير بن بكار ، وتوفيت في شوال سنة 688هـ/1286م بصالحية دمشق[2].

31- سارة بنت عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الملك المقدسية ، أم محمد ، سمعت من إبراهيم بن خليل وأخذ عنها البرزالي وغيره ، توفيت سنة 716هـ/1316م[3].

32- سارة بنت العز عمر بن أحمد بن عمر بن سعد المقدسية الصالحية، ولدت سنة 655هـ، سمعت على أحمد بن عبد الدائم "صحيح مسلم"، وحضرت عليه في الخامسة جزء الشيخ وسمعت منه جزء بكر بن بكار، سمع منها البرزالي.توفيت في تاسع عشر جمادى الأولى سنة 734هـ/1332م[4].

33- سارة بنت علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام الأنصاري بنت الشيخ تقي الدين السبكي، أسمعت وهي صغيرة من زينب بنت الكمال والجزري وأبيها، وأجاز لها المزي والذهبي وعبد القادر بن القرشية وأبو بكر ابن الصباح وصالح بن مختار والحسن بن السديد وأبو حيان وابن القماح وغيرهم، وسمع منها ابن حجر، وأجازت لشيخنا أبي الفتح بن أبي بكر بن الحسين المراغي، توفيت في ذي الحجة سنة 805هـ/1405م[5].

34- سارة بنت محمد بن أبي الفضل إسماعيل بن علي الجنزوي أم عبد الرحيم الدمشقية. روت عن جدها. وروي عنها [6].

---

(1) ابن حجر، الدرر ، ج2 ، ص122.

(2) الذهبي ، تاريخ ، ج51 ، ص327. الصفدي، الوافي، ج 15، ص42.

(3) ابن حجر، الدرر ، ج2 ، ص122-123.

(4) الفاسي، ذيل، ج2 ، ص372. كحالة، أعلام، ج2، 138.

(5) المصدر نفسه ، ج2 ، ص373. ابن حجر، إنباء، ج5 ، ص102.

(6) الذهبي ، تاريخ ، ج48 ، ص95.

35- ست الأهل بنت الناصح علوان بن سعيد بن علوان بن كامل الحنبلية البعلبكية، تفردت عن البهاء عبد الرحمن بن إبراهيم المقدسي بكتاب الزهد للإمام أحمد في أربع مجلدات، وسمعت منه غير ذلك، وحدثت أخذ عنها البرزالي والمزي وابنه والشهاب ابن مظفـر والمحـب المقدسـي والأمين الواني والقاضي فخر الدين المصري شمس الدين القبابي، تفرد بالرواية عنها بالسـماع التاج أحمد بن محمد بن عبد ا بن محبوب المؤرخ، وماتت في تاسـع عشـر المحـرم سـنة 703هـ/1303م[1].

36- ست العرب بنت عبد الحافظ بن عبد المنعم بن غازي بن عمر الكوري المقدسي، ولـدت سنة 669هـ، سمعت على قاضي القضاة شمس الدين عبد الرحمن بن أبي عمر المقدسي "جامع الترمذي" ومشيخته تخريج سعد الدين الحارثي، وحدثت بمجالس من "جامع الترمذي" وهـو مـن مناقب عبد ا بن عباس ، توفيت في رجب سنة 731هـ/1330م[2].

37- ست العرب بنت السيف علي بن عبد ا بن الرضي عبد الرحمن بن محمد بن عبد الجبار المقدسية. حضرت على أحمد بن عبد الدائم "صحيح مسلم" ، توفيـت سـنة 734هـ ـ/1332م بالصالحية في ربيع الأول[3].

38- ست العرب بنت محمد بن الفخر على بن أحمد بن عبد الواحد، سمعت وهي حاضرة على جدها الفخر على جميع السنن الكبرى للبيهقي. وحدثت كثيرا سمع منها أهل بلدها والراحلـون ، ومن مسموعه عليها من كتاب الإيلاء في السنن الكبير للبيهقي إلى آخر السنن، وتوفيت في سنة 767هـ/1365م بصالحية دمشق[4].

39- ست الفقهاء بنت إبراهيم بن علي بن أحمد بن فضل أم محمد وتدعى أمة الـرحمن بنـت الشيخ القدوة تقي الدين الواسطي، توفيت في شهر ربيع الآخر سنة 726هـ/1324م بصـالحية دمشق[5].

---

(1) الذهبي، معجم، ج1، ص283. الصفدي، الوافي، ج 15، ص116.

(2) الفاسي، ذيل، ج2 ، ص374.

(3) الصفدي، الوافي، ج 15، ص119.. ابن حجر، الدرر ، ج2 ، ص126.

(4) الفاسي، ذيل، ج2 ، ص374. ابن حجر، الدرر ، ج2 ، ص123.

(5) ابن حجر، الدرر ، ج2 ، ص127.ابن العماد، شذرات، ج6 ، ص71.

40- شامية بنت الحسن بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن عمروك أمـة الحـق بنـت الحافظ صدر الدين البكري، سمعت على عمر بن طبرزد ، وعلى أبي علي حنبل بن عبـد ا البغدادي، توفيت في رمضان سنة 685هـ/1286 في الشام[1].

41- شمس الملوك ابنة الناصر محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن يعقوب بن الملك العادل أبـي بكر بن أيوب، سمعت من محمد بن محمد بن إسماعيل بن الخباز وعمته نفيسة بنـت إبـراهيم السـراج الكاتب، وسمعت على عائشة بنت محمد بن المسلم الفقيهة الشافعية، و أجازت للقاضي شـهاب الدين ابن حجر وللشيخ أبي الفتح بن أبي بكر ابن الحسين العثمـاني المراغـي، توفيـت سـنة 803هـ،1403م[2].

42- صفية بنت أحمد بن أحمد بن عبد ا بن أحمد بن أبي عمر أم محمد المقدسية الصـالحية، سمعت على أحمد بن عبد الدائم "صحيح مسلم"، ومن عمر الكرماني المنتقـى مـن الأربعـين للشحام، سمع منها الحافظان، توفيت سنة 741هـ/1342م[3].

43- صفية بنت عبد الرحمن بن عمرو بـن موسـى المرداويـة الصـالحية، ولـدت سـنة 612هـ/1215م ، حدثت عن الإمام موفق الدين عبد ا بن أحمد بن قدامه المقدسي ، وحـدث عنها محيي الدين البعلبكي الحنبلي ، توفيت سنة 699هـ/1299م ، ودفنـت بسـفح قاسـيون بدمشق[4].

44- عائشة بنت محمد بن أحمد بن عمر بن سلمان النابلسـي الصـالحية أم عبـد ا أخـت شيخنا عمر. سمعت مع أخويها عمر ومحمد على أبي الحسن علي بن أبي بكر بن يوسف بـن خضر الحراني كتاب "صفة الجنة" لأبي نعيم الأصـبهاني ، توفيـت سـنة 803هـ ـ/1403م بصالحية دمشق [5].

45- عائشة بنت محمد بن عبد الهادي بن عبد الحميد بن عبد الهـادي المقدسـية الصـالحية، سمعت على أحمد بن أبي طالب الحجار في أوائل الرابعة "صحيح البخاري" وكتاب ذم الكـلام

---

(1) الفاسي، ذيل، ج2 ، ص377.

(2) ابن حجر، الدرر ، ج2 ، ص143. الفاسي، ذيل، ج2 ، ص377.

(3) الذهبي، معجم، ج1، ص307. كحالة، أعلام النساء، ج3، ص190 .

(4) ابن حجر، الدرر ، ج2 ، ص207.

(5) الفاسي، ذيل، ج2 ، ص380. السخاوي، الضوء، ج12، ص79.

للهروي سماعا نسخة إسماعيل بن جعفر و"جزء أبي الجهم" ، وأجازت الشيخ أبي الفتح بن أبي بكر بن الحسين المراغي، توفيت رابع جمادى الأولى سنة 816هـ،1417م[1].

46- عائشة بنت المسلم بن مالك بن مزروع الصالحية، سمعت على أحمد بن عبد الدائم قطعة من "صحيح مسلم" ومن ابن أبي عمر، وحدثت كتب عنها البرزالي، توفيت رابع عشر رمضان سنة 717هـ/1318م[2].

47- عائشة بنت محمود بن محمد بن أحمد البارقي الحلبي، سمعت على التقي إسماعيل بن أبي اليسر الشمائل للترمذي وهي حاضرة وحدثت بها في رجب سنة 733هـ/1334م ومن ابن البخاري مشيخته تخريج ابن الظاهري ومن يعقوب بن المعتمد منتقى من مسند العشرة من مسند الإمام أحمد، توفيت سنة 740هـ/1341م[3].

48- عائشة بنت عيسى بن أبي بكر بن عيسى بن قواليج الدمشقية، سمعت على الحجار مسند عبد بن حميد خلا فوت الحجار، وعلى أبي نصر محمد بن محمد بن محمد بن الشيرازي مشيخته تخريج علم الدين البرزالي، وحدثت بقراءة شيخنا نجم الدين المرجاني المكي، وأجازت لي باستدعائه مروياتها، توفيت سنة 793هـ/1395م[4].

49- فاطمة بنت أحمد بن يوسف بن أيوب بن شاذي ابن مروان الأيوبي، سمعت على عمر بن طبرزد وحنبل بن الفرج المكثر وست الكتبة، وتوفيت سنة 678هـ، بحلب[5].

50- فاطمة بنت إبراهيم بن داود الكردي، سمعت على الفخر علي بن البخاري في مشيخته بزاويته، روت وحدثت كثير من الأحاديث، وتوفيت ثاني عشر رمضان سنة 758هـ بدمشق[6].

---

(1) السخاوي، الضوء، ج12، ص81. ابن العماد، شذرات ، ج7 ، ص120

(2) الفاسي، ذيل، ج2 ، ص381. كحالة، أعلام النساء، ج3، ص190.

(3) الفاسي، ذيل، ج2 ، ص382.

(4) ابن العماد، شذرات، ج6، ص328.

(5) الفاسي، ذيل، ج2 ، ص384.ابن العماد، شذرات، ج5، ص362.

(6) ابن حجر، الدرر، ج3، ص220.

51- فاطمة بنت عبد الرحمن بن عمرو بن موسى المرداوية ، ولدت سنة 626هـ/1228م ، سمعت من ابن الزبيدي، كانت فقيرة قانعة ، توفيت سنة 717هـ/1317م[1].

52- فاطمة بنت عبد ا بن عمر بن عوض بن راجح المقدسي، سمعت على أحمد بن عبد الدائم "صحيح مسلم"، وحضرت على خطيب مردا وسمعت من ابن خليل، توفيت سابع عشر محرم سنة 729هـ/1331م[2].

وهكذا، نالت المرأة قسطاً كبيرا من العلم وشاركت في الحياة العلمية، وساهمت بدور فاعل لا يقل أهمية عما قام به الكثير من العلماء والفقهاء في مجال علم الحديث.

وهذا يقودنا إلى الاستدلال على الالتزام الديني لدى النساء الشاميات في العهد المملوكي، ويؤكد لنا على أن الحياة الدينية في بلاد الشام زمن المماليك، كانت تسير في الطريق الصحيح، حيث الاهتمام الكبير والعناية الفائقة بالعلوم الدينية وخاصة علم الحديث عند الرجال والنساء على حد سواء؛ لذلك فقد تعمد الباحث التركيز على المحدثات أكثر من المحدثين لنؤكد ما ذهبنا إليه، ومن ناحية أخرى فإن الكثير من الدراسات ركزت على المحدثين من الرجال وأغفلت ذكر المحدثات، وحتى لا نطيل فإنه يمكن للقاري الرجوع إلى العشرات من كتب التراجم التي ترجمت لآلاف المحدثين في بلاد الشام وغيرها في العصر المملوكي.

ثالثاً:- الفقه:

حظي الفقه الإسلامي بعناية المؤسسة الدينية المملوكية لما له من أهمية خاصة في المجتمع المملوكي المسلم، فالفقه يعد حلاً للكثير من المشكلات الاجتماعية ،ومن خلاله تعرف أحكام وفتاوى الشرع في ما يهم الناس وأمورهم الدينية والدنيوية،وقد خرجت المؤسسات التعليمية الدينية الآلاف من الفقهاء والعلماء،الذين عملوا في إدارة الدولة ودواوينها الحكومية،وعملوا كذلك في سلك القضاء،والحسبة وغيرها من دوائر،وقد شارك فقهاء الشام في مسيرة الفقه في عهد الدولة المملوكية وأسهموا في التأليف،وكتابة الفقه والشروحات،في المذاهب ومسائل الخلاف وعرف الكثير من أولئك الفقهاء والعلماء ذكرتها غالبية كتب العهد المملوكي وسوف أقتصر على ذكر من أشتهر منهم:

---

(1)ابن حجر، الدرر ، ج3، ص224.

(2) الذهبي ، معجم ، ج2 ، ص107. ابن حجر، الدرر، ج3، ص224.

كالشيخ الإمام الخطيب أبو الذكاء عبد المنعم بن يحيى بن إبراهيم النابلسي، ولد بنابلس سنة 603هـ/1206م، برع في الفقه وتفسير القرآن ، اشتغل إماماً ومفتياً وخطيباً للمسجد الأقصى أكثر من أربعين سنة، توفي سنة 687هـ/1288م(1).

والفقيه الإمام العالم الزاهد العابد الفقيه شمس الدين عبد الرحمن بن نوح بن محمد المقدسي، مفتي دمشق، ولد سنة 584هـ/1188م ، تفقه على ابن الصلاح، وولي تدريس الرواحية بدمشق، وكان أحد الفقهاء المشهورين فيها، توفي سنة 654هـ/1255م(2).

وكذلك الإمام العالم الفقيه الشافعي داود بن عمر بن يوسف بن يحيى المقدسي أبو المعالي الشهير، ولد بدمشق سنة 586هـ/1190م ، سمع وحدث عدد من شيوخ عصره، وكان فاضلاً ديناً فصيحاً خطيباً بليغاً ، صادقاً في موعظته لايسمعها أحد إلا يبكي ، ولي خطابة دمشق والتدريس في مدارسها ، وبقي معطاء حتى توفي سنة 656هـ/1257م(3).

ومنهم الشيخ العالم المقرئ الفقيه المحدث عماد الدين بن عبد الحميد بن عبد الهادي بن يوسف المقدسي الجماعيلي الدمشقي الصالحي الحنبلي ، ولد سنة 573هـ/1177م ، سمع من عبد الرحمن بن الخرقي والخشوعي وغيرهما ، وروى وحدث عن عدد من شيوخ عصره توفي سنة 658هـ/1259م(4).

ومن الفقهاء والخطباء الشاميين عز الدين أبو إسحاق إبراهيم بن الإمام العالم أبي محمد عبد ا بن شيخ الإسلام أبي عمر محمد بن أحمد بن محمد بن قدامه المقدسي الجماعيلي الدمشقي الحنبلي، ولد سنة 606هـ/1209م ، سمع من الشيخ موفق الدين وآخرين ، وحدث عنه الدمياطي وابن الخباز وابن الزراد و المشهورين كالشيخ الإمام المفتي العابد خطيب الصالحية بدمشق، كان أماراً بالمعروف ، نهاء عن المنكر ، جواداً سخياً كثير الصدقات ، مجتهداً في طلب العلم ، توفي سنة 666هـ/1267م(5).

---

(1) ابن كثير ، البداية ، ج13 ، ص348. العليمي ، الأنس ، ج2 ، ص226-227..

(2) السبكي ، طبقات ، ج4 ، ص342. النعيمي ، الدارس ، ج1 ، ص99-100.

(3) ابن كثير ، البداية ، ج13 ، ص241. ابن العماد ، شذرات ، ج5 ، ص407.

(4) الذهبي ، سير ، ج16 ، ص540.

(5) ابن العماد ، شذرات ، ج5 ، ص462.

ومن الفقهاء العالم الفقيه المفتي شمس الدين عز الدين أبو إسحاق إبراهيم بـن الإمـام العالم أبي محمد عبد ا بن شيخ الإسلام أبي عمر محمد بن أحمد بـن محمـد بـن الدمشـقي الحنبلي، ولد سنة 627هـ/1229م ، سمع من الشيخ موفق الـدين وآخـرين ، وحـدث عنـه الدمياطي وابن الخباز وابن الزراد ومحمد بن أحمد بن بن أحمد المقدسي الدمشقي، ، روى عنه شيوخ عصره، ودرس في المدرسة البرانية[1] بدمشق، توفي سنة 682هـ/1283م[2].

وخطيب الخطباء الإمام العالم الفقيه ،شرف الدين أبو العباس أحمد بن أحمد بـن أحمـد المقدسي الشافعي خطيب دمشـق وفقيهها ، كان كيّساً متواضعاً وقاد الذهن ، عظيم الـذكاء ، برع في الفقـه والعربيـة وألـف كتابـاً فـي أصـول الفقـه وشـروحهه ، وتـوفي سـنة 694هـ/1294م[3].

ومنهم ابن المحدث إبراهيم بن عبد الرزاق الرسمي المعروف ، أبو إسحاق، الفقيه الحنفي، ولـد بالموصل سنة 642هـ /1244م، وتوفي بدمشق695هـ/1295م، كان سيداً ديناً فقيهاً، له شعر ونثر، وله كتاب "شرح في الفقه" [4].

ومنهم أيضاً الإمام العالم جلال الدين عبد المنعم بن أبي بكر بن أحمد بن عبد الـرحمن بن محمود المصري الفقيه القاضي أبو محمد الشامي الشافعي ، ولي خطابة صـفد ، ثـم ولـي قضاء بيت المقدس ، كان شيخاً وقوراً مهيباً فاضلاً حسن الديانة ، محمود السيرة ، ظل في بيت المقدس إلى أن توفي فيها سنة 695هـ/1295م[5].

ومنهم الإمام العالم شرف الدين الحسن بن عبد ا بن الشيخ أبي عمر بن قدامه ، بـرع في المذهب الحنبلي، وولي القضاء بالشام والتدريس بدار الحديث الأشرفية.

وكذلك محمد بن مصطفى بن زكريا، فخر الدين الدوركي، فقيه حنفى، مولده بهـا سـنة 713 هـ/1313 م، أجاد مع العربية التركية والفارسية وأخذ عنه أبو حيان، وتولى الحسبة في غـزة

---

(1) المدرسة الشامية البرانية: وهي المدرسة التي أنشأتها ست الشام الخاتون أُخت الملك الناصر صلاح الدين المتوفية سنة 616هـ/1219م ، انظر: النعيمي ، الدارس ، ج1 ، ص208.

(2) الذهبي ، سير ، ج17 ، ص177. ابن العماد ، شذرات ، ج6 ، ص38.

(3) اليافعي ، مرآة ، ج4 ، ص225. ابن كثير ، البداية ، ج13 ، ص380.

(4) خليفة، كشف،ج2 ص1631. كحالة، معجم، ج1، ص47.

(5) الذهبي، تاريخ، ص264-265. كحالة ، معجم المؤلفين ، ج6 ، ص193.

، ويعد من علماء النحو حيث صنف "الأغراب في الإعراب"توفي في سنة 713 هـ/1313م.[1]

وإبراهيم بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن سباع الفزاري، أبو إسحاق، برهان الدين ابـن الفركاح، من كبار فقهاء الشافعية، من أهل دمشق ولد سنة 660هـ/1262م، وهو من بيت علم، عرض عليـه قضـاء قضـاة الشـام، فـأبى، منقطعـا للتـدريس والعبـادة، وتـوفي فـي دمشق729هـ/1329م، من كتبه "تعليق على التنبيه" في فقه الشافعية، و "تعليق على مختصـر ابن الحاجب" في أصول الفقه، و "باعث النفوس إلى زيارة القدس المحروس" و"الإعلام بفضائل الشام" و"المنائح لطالب الصيد والذبائح"وكتاب "شيوخه" تشتمل على أسماء 88 شيخا[2].

والأمام العالم هبة ا بن عبد الرحيم بن إبراهيم أبو القاسم، شرف الدين ابن البـارزي الجهني الحموي، القاضي، الحافظ للحديث، يعد من أكابر الفقهاء الشافعية، ومن أهل حماة، ولـد سنة 645هـ/1248م، وولي قضاءها مدة طويلة بلا أجر، وعين مرات لقضاء مصر فاستعفي، وذهب بصره في كبره، ولما مات سنة 738هـ/1338م أغلقت حماة لمشهده. له بضعة وتسعون كتابا في الحديث والفقه، منها " تجريد جامع الأصول في أحاديث الرسول" و " إظهار الفتـاوي من أسرار الحاوي" في فقه الشافعية، مجلدان، و " تيسير الفتاوي في تحرير الحاوي"[3].

ومسعود بن محمد ابن محمد بن سهل الكرماني، أبو محمد، قوام الدين، من أديب، ومن كبار فقهاء الحنفية، تعلم في بلاده ومهر في الفقه والأصول والعربية، ولـد سـنة 1266/664م سكن دمشق ثم القاهرة، وعاد إلى دمشق فتوفي فيها سنة748هـ/1348م، له عدد مـن كتـب الفقه، منها "شرح الكنز" في فقه الحنفية، و"حاشية على المغني للخبازي" في أصول الفقه[4]

وأحمد بن الحسن بن عبد ا ابن قدامة، جمال الإسلام، شرف الدين، ابن قاضي الجبل، يعد شيخ الحنابلة في عصره، أصله من القـدس، ومولـده ووفاتـه فـي دمشـق، ولـد سـنة 693هـ/1294م، طلب إلى مصر فدرس في مدرسة السلطان حسن، وعاد إلى دمشق فولي بها

(1) ابن حجر، الدرر، ج4، ص259..

(2) ابن كثير، البداية، ج14، ص146. ابن حجر، الدرر، ج4،صـ259. الزركلي، الأعلام، ج1، ص45.

(3) ابن حجر، الدرر، ج2، ص158. الزركلي، الأعلام، ج8، ص73. كحالة، معجم، ج13، ص133.

(4) ابن تغري بردي، النجوم، ج10، ص183. الزركلي، الأعلام، ج7، ص220.

القضاء سنة 767هـ/1368م، وتوفي وهو قاض سنة 771 هـ/1370م، له مصنفات، منها "الفائق" في فروع الفقه، و "أصول الفقه"[1].

وإبراهيم بن علي بن أحمد، أبو إسحاق، برهان الدين، المعروف بـابن عبد الحق الواسطي، ويقال له أيضا ابن قاضي الحصن: فقيه حنفي محدث دمشقي، ولد سنة 668هـ/1270م، كان أبوه قاضي الحصن بالشام فعرف به، وهو سبط عبد الحق بن خلف الواسطي، نسب إليه، درس وأفتى في دمشق، وتوفي بها سنة 744هـ/1344م، من كتبه "المنتقى" في فروع الفقه، و "مختصر السنن الكبير للبيهقي" [2].

ومنهم إبراهيم بن علي بن أحمد بن عبد الواحد ابن عبد المنعم الطرسوسي، نجم الدين من فقهاء الحنفية والمؤرخ الشهير، ولد في دمشق سنة 721هـ/1321م ومات فيها سنة 758هـ/1357م ، وولي قضاءها بعد والده وأفتى ودرس، وألف كتبا منها "الإشارات في ضبط المشكلات" و "الإعلام في مصطلح الشهود والحكام" و "الاختلافات الواقعة في المصنفات" و"أنفع الوسائل" يعرف بالفتاوي الطرسوسية، و"ذخيرة الناظر في الأشباه والنظائر"في فقه الحنفية، و "الفوائد المنظومة" فقه، ويسمى "الفوائد البدرية" و"الدرة السنية في شرح الفوائد الفقهية" شرح منظومة له، و "الأنموذج من العلوم لأرباب الفهوم في أربعة وعشرين علما" و "وفيات الأعيان من مذهب أبي حنيفة النعمان" و" تحفة الترك فيما يجب أن يعمل في الملك"[3].

ومحمد بن مفلح بن محمد بن مفرج، أبو عبد ا ، شمس الدين المقدسي الراميني ثم الصالحي أعلم أهل عصره بمذهب الإمام أحمد بن حنبل، ولد سنة 708هـ/1308م ونشأ في بيت المقدس، وتوفى بصالحية دمشق سنة 763هـ/1362م، من تصانيفه في الفقه "كتاب الفروع" ثلاثة مجلدات، و "النكت والفوائد السنية على مشكل المحرر لابن تيمية" و"أصول الفقه" و"الآداب الشرعية الكبرى" [4].

(1) ابن حجر، الدرر، ج1، ص120. ابن العماد، شذرات، ج6، ص219.

(2) ابن حجر، الدرر، ج1، ص46. ابن العماد، شذرات، ج5، ص419. الزركلي، الأعلام، ج1، ص51.

(3) ابن حجر، الدرر، ج1، ص47. الزركلي، الأعلام، ج1، ص51.

(4) النعيمي، الدارس، ج2، ص46. ابن العماد، شذرات، ج6، ص199. الزركلي، الأعلام، ج7، ص107.

و إبراهيم بن محمد المقدسي الشافعي الفقيه الشافعي، له كتاب "التقريب في الفروع" على مذهب الشافعي، توفي سنة 778هـ/1376م[1].

وأحمد بن حمدان بن أحمد بن عبد الواحد، أبو العباس، شهاب الدين الأذرعي: الفقيه الشافعي، ولد بالشام سنة 708هـ/ 1308م، وتفقه بالقاهرة، وولي نيابة القضاء بحلب، وراسل السبكي بالمسائل التي جمعت في مجلد سمي"الحلبيات"، وله"جمع التوسط والفتح، بين الروضة والشرح" ، وشرح المنهاج شرحين أحدهما "غنية المحتاج" ، والثاني "قوت المحتاج" ، وفي كل منهما ما ليس في الآخر، استقر في حلب إلى أن توفي سنة 783هـ/ 1381م[2].

ومحمد بن يوسف بن إلياس، شمس الدين القونوي: فقيه حنفى، تركي الأصل ، ولد سنة 715هـ/ 1315م، قدم إلى دمشق، بأهله وولده، فأقام بدمشق يعمل هو وأولاده في بستان كان فيه سكنه، ويعتاشون منه، وصنف كتبا مفيدة في الفقه، منها "درر البحار"، و"شرح مجمع البحرين"، كما كان له باع في أصول الدين، وأقبل في آخر عمره على الحديث، فانقطع له، وكان عالي المنزلة عند السلاطين والأمراء والقضاة، زاهدا، لا يقبل وظيفة له ولا لأولاده، وعانى الفروسية وآلات القتال، وغزا، وبني برجا على الساحل، توفي سنة788هـ/ 1386م[3].

و إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم، برهان الدين المقدسي النابلسي ابن النقيب: فقيه حنبلي، كان متقنا للفرائض، ينوب في الحكم، ، ونظم "الأجرومية في النحو"، ولقب بأقضى القضاة، توفي سنة 803هـ/1401م[4]. وهو غير ابن النقيب المفسر.

وكذلك إبراهيم بن محمد بن مفلح الراميني الأصل، الدمشقي، أبو إسحاق، برهان الدين: شيخ الفقهاء الحنابلة في عصره، توفي سنة 803هـ/ 1401م، من كتبه "طبقات أصحاب الإمام أحمد" و"كتاب الملائكة" و "شرح المقنع" وتلف أكثر كتبه في فتنة تيمور بدمشق[5].

وأحمد بن عبد ا بن بدر، أبو نعيم، شهاب الدين العامري الغزي ثم الدمشقي: من فقهاء الشافعية، ولد سنة 770هـ/1368م بغزة، ونشأ بها، وتحول إلى دمشق، فولي إفتاء دار العدل

---

(1) ابو شامة، تراجم ،ص233.خليفة، كشف، ص 466.

(2) ابن حجر، الدرر، ج1، ص145. ابن العماد، شذرات، ج6، ص278.

(3) ابن تغري ، النجوم، ج3، ص290. ابن حجر، الدرر، ج2، ص117.

(4) السخاوي، الضوء، ج1، ص356. الشوكاني، البدر، ج1، ص75..

(5) ابن العماد، شذرات، ج7، ص22. خليفة، كشف،2 ص 1097.

والتدريس في عدة أماكن، واشتهر برئاسة الفتوى، ثم جاور بمكة ومات فيها سـنة 822هـ ـ/ 1419م، له في الفقه"شرح الحاوي الصغير" [(1)].

ومحمد بن هبة ا بن عمر بن إبراهيم ابن البارزى: فقيه شافعي من أهل حمـاة، مـن بيت علم كبير، ولد سنة 775هـ/1373م، وتفقه بها، وسمع البخاري بالقدس، وعاش متزهـدا عرضت عليه كتابة سر الشام فما قبل، توفي في سنة 847هـ/ 1443م[(2)].

وإبراهيم بن عمر بن إبراهيم السوبيني الحموي ثم الطرابلسي، برهان الدين: من قضـاة وفقهاء الشافعية، في حماة، ولي القضـاء بمكـة وحلـب وطـرابلس، ومـات بدمشـق سـنة 858هـ/1454م، من كتبه"شرح فرائض المنهاج" ، و"الإبهاج في لغات المنهـاج" ، وشـرحان على "الشامل" و "إقدار الرائض على الفتوى في الفرائض" و"اختصار الاسـتغناء فـي الفـرق والاستثناء[(3)].

وأحمد بن محمد بن طنبل الشغري ثم الحلبي: من فقهاء الشافعية، كان أحد العدول توفي في دمشق سنة 881هـ/1476م[(4)].

وعبد الوهاب بن محمد بن يحيى بن احمد الطرابلسي، الشافعي، المعروف بابن زهـرة فقيه، له تذكرة النبيه في شرح التنبيه لأبي إسحاق الشيرازي في فروع الفقه الشافعي ، تـذكرة المحتاج في شرح المنهاج للنووي شرح مختصر التبريزي في فروع الفقه الشافعي، والمختـار في فقه الأبرار، توفي سنة 895هـ/1490م[(5)].

وإبراهيم بن محمد بن سليمان بن عون، أبو إسحاق برهان الـدين الطيبـي الدمشـقي الشاغوري: مفتي الحنفية بدمشق، مولده بهـا سـنة 855هـ ـ/1451م، ووفاتـه بهـا سـنة

---

(1) ابو شامة، تراجم ،ص237. السخاوي، الضوء، ج1، ص17..

(2) ابن حجر، الدرر، ج2، ص117.الزركلي، الأعلام، ج7، ص131.

(3) السخاوي، الضوء، ج1، ص100. كحالة، معجم، ج1، ص70.

(4) ابو شامة، تراجم ،ص235. الزركلي، الأعلام، ج1، ص230.

(5) السخاوي، الضوء، ج2، ص489..

916هـ/1519م، تفقه فيها وبمصر وبيت المقدس، وجمعت فتاويه في كراريس سميت "النفحات الأزهرية في الفتاوي العونية" وله "شرح الأجرومية" في النحو[1].

رابعاً:- التصوف:

لقد عرف ابن خلدون التصوف على أنه أحد العلوم الدينية وقد أصبح علماً مـن العلـوم الشرعية وموضوعاً للدرس إلى جانب كونه ممارسة وسلوك[2].

والتصوف من صفاء النفس ، وتربيتها ومجاهدتها ، حتى ترتقي من المادية والميل إلـى الشهوات إلى السمو بها والارتقاء إلى الروحانيات ، وكان المتصوفة يجاهدون أنفسهم للوصـول إلى تلك المعاني من خلال التعبد الشديد و العكوف على الطاعة، والانقطاع إلـى ا تعـالى ، والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها ، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجـاه ، والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة[3].

وقد شاع التصوف في بلاد الشام وازدهر على يد حجة الإسلام الإمام الغزالي[4].

وذكرنا في الفصل الأول من الرسالة بعض أسباب تشجيع التصوف من قبـل سـلاطين المماليك، وذلك لمحاربة ذيول الفكر الشيعي والعمل على نشر المذاهب السنية الأربعة[5]. وقد وقد برز في بلاد الشام عدد من علماء الصوفية في العهد المملوكي، مثل:

1- الصوفي الزاهد أبو العباس أحمد بن العراقي وكان صالحاً له أحوال وكرامات وكان منقطعاً بجامع دمشق ـالجامع الأموي ـ يجتمع عليه الناس.

---

(1) السخاوي، الضوء، ج1، ص91. ابن العماد، شذرات، ج8، ص73. كحالة، معجم، ج1، ص94.

(2) ابن خلدون، المقدمة، ص467. عبد المهدي ، الحركة ، صـ204. عبد المهدي ، المدارس ، ج1 ، ص110.

(3) ابن خلدون ، المقدمة ، ص467. عطية ، تاريخ التعليم ، ص123.

(4) أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الغزالي، لقبه حجة الإسلام زين الدين الطوسي الفقيه الشافعي، لم يكن في الطائفة الشافعية في آخر عصره ومثله جامع لأ شتات العلوم، والمبرز في المنقول منها والمفهوم ولد سنة ٤٥٠ ه / ١٠٥٨ أنظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٠ ، ص ١١٤ . الذهبي، العبر، ج ٢، ص ٣٨٧ . ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٢ ، ص 351 .

(5) العليمي، الأنس، ج2 ، ص77. عبد المهدي، الحركة ، ص203.

2- وحجة الإسلام الإمام الغزالي نزيل دمشق والقدس ترجم له أبو شامة في كتابه تراجم القرنين السادس والسابع - وترجم له في الصفحة السابقة من البحث - وكان علم حقيقة، وشيخ طريقة ،طويل الباع في مختلف العلوم.

3- محمد بن عبد ا بن عثمان بن جعفر بن الشّيخ القُدوة أبي عبد ا اليونيني الزاهد. كان صاحب كرامات ورياضيات، زاهدا ورعا متواضعا وقد توفي سنة 651هـ[1].

4-والحسن بن أبي عبد ا ابن صدقة بن أبي الفتوح الإمام الزاهد أبو علي الأزدي المقرئ، ولد سنة 590هـ /1191م، عظيماً في زهده وتعبده وتقلله ساعيا في قضاء الحقوق له مهابة وقبول، توفي 669هـ/1270م بدمشق وكان صاحب كرامات وكشف[2]،

5-عثمان بن محمد بن عبد الحميد. التنوخي، البعلبكي، كان رضي ا عنه كبير القدر صاحب أحوال وكرامات وعبادة ومجاهدات، وقد توفي سنة 651هـ/1250[3].

وغيرهم العشرات لايتسع لهم المقام لذكرهم ويعتقد الباحث من خلال إطلاعه على تراجم العلماء في العهد المملوكي، أن أغلب العلماء قد تتلمذ بطريقة أو بأخرى على التصوف في الزوايا وغيرها من مؤسسات.

وتداول أهل الشام كتاب الإمام الغزالي "الإحياء" ،وكتب ابن عطاء ا السكندري،وكتب الإمام دقيق العيد و كتاب "منازل السائرين إلى الحق المبين"[4]، وكتاب"لوامع الأسرار البهية في التصوف "ورقائق من كتب التصوف وأخبار الزهاد مثل "أدب المريدين"[5] وكتاب "عوارف المعارف"[6] ،وكتاب "صفوة التصوف"للقيسراني المقدسي،وكتاب الطرطوشي"الزهد والتصوف"[7].

---

(1) الذهبي، تاريخ ، ج48، ص107.

(2) الذهبي، معرفة القراء، ج2، ص675.

(3) الذهبي، تاريخ، ج48، ص102.ابوشامة،تراجم ،ص232.

(4) خليفة، كشف ،ج1 ص665.

(5) خليفة ، كشف ، ج1ص97.

(6) خليفة ، كشف ،ج1 ص178.

(7) ابن خلدون،المقدمة،ص125.

العلوم المساعدة والخادمة للعلوم الدينية:

أولا: علوم اللغة العربية:

اللغة العربية هي لغة القرآن والسيرة النبوية، وهي الوعاء والقالب المفسر لتلك العلوم، بها تتم الصلاة، وتفهم أوامر ونواهي الشرع، وكتب بها الفقه والتاريخ العربي الإسلامي، لذلك لقيت عناية كبيرة من سلاطين و أمراء وعلماء الدولة المملوكية، فهي لغة التدريس في جميع المؤسسات الدينية التعليمية في بلاد الشام، وقد كان لهذا الاهتمام من قبل المماليك بعلوم اللغة العربية عوامل عدة أهمها [1]:

1. الصلة القوية بين علوم العربية والعلوم الدينية ، فالنحو والصرف والبلاغة هي بمثابة أساس من أهم الأسس التي تقوم عليها العلوم الدينية ، فهي التي تساعد على فهم معاني ومقاصد القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة ، ولذلك لا نجد خلال العصور الإسلامية عالماً بالشريعة إلا ويكون في الوقت نفسه متضلعاً في علوم العربية.

2. اهتمام الملوك والسلاطين باللغة العربية كونها لغة القرآن والعلم ، وتشجيعهم لإقامة المدارس المتخصصة بعلوم اللغة العربية ودعمها ، وتشجيع العلماء للاشتغال بها ، ومنحهم العطايا والمكافآت والجوائز ، ودعوتهم إلى مجالسهم ، والتقرب إليهم وملازمتهم.

3. تقدير الملوك والسلاطين للعلماء البارزين ممن برعوا في العلوم الدينية ومنحهم المناصب الرفيعة في الدولة ، ومن لم يكن متضلعاً في علوم العربية ، لا يمكن له أن يكون بارعاً في العلوم الدينية ، ومن هنا جاء اهتمام العلماء بعلوم اللغة العربية من أجل زيادة علومهم ، ونبوغهم في العلوم الدينية ، وتحقيق المكانة المرموقة لهم.

---

(1) أنظر: عبد المهدي، الحركة، ص143. المدني، الحياة العلمية، ص211.

ومن علوم اللغة العربية النحو والصرف:

وهي من العلوم التي لاغنى عنها في خدمة العلوم الدينية، فلولاها لاختلط الفهم على الفقهاء والقراء وغيرهم، ولأشكل على الناس فهم المراد من تصاريف اللغة وقواعدها[1].

لذلك عد من لم يتقن النحو والصرف من العلماء مشكوكاً في علمه وفهمه، فيستثنى من تولي المناصب، فضلاً عن التدريس والخطابة، ومما يجدر ذكره أن جل سلاطين المماليك وأغلبهم يلحنون في اللغة، ولكنهم دعموها لأنها اللغة الرسمية للدولة المملوكية.

وقد برز في بلاد الشام عدد كبير من العلماء الذين برعوا في علوم اللغة العربية، كان من أشهرهم أبن جبارة أحمد بن الشيخ تقي الدين أبي عبد ا محمد بن عبد الولي المقدسي الحنبلي الفقيه الأصولي النحوي ، ولد في 648هـ/1250م، كان قارئاً ومفسراً ، وهو من علماء النحو وتوفي بالقدس في سنة 728هـ/1329م، [2].

وقاضي القضاة شيخ الإسلام شمس الدين أبو عبد ا محمد بن جمال الدين بن عبد ا بن سعد بن عبد ا بن مصلح بن الديري الحنفي الشيخ الإمام العالم المحقق ، سكن بيت المقدس واشتغل بالعلم، وولي مشيخة المدرسة المنجكية ودرس بالمعظمية الحنفية كان إماماً في الفقه وفروعه، بارعاً في العربية والأصول والحديث، وأفتى ودرس سنين بالقدس[3].

أحمد بن حسين بن حسن بن علي بن أرسلان، أبو العباس، شهاب الدين ، وانتقل في كبره إلى القدس، فتوفي بها، وكان زاهدا متهجدا، وبرع في التفسير والقراآت والفقه والتاريخ، والنحو وألف كتاب "إعراب الألفية"في النحو، وغير ذلك[4].

الإمام العالم خطيب الخطباء شرف الدين أحمد بن أحمد بن أحمد بن نعمة ابن عبد القوي المرداوي المقدسي، ولد سنة 630هـ/1232م ، كان إماماً في النحو واللغة ، أقضى القضاة ، خطيب الشام، ولي دار الحديث النورية ثم ولي خطابة الجامع الأموي، كان متواضعاً كيّساً حسن الأخلاق، وتوفي سنة 699هـ/1299م.

---

(1) أنظر:عطية ، تاريخ التعليم ، ص152.

(2) ابن كثير، البدايةج 14ص 142. ابن حجر، الدرر الكامنةج 1ص259.

(3) ابن تغري ، ، المنهل الصافي، ج4، ص198.

(4) السخاوي، الضوء، ج1، ص181.

وكذلك شمس الدين أحمد بن عبد ا بن الزبير، الإمام ، المجود، ، خطيب حلب، كـان إماماً فاضلاً ماهراً في اللغـة ووجوهها وعللها، كـان ديناً عفيفاً تقياً، تـوفي سـنة 690هـ/1291م[1].

وأحمد بن إبراهيم بن سباع بن ضياء الفزاري البدري النحوي الشـافعي خطيب جـامع دمشق، عني بالحديث والنحو وأكثر عن ابن عبد الدائم والموجودين وتبحر في القـراءة، ولـي مشيخة إقراء الناصرية ومشيخة إقراء التربة العادلية زمانا ثم ولي خطابة جامع جـراح وكـان أحسن أهل زمانه قراءة للحديث لأنه كان فصيحا مفوها عالماً باللغة، توفي بدار الخطابـة سـنة 705هـ/1305[2].

الإمام العالم قاضي القضاة ، شرف الدين حسن بن الشرف عبد ا بن الشيخ أبي عمر بن قدامه المقدسي تفقه وبرع في المذهب الحنبلي ، عمل قاضياً بالشام ، ومدرسـاً بـدار الحـديث الأشرفية بسفح قاسيون بدمشق، الإمام العالم النحوي شمس الدين محمد بن عبد القوي بن بدران بن سعد ا المقدسي المرداوي ، برع في العربية واللغة ، وله تصـانيف، منهـا فـي الفقـه: "القصيدة الطويلة الدالية" ، وكتاب "الفروق"[3].

وكان من أشهر كتب النحو التي كانت تدرس في بلاد الشام:

"ألفية أبن مالك جمال" الدين محمـد بـن عبـد ا بـن مالـك الطـائي تـوفي سـنة 672هـ،"وكتاب الفوائد وتكميل المقاصد" للمؤلف نفسه ،"وشرح الكافية " لجمال الدين ابي عمر عثمان بن ابي بكر المعروف بإبن الحاجب توفي سنة 646هـ/1248م ،"ومغني اللبيب عن كتب الأعاريب " لجمال الدين ابو محمد عبد ا بن يوسف بن هشام الأنصاري توفي سنة 761هـ ـ ،وكتاب "همع الهوامع شرح جمع الجوامع " لجلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكـر السـيوطي توفي سنة 711هـ ، و كتاب "ملحمة الإعراب" للحريري[4] ، ومؤلف "الكتاب" لسيبويه ، وكتاب "إصلاح المنطق" لابن السكيت ، وكتاب "الإيضاح في النحو" لأبي علـي الفارسـي ، وكتـاب

(1) الذهبي، معرفة القراء، ج2، ص705.ابن تغري بردي، المنهل، ج1، ص67.

(2) ابن الوردي، تاريخ، ج2، ص246. ابن كثير، البداية، ج14، ص45. كحالة، معجم، ج1، ص138.

(3) ابن العماد ، شذرات ، ج6 ، ص127-128.

(4) الذهبي، سير، ج14 ، ص400-402. العدواني، المكتبة، ص134.

"المفصل في النحو" للزمخشري [1] كما درس كتاب "الكافية" لابن الحاجـب[2] فـي المدرسـة المعظمية[3].

ثانيا: الأدب:

لقد تميز الأدب العربي بأنه من أهم الفنون في اللغة العربية ، فأبدع الكثير مـن الأدبـاء والكتاب في فنون الأدب المختلفة ،من خطابة وقصة وشعر ومقامة وغيرها من الفنون، والتـي سخرت في خدمة العلوم الدينية ، فتميز العهد المملوكي بالعديد من الأدباء الذين أبدعوا وبرعوا في الحركة الأدبية ، وقاموا بالتدريس والتأليف فكان منهم الشعراء والأدباء والكُتاب والقصاص والخطباء ، وقد شاركوا في ازدهار الحياة الأدبية في بلاد الشام، بعد أن ورثوا مكتبـة خاويـة دمرتها يد الغزاة التتار، لكنهم ورثوا أيضاً عقولاً قادرة على العطاء ،حيـث أصـبحت مصـر والشام مركز ثقافي في ذلك الوقت ،و إستقبل العلماء والأدباء المهجرين أمام الغـزو المغـولي والصليبي حيث بنيت المدارس ودور العلم وأعادوا بناء ثروة معرفية وأدبية شاملة وجديـدة ، و برزت أسماء لامعة في الأدب المملوكي في بلاد الشام ومنهم :

الأديب الشافعي الصوفي الإمام موفق الدين أبو عبد ا محمد بـن علـي بـن المبـارك الأنصاري الرباني نزيل بعلبك وشيخ الإقراء بجامعها وشيخ الخانقاه، سكن بعلبك أربعين سـنة وكان إمام مسجد كبير بها، وكان يجلس للناس ويورد أحاديث من حفظه، وكان جيد المعرفـة بالأدب بديع النظم والنثر عارفا بالقراءات693هـ/1294م[4].

وعـرف الأديـب شـهاب الـدين احمـد بـن عبـد الوهـاب النويري،ولـد سـنة 677هـ/1275م،وتوفي سنة 733هـ/1332م،وله كتاب "نهاية الأرب في فنـون الأدب".ومـن كتب الأدب كتاب مسالك الأبصار للعمري،توفي سنة 749هـ/1348م، وكتاب صبح الأعشـي للقلقشندي توفي سنة 821هـ 1421م، ومن الأدباء الشعراء محمد بن مكى بن محمد القرشـى،

---

(1) الجوزي ، مرآة ، جـ8 ، ص647. بدوي ، الحياة العقلية ، ص198.

(2) ابن الحاجب: الشيخ الإمام العلامة الفقيه النحوي ، أبو عمرو عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس المالكي، ولد سنة 570هـ/1174م ، وتوفي سنة 646هـ/1248م ، انظر: ابن خلكان ، وفيات ، ج3 ، ص248-250.

(3) عبد المهدي ، المدارس ، ج1 ، ص77.

(4) الذهبي، معرفة القراء ، ج2، ص710.

بهاء الدين يقال له ابن الدجاجية أديب، له شعر فيـه رقـة، مـن أهـل دمشـق، ولـد سـنة 591هـ/1195م، ووفاته سنة 657هـ/1258م(1).

ومن العلماء الشاميين الذين برعوا في الوعظ والنظم والنثر ، الواعظ الكبيـر والشـاعر الفصيح عز الدين عبد السلام بن أحمد بن الشيخ غانم بن علـي المقدسـي النابلسـي ، وعـظ بدمشق ، وله العديد من المصنفات منها: "حل الرموز ومفاتيح الكنوز"(2) ، و"كشف الأسرار عن حكم الطيور والأزهار"(3) ، توفي سنة 678هـ/1279م(4).

والأديب محمد بن يعقوب بن على، أبو عبد ا ، مجير الدين ابن تميم الدمشقي شاعر، من أمراء الجند، استوطن حماة، وخدم صاحبها الملك المنصور، وكان من العقلاء الفضلاء الكرماء وشعره في غاية الجودة، توفي سنة 684هـ/1285م(5).

وأحمد بن أبي بكر، الشيخ شهاب الدين أبو جلنك الشاعر المشـهور، صـاحب النـوادر الظريفة، كان فاضلا شاعرا، وله همة وشجاعة، ولما كانت وقعة التتار في سنة سبعمائة نـزل أبو جلنك المذكور من قلعة حلب لقتال التتار، وكان ضخما سمينا، فوقع عن فرسه مـن سـهم أصاب الفرس راجلا، فأسروه وأحضروه بين يدي مقدم التتار، فسأله عن عسـكر المسـلمين، فرفع شأنهم، فغضب مقدم التتار من ذلك وضرب عنقه في سنة 700هـ/1300م، وكـان لـه النظم الرائق، وله ديوان شعر(6).

ومن الشعراء محيي الدين بن عبد الظاهر توفي سنة 692هـ/1290م وكان مـن أشـهر أعلام الكتاب والشعراء في عصره وأحمد بن محمود، الشيخ الإمام الأديب البليغ كمال الدين أبو العباس بن أبي الفتح الشيباني الدمشقي المعروف بابن العطار، ولد سنة 626هـ/1229م، وأجاز لَه بن روزبه، وسمع من ابن المقير، وأبي نصر بن الشيرازي، والسخاوي، وخُرجت لَه مشيخة، وحدث بصحيح البخاري في الكرك بإجازة سنة سبعمائة، وكان إماماً فاضلاً ديناً، بديع الكتابـة

(1) الذهبي، تاريخ، ج48، ص326. الكتبي، فوات، ج4، ص40.الزركلي، الأعلام، ج7، ص108.
(2) خليفة ، كشف ،ج1 ص528.
(3) المصدر نفسه، ج1 ، ص412.
(4) اليافعي، مرآة ، ج4، ص190. ابن العماد ، شذرات ، ج6 ، ص17.
(5) ابن كثير، البداية،ج13، ص360. كحالة، معجم، ج12، ص117.
(6) الكتبي، فوات، ج4، ص54. الصفدي، الوافي، ج6، ص168.

والترسل، جيد النظم والنثر، توفي سنة 702هـ/1303م[1]. والشاعر صفي الدين الحلـي وهـو عبد العزيز بن علي ولد سنة 677هـ من أشهر شعراء القرن الثامن الهجري ووأحمد بن الحسن بن محمد الدمشقي، مجد الدين ابن الخياط: شاعر، له (ديوان) في عدة مجلدات مات في دمشـق سنة 735هـ/ 1335م[2].

والشاعر الحسن بن علي بن الحسن بن علي، الأديب، عز الدين أبو محمد، الشهير بالبناء الحلبي، كان أديباً ماهراً، برع في النظم والنثر، ومدح أعيان حلـب وغيرهـا، وتـوفي سـنة 765هـ/1360م[3].

وإبراهيم بن أحمد بن ناصر الدمشقي، برهان الدين شيخ الأدب في الـبلاد الشـامية فـي عصره، ولد في صفد سنة 777هـ/1376م، وانتقل إلى دمشق، وزار مصر، وعـرض عليـه القضاء في دمشق بإلحاح فأبى، وتوفي بصالحيتها سنة 870هـ/ 1465م، وكان ينعت بقاضـي القضاة، له (ديوان خطب ورسائل) و (ديوان شعر) و (مختصر الصحاح) للجوهري، و (الغيث الهائن في وصف العذار الفاتن)[4].

وكان من أهم كتب الشعر التي درست في بلاد الشام، دواوين الحماسة[5] وأهمها ديوان الحماسة لأبي تمام[6]

ثالثاً: التاريخ والجغرافيا:

درس التاريخ والجغرافيا في الكتاتيب والمساجد وبعض مراكز العلم، كونها أهم المراكز التعليمية التي كانت سائدة في بلاد الشام، وكانت هذه الدروس ضمن موضوعات دراسية تناولت القصص وأيام العرب والسيرة النبوية ، وسيرة الصحابة والتابعين [7].

---

(1) ابن تغري بردي، المنهل، ج1، ص129.

(2) ابن حجر، الدرر، ج1، ص141. الزركلي، الأعلام، ج1، ص111.

(3) ابن حجر، الدرر، ج2، ص124.

(4) السخاوي، الضوء اللامع، ج1، ص26. بدران، منادمة، ص274..

(5) خليفة، كشف ،ج1 ص531-532. عبد المهدي ، المدارس ، ج1 ، ص87.

(6) أبو شامة ، الروضتين ، ج2 ، ص18. المصري ، التعليم في بلاد الشام ، صـ200.

(7) عطية ، تاريخ التعليم ، ص221.

وحظي علم التاريخ والجغرافيا بعناية السلاطين والأمراء، فقد عرف عن الظاهر بيبرس أنه محباً للتاريخ سماعاً له ، وتكمن أهمية التاريخ والجغرافيا بإنها تسجل الأحداث التاريخيـة، من معارك وسير وتراجم، ومواقع للمدن والقرى والبقاع ، فكانت الدولـة المملوكيـة تحتـاج للمؤرخين والجغرافيين لعمليات الإحصاء والتعداد ، لمعرفة الضرائب وتقديرها، ومعرفة مساحة العمران والزراعة، ومعرفة مسالك طرق الحج ،وحدود الدولة[1].

وكان من بين العلماء الشاميين البارزين المشهورين ممن برعوا في **التاريخ**:

المؤرخ الحافظ أبو الفداء ابن كثير الدمشقي صاحب تـاريخ البدايـة والنهايـة ،تـوفي سنة774هـ/1375م، والمؤرخ محمد بن علي بن إبراهيم، أبو عبد ا ، عز الدين ابـن شـداد الأنصاري الحلبي، ولد بحلب سنة 613هـ/1217م وقام برحلة إلى حران ومصر، واسـتوطن الديار المصرية بعد استيلاء التتار على حلب، وتوفي بالقـاهرة سـنة 684هـ ـ/1285م، لـه (الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة)، و(سيرة الملك الظاهر)، و (تاريخ حلب)[2].

ومن المؤرخين إسماعيل أبو الفدا امير حماة من مدن الشام ، ولد ابو الفدا فـي دمشـق سنة 672 هـ/ 1273م و هو من العشيرة الابوبة الكردية الشهيرة ،و كـان معاصـرا للملـك الناصر من دولة المماليك في مصر، و اشتهر أبو الفدا بالسيف و القلم صنف تاريخا لغاية سـنة 729هـ/ 1328م.[3]

والمؤرخ المعروف أبو المحاسن المشهور باسم ابن تغري بردي ولد سنة 812هـ ـ و توفي 874هـ/ 1469م واسم كتابه "النجوم الزاهرة في اخبار ملوك مصر و القاهرة"، وكـذلك جلال الدين السيوطي المتوفى سنة 911 هـ/ 1505م له كتب عديدة جدا منها "تاريخ الخلفـاء" وهو كتاب موجز مفيد، **ومن المؤرخين الذين كتبوا في تاريخ الشام** ابن خلـدون فيلسـوف المؤرخين، وهو ولي الدين ابو زيد عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي النسـب مـن عشيرة رحلت إلى الأندلس، ولد في تونس الغرب سنة 732هـ/ 1332م،والمؤرخ ابن جريـر الطبرستاني الشهير بالطبري له تأريخ الملوك والرسل وهو نفس الكتاب المسمى تـاريخ الأمـم والملوك وله تفسير الطبري المعروف [4] .

---

(1) عبد المهدي ، الحركة ، ص170. عطية ، تاريخ التعليم ، ص221.

(2) ابن كثير ، البداية، ج13، ص 305.

(3) أنظر: فنديك،اكتفاء القنوع،ص435.

(4) فنديك،اكتفاء القنوع ،ص234.

والمؤرخ إبراهيم بن عبد الرحمن بن عبد ا ، شمس الدين القيسـراني، أصـله مـن قيسارية من مدن فلسطين، توفي في دمشق سنة753هـ/1352م، صنف في سيرة الملك الصالح إسماعيل بن محمد بن قلاوون[1] "النور اللائح والدر الصادح في مولانا السلطان الملك الصالح" وله "الدر المصون في اصطفاء المقر الأشرف السيفي قوصون" له ترسل ونظم[2].

والإمام العلامة المحدث المقرئ الفقيه الشافعي المؤرخ ، شهاب الدين أبو القاسـم عبـد الـرحمن بـن إسـماعيل بـن إبـراهيم المقدسـي الدمشقـي ، ولـد بدمشـق سنـة 599هـ/1202م،الشهير بأبي شامة ومن مصنفاته "مختصر تـاريخ دمشـق" ، ولـه كتـاب "الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية" ، وكتاب "الذيل" عليهما ، توفي أبـو شـامة سنة 665هـ/1266م[3].

ومن المؤرخين أبو عبد ا محمد نور الدين بن أبي بكر بن محمد بن عمـر الدمشـقي ،من أشهر المحدثين والرواة في عصره مهر في التاريخ وغيره وسمع من جماعة وكان يحب السنة ويفهمها جيدا، وكان حسن الخلق، توفي في سنة 765هـ/1363م[4].

أحمد بن حجي بن موسى بن أحمد السعدي الحسباني الأصل، الدمشقي، شهاب الدين ابن علاء الدين الشهير بالنعيمي من أهل دمشق، ولد بها سنة 751هـ/1350م، ومات فيهـا سـنة 816هـ/1413م. يلقب بمؤرخ الإسلام، انتهت إليه مشيخة الشيوخ في البلاد الشامية، وصـنف كتبا جليلة، منها (الدارس من أخبار المدارس) ، و (معجم) في أسماء شيوخه، وألف كتابـا فـي التاريخ ابتدأه بحوادث سنة 741هـ وختمه سنة وفاته، ثم أكمله ابن قاضي شـهبة إلـى سـنة 840هـ/1438م[5].

ومن المؤرخين إبراهيم بن علي بن أحمد بن عبد الواحد ابن عبد المنعم الطرسوسـي، نجم الدين من فقهاء الحنفية والمؤرخ الشهير، ولد في دمشق سنة 721هـ/1321م ومات فيهـا

---

(1) إسماعيل بن محمد بن قلاوون، أبو الفداء، علاء الدين، الملقب بالملك الصالح ابن الملك الناصر: من ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام. بويع بالسلطنة بمصر بعد خلع أخيه الناصر أحمد (أول سنة 743 هـ وكانت أمور الدولة مختلة فأصلحها، وحسنت سيرته. توفي عن نحو عشرين عاما سنة 786 هـ/ 1384م ، بالقاهرة. ومدة سلطنته ثلاث سنين وشهر ونصف، انظر: ابن تغري، المنهل، ج1، ص180.

(2) المقريزي، السلوك، ج2، ص186.

(3) ابن العماد ، شذرات ، ج5 ، ص458.

(4) النعيمي، الدارس، ج1، ص49-54. ابن العماد، شذرات، ج6، ص205.

(5) ابن العماد، شذرات الذهب، ج7، ص116. الزركلي، الأعلام، ج1، ص226. كحالة، معجم، ج1، ص188.

سنة 758هـ/1357م ، وولي قضاءها بعد والده وأفتى ودرس، وألف كتبا منها "وفيات الأعيان من مذهب أبي حنيفة النعمان" و" تحفة الترك فيما يجب أن يعمل في الملك"[1].

والمؤرخ الشهير المقريزي صاحب كتاب المواعظ و الاعتبار في ذكر الخطط و الاثار و له ايضاً السلوك في معرفة دول الملوك ،و هو تاريخ السلاطين من دولة المماليك في مصر، والمؤرخ الشهير ابراهيم بن دقماق المتوفى سنة 809هـ/ 1406م له كتاب "الانتصار لواسـطة عقد الامصار"، والمؤرخ ابن اياس وكتابة المسمى" بدائع الزهور في و قائع الـدهور وكتـاب مختصر مروج الزهور" و هو يحتوي على تاريخ مصر مدة دولة المماليك .[2]

ومن كتب **الجغرافيا** المهمة في العصر المملوكي : كتاب "خريـدة العجائـب وفريـدة الغرائب" وبه خريطة عامة لسائر الأرض وهو كتاب جغرافي للمؤرخ والجغرافي زيـن الـدين عمر بن الوردي وتاريخ مدينة حلب الشهباء لابن الشحنة المتوفى سـنة 883 هـ/ 1485م تطرق فيه إلى جغرافية حلب والشام عموماً ، وكذلك تاريخ مدينة حلب لابـن العـديم الحلبـي المتوفى سنة 660هـ1262م وسمى كتابه "الد ر المنتخب في تاريخ حلب" و مـن الجغـرافيين الذين كتبوا عن الشام ومدنها وتضاريسها، الجغرافي الرحالة محمد بن جبير صـاحب الرحلـة الشهيرة برحلة ابن جبير، والرحالة الشهير ابن بطوطـة الإمـام المشـهور ولـد سـنة 703 هـ/1304 م ، توفي 779 هـ/1377 م[3]، وعلي بن محمد بن سعد بن محمد بن علي، أبـو الحسن، علاء الدين الطائي الجبريني مؤرخ وجغرافي، من أهل حلب ، ، مـن كتبـه " الـدر المنتخب في تاريخ حلب" مجلدان، جعله ذيلا لتاريخ ابن العديم،السابق ذكره و " سيرة المؤيـد " رحل إلى دمشق والقاهرة، ودرس وأفتى، وولي قضاء طرابلس ثم قضاء حلب وحمدت سيرته ، وكان عالما في أنواع العلوم[4].

---

(1) ابن حجر، الدرر، ج1، ص47. الزركلي، الأعلام، ج1، ص51.

(2)أنظر: فنديك، إكتفاء القنوع، ص234.

(3) أنظر:فنديك، اكتفاء القنوع،ص236.

(4)الشوكاني، البدر الطالع، ج1، ص476، 477.

وأحمد بن إبراهيم بن محمد بن خليل، الشيخ موفق الدين، أبو ذر مؤرخ، أصله مـن طـرابلس الشام، ومولده 818هـ/ 1415م ووفاته بحلب884هـ/1480م،من كتبه (كنوز الذهب في تاريخ حلب) [1].

وإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، أبو الحسـن برهـان الدين: مؤرخ ولد سنة 809هـ/1406م، سكن دمشق ورحل إلى بيت المقدس والقاهرة، وتـوفي بدمشق885هـ/1480م، له (أخبار الجلاد في فتح الـبلاد) وهـو كتـاب تطـرق فيـه الـى الجغرافيا[2].

وهكذا كان علم التاريخ والجغرافيا من العلوم المهمة التي عني بها العلماء في بلاد الشـام في العهد المملوكي، وكانت سندا للعلوم الدينية مما أسهم مساهمة فاعلة في الحياة الدينية آنذاك، وليس أدل على ذلك من أن غالبية العلماء في التاريخ والجغرافيا كانوا من المحدثين والمقـرئين والفقهاء.

وقد لعبت العلوم الآنفة الذكر بشكل عام دورا مهما في بلورة الفكر الـديني وصـياغته، وتوجيه الحياة العامة في بلاد الشام، وبناء جسر معرفي متكامل عماده التمسك بالـدين ووحـدة العقيدة.

(1) السخاوي، الضوء، ج1، ص198..

(2)ابن العماد، شذرات الذهب، ج7، ص339. الزركلي، الأعلام، ج1، ص65. كحالة، معجم، ج1، ص83.

الخـــاتمة

توصلت هذه الدراسة إلى النتائج التالية:

- أظهر اغلب سلاطين المماليك اهتماماً كبيراً بالأوضاع الدينية ويتضح هذا مـن خـلال إسهاماتهم وجهودهم في دعم النواحي الدينية في الشام .
- أسهم المماليك في نهضة الأوضاع الدينية من خلال بناء المؤسسات الدينية ودعمها .
- دعم المماليك جهود العلماء وجعلوهم في مكانة سامية في الدولة.
- كان أغلب سلاطين المماليك وأمراءهم متمسكون بالدين الإسلامي ويحرصـون علـى الإلتزام الديني وتبين ذلك من خلال عشرات الروايات التاريخية التـي تثبـت تـدينهم والتزامهم.
- خلصت الدراسة الى دورالعلماء الهام في محاربة كل أنواع الفساد في الدولة المملوكيـة من خلال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .
- أسهم العلماء في بناء دولة مملوكية ثابتة وقوية وملتزمة من خـلال تـوليهم الوظـائف المهمة في الدولة .
- شارك العلماء في حركة الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين والمغـول وسـاندوا الدولـة المملوكية في تحرير الشام من براثن الصليبيين والتتار.
- دعم سلاطين المماليك المذاهب السنية الأربعة وحاربوا غيرها من المـذاهب والفـرق الباطنية والتشيع وأهل الإنحراف.
- أثرت المذاهب السنية على مؤسسات التعليم الدينية في الشام في عهد المماليك وظهرت مؤسسات دينية خاصة بكل مذهب.
- تنافست المذاهب السنية الأربعة في كسب أتباع لها ومريدين وأدى هـذا التنـافس الـى ظهور ما يسمى بالخلاف والتعصب المذهبي الذي ترتب عليه نشوء صراعات أثـرت على مؤسسات التعليم والمجتمع.

- خلصت الدراسة الى إبراز دور سلاطين المماليك في بنائهم للمؤسسات الدينية ووقـف الأوقاف الكثيرة عليها لتستمر بأداء دورها التربوي والتعليمي.

- شمل التعليم جميع طبقات المجتمع بغض النظر عن المستوي الاجتماعي.

- تعددت المؤسسات الدينية في العهد المملوكي وشملت المساجد والمدارس ودورالقـرآن والحديث والزوايا والخوانق والترب والمكتبات والكتاتيب وغيرها.

لقيت العلوم الدينية إهتماماً منقطع النظير في عهد الدولة المملوكية وتنوعت مصـادرها وكثـر التأليف والترجمة وجمع العلوم وزخرت المكتبة العربية بمئات الكتب النفيسـة يعـود تأليفهـا للعصر المملوكي.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً:المخطوطات والمصادر العربية

ثانياً: المراجـــــع:

- المراجع العربية.
- المراجع المعربة.

ثالثاً: الموسوعات.

رابعا: الرسائل العلمية.

خامسا: البحوث.

أولاً: المخطوطات:

1-السلطان برقوق مؤسسة دولة المماليك الجراكسة، من خلال مخطوط عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان لبدرالدين العيني(784ـ801هـ ـ/1382ـ ـ1398م)،تحقيـق، شـكري إيمـان عمر،الناشر مكتبة مدبولي،2002م.

ثانياً: المصادر:

1-القرآن الكريم.

ابن الأثير، أبو الحسن علي بـن أبـي الكـرم الشـيباني الجـزري الملقـب بعـز الـدين(ت 630هـ/1232م):

2-"الكامل في التاريخ"، تحقيق أبو الفداء عبد ا القاضي، ط2، دار الكتـب العلميـة، بيـروت 1995م.

الإدريسي، أبو عبد ا محمد بن عبد ا بن إدريس (ت561هـ/1166م):

3-نزهة المشتاق في اختراق الآفاق(اسطوانة مكتبة التاريخ والحضارة الإصدار الثالث).

الأصفهاني عماد الدين بن عبد ا محمد بن محمد الكاتب (ت 597هـ/ 1201م):-

4-"الفتح القسي في الفتح القدسي"، تحقيق محمد محمود صبح، القاهرة، 1965م.

ابن إياس، أبو البركات محمد بن أحمد بن إياس الحنفي(ت930هـ/ 1523م)

5 -بدائع الزهور في وقائع الدهور،حققها وكتب لها المقدمة محمد مصطفى،ط1،نشـر الهيئـة المصريةالعامة للكتاب،القاهرة، سنة1395هـ/1975م

- البزار :عمر بن علي بن موسى أبو حفص:

6 - (الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية)، ط3 المكتب الإسلامي - بيروت ت: زهير الشاويش.
ابن بطوطة، محمد بن عبد ا بن محمد اللواتي(ت779هـ/1377م):

7- "الرحلة المسماه تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار"، تحقيق علي المنتصر الكتاني، ط4، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1984م.

- البيهقي،الحسين بن أحمد بكر ابوالحافظ:

8-السنن الكبرى، 10اجزاء،دار المعرفة،بيروت،1992.

الترمذي، محمد بن عيسى(ت279هـ /892م):

9- "الجامع الصحيح أو سنن الترمذي"، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحـديث، القـاهرة، ب.ت.

-الجزري ،حسام الدين :

10-غاية النهاية في طبقات القراء، من إصدارات المكتبة الشاملة الإصدار الثاني.

ابن تغري بردي، جمال الدين أبي المحاسن يوسف الأتابكي(ت 874هـ - 1469م):

11- "النجوم الزاهـرة فـي ملـوك مصـر والقـاهرة"،الناشـر: وزارة الثقافـة ، القـاهرة، د.ت.د.ط.وكتاب اللطافة لنفس المؤلف من كتب التراجم فـي اسـطوانة التـاريخ والحضـارة الإصدار الثالث.

ابن الجوزي،عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي(ت597هـ /1200م)

12- المنتظم18ج،نشر دار صادر،بيروت،ط1،سنة1358هـ

-حاجي خليفة، مصطفى بن عبد ا (ت، ١٠٦٧ ه/ ١٦٥٦ م).

13-كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، جزءان، (بيروت، دار الكتب العلمية،

ابن حجر،الحافظ شـهاب الـدين أبـي الفضـل أحمـد بـن علـي بـن محمـد العسـقلاني (ت852هـ /1448م):

14-الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة6ج،تحقيق محمد عبد المعيد ضان،نشر مجالس دائـرة المعارف،الهند،ط2،سنة1392م/1972م

15-إنباء الغمـر بأبنـاء العمـر،4ج،تحقيـق د.حسـن حبشـي،المجلس الأعلـى للشـئون الإسلامية،الجمهورية العربية المتحدة،القاهرة،سنة1389هـ /1969م.

- الحموي، شهاب الدين أبي عبد ا ياقوت بن عبد ا : (ت626هـ/1228م):

16-"معجم الأدباء" المعروف بإرشاد الأريب إلى معرفة الأديـب، 7 أجـزاء، حققـه وضـبط نصوصه وقدم له: عمر فاروق الطباع، ط1، مؤسسة المعارف، بيروت، 1420هـ/1999م.

- **ابن حوقل**:

17- صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، 1992م.

- **ابن خلدون**، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي(ت 808هـ/1405م):

18- مقدمة ابن خلـدون، ط5،دار الكتـب العلميـة، بيـروت، 1984. تـاريخ1ج،نشـر دار القلم،بيروت،ط5،سنة1984م

- **ابن خلكان**، أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت 681هـ/1282م):

19- وفيات الأعيان وأنباء الزمان،8أجزاء،تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1968م.

- أبو داود، سليمان بن الأشعث (ت 275هـ/888م):

20- "السنن"، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة، 1994م.

-الداوودي،شمس الدين علي بن أحمد،ت 945هـ:

21- طبقات المفسرين، دار الكتب العلمية بيروت.

- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت 748هـ/1347م):

22--"سير أعلام النبلاء"،17جزء، تحقيق محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمروي، ط1، دار الفكر، بيروت، 1418هـ/1997م.

23--"تذكرة الحفاظ"، طبعة 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م."العبر في خبر من غبـر"، 4أجزاء، حققه وضبطه هاجر زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت."

- ابن رجب، عبد الرحمن بن أحمد(ت 795هـ/1392م):

24- "ذيل طبقات الحنابلة"، تحقيق محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمديـة، القهـرة، 195-1953م.

-**الزرنوجي** ، برهان الدين ، (ت 593 ه/ 1196 م) ،

25-"تعليم المتعلم طريق التعلم " ،تحقيق ودراسة محمد عبد القادر أحمد ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، 1406 ه/ 1986 م.

- السبكي، تاج الدين عبد الوهاب(ت771هـ/1369م)

26- معيد النعم ومبيد النقم،1ج،حققه وضبطه وعلق عليه محمد علي النجار وآخرون،الناشـر مكتبة الخانجي بالقاهرة،ط2،سنة 1413هـ/ 1993م.

27- طبقات الشافعية الكبري،10ج،تحقيق محمـود محمـد الطنـاحي وعبـد الفتـاح محمـد الحلو،ط1نشر هجرة للطباعة والنشرد.م سنة1413هـ.

- **السخاوي**، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن، (ت 902هـ/1496م):

28- "الضوء اللامع لأهل القرن التاسع"، القاهرة، 1934-1936م، د.ط، د.ن.

- **السلامي،أبو** المعالي محمد بن رافع(ت774هـ/1372م)

29- الوفيات،2ج،تحقيق صالح مهدي عباس وبشار عواد معروف،ط1،مؤسسة الرسالة،بيروت،1402هـ -

السيوطي، الإمام الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت 911هـ / 1505م):

30- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، جـزءان، تحقيـق، أبـو الفضـل إبـراهيم، (مصر،دار إحياء الكتب العربية، ط1 1979م).

- أبو شامة، شهاب الدين أبي محمد عبد الرحمن بن إسماعيل بـن إبـراهيم، (ت665هـ/ 1266م):

31-"الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية" ط1، تحقيق إبراهيم الزيبـق، مؤسسـة الرسالة، بيروت، 1997م.

- **ابن شاهين** ، الظاهري غرس الدين خليل بن شاهين:

32- زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك،اعتني بتصحيحه بولس روايس،طبع في مدينة باريس بالمطبعة الجمهورية،سنة1894م.

- **ابن شداد الحلبي،** عز الدين أبي عبد ا محمد بن علي بن إبراهيم(ت 684هـ /1258م):

33- "الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة"، تاريخ لبنان والأردن وفلسطين، عني بنشره وتحقيقه ووضع فهارسه سامي الدهان، منشورات المعهد الفرنسي للدراسـات العربيـة، دمشق، 1992م.

- **الشهرزوري،** ابن الصـلاح، تقـي الـدين أبـي عمـرو عثمـان بـن عبـد الـرحمن ، (ت643هـ /1245م):

34- "طبقات الفقهاء الشافعية" جزءان تحقيق محي الـدين علـى نجيـب، ط1، دار البشـائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت،1413هـ / 1992م.

- **الشوكاني،** محمد بن علي (ت 1250هـ /1834م):

35- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، 2 جزء، دار المعرفة ، بيروت.

36- "تراجم رجال القرنيين السادس والسابع المعروف بالـذيل علـى الروضـتين"، ط2، دار الجيل، بيروت، 1394هـ /1974م.-تاريخ دمشق،أجزاء،نقلاً عن الموسوعة الشاملة.

- **الصفدي،** صلاح الدين خليل بن أيبك (ت 764هـ / 1071م):

37- الوافي بالوافيات،عدد ج29،2000تحقيق أحمد الأرناؤوطي وتركـي مصطفي،نشـر دار إحياء التراث ،بيروت،سنة 1420هـ /2000م.

38- أعيان العصر وأعوان النصر،5ج،تحقيق د.عدنان درويش،منشورات وزارة الثقافة،دمشق سنة1995م.

- **ابن طولون،**شمس الدين محمد (ت953 هـ /1546م)

39- مفاكهة الخلان في حوادث الزمان2ق،تحقيق محمد مصطفي،المؤسسة المصـرية العامـة للنشر1962م.

- **ابن العديم،** كمال الدين عمر بن أحمد(809هـ /1456م):

40- بغية الطلب في تاريخ حلب،12ج، تحقيق سيهل زكار،ط1، دار الفكر بيروت،1988م.د.ط
.و-زبدة الحلب من تاريخ حلب، حققه وقدم له سهيل زكار،نشر دار الكتاب
العربي،دمشق،ط1،سنة1418هـ/1998م.

-العليمي ،**مجير** الدين (ت927 هـ/1520)

41-الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل،2ج،تحقيق عدنان يونس عبد المجيد نباتة،نشر مكتبـة دنيس، عمان، د.ط، سنة1420هـ/1999م.

- **ابن العماد،** عبد الحي بن احمد العكري الحنبلي، الدمشقي(ت1889هـ/1775م):

42-شذرات الذهب في أخبار من ذهب،10ج، دار،تحقيق عبـد القـادر الارنـاؤوط ومحمـود الارناؤوط،نشر دار ابن كثير، دمشق،ط1 سنة1985م.

- العمري ،القاضي إبن فضل ا شهاب الدين أحمد:

43- التعريف بالمصطلح الشريف،ط1 تح ، محمد حسين شمس الـدين،دار الكتـب العلميـة، بيروت 1988م.

- العيني، بدرالدين محمود بن أحمد بن موسىت(855هـ/1451م):

44- السلطان برقوق مؤسسة دولة المماليك الجراكسة، من خلال مخطوط عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان (784ـ801هـ/1382ـ1398م)،تحقيق، شكري إيمان عمر،الناشر مكتبة مدبولي،2002م.

-**الغزالي،** أبي حامد محمد بن محمد (ت، ٥٠٥ ه/ ١١١١ م).

45-إحياء علوم الدين، ٥ أجزاء، (بيروت، دار المعرفة).

- **الغزي،** محمد بن محمد، (ت، ١٠٦١ ه/ 1747 م).

46-الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، ٣ مجلدات، تحقيق، جبرائيل سليمان جبور، ٠

بيروت، دار الفكر، ١٣٦٥ ه/ ١٩٤٥.

-الفاسي،حمزة بن المؤيد ،اسم الكتاب:

47-(ذيل التقييد على الطبقات،) من إصدارات المكتبة الشاملة،الإصدار الثالث

ابن فرحون، إبراهيم بن نور الدين المالكي (ت، ٧٩٩ ه/ ١٣٩٦ م).

48-الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق، مأمون الجنـان، (بيـروت، دار الكتب العلمية، ط1.دت.

- أبو الفداء، إسماعيل بن علي بن محمود، (ت 732هـ/1331م):

49-"المختصر في أخبار البشر"، جزءان، علق عليه ووضع حواشيه محمود ديـوب، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1417هـ/1997م

- ابن قاضي شهبه،تقي الدين أحمد(ت851هـ/1448م)

50-طبقات الشافعية،4ج،تحقيق الحافظ عبد العليم خان،ط1،عالم الكتب،بيروت،1407هـ.

- القدسي،ابي حامد محب الدين بن خليل ت888هـ/1483م،:

51-دول الإسلام الشريفة البهية، تحقيق صبحي لبيب، المتحدة للتوزيع،1997م.

- **القرماني،أحمد** بن يوسف(ت1019هـ/1610م)

52-أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ ،مج2،تحقيق أحمد حطيط،وفهمـي سعد،نشـر عـالم الكتب

-القلقشندى، أحمد بن عبد ا (ت 821 هـ / 1418م):

53- صبح الأعشى في صناعة الانشا، تحقيق محمد حسين شمس الدين، 15 جزء، دار الكتـب العلمية، بيروت.شرحه وعلق عليه وقابل نصوصه،نبيل خالد الخطيب ط1 /1407ـ 1987 .

- القنوجي، صديق بن حسن (ت 1307هـ / 1889م):

54- أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، تحقيق عبد الجبار زكـار، دار الكتـب العلمية، بيروت، 1978م.

- **ابن كثير، إسماعيل** بن عمر(ت: 774هـ):

55- البداية والنهاية، ج13-ج14 ،دار الحديث، القاهرة،ط5 1998 .

- الكاتب ابن علي ،العسقلاني،شافع بن علي (730هـ/1329م)

56- الفضل المأثور في سير السلطان الملك المنصور،تحقيق عمر بن عبد السلام تدمري، ط1، المكتبة العصرية،بيروت،1998م.

- **الكتبي، محمد** بن شاكر بن أحمد (ت764هـ/1362م)

57-فوات الوفيات،2ج،تحقيق علي محمد بن يعوض ا وعادل بن عبد الموجـود،دار الكتـب العلمية، بيروت،ط1،سنة2000م.

- **المالكي**، أبو محمد بدر الدين بن علي المرادي ت749هـ:

58- توضيح المسالك، حققه عبد الرحمن سليمان، عدد الأجزاء 13، ط1، دار الفكر العربـي، القاهرة، 2008م .

- **المقريزي، تقي** الدين أبي العباس أحمد بن علي (ت 845هـ / 1441م):

59- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية،3ج تحقيـق محمـد زينهم،ومديحه الشرقاوي،ط1،مكتبة مدبولي،القاهرة،1997م.

60- السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد عبد القادر عطـا، ط1، دار الكتـب العلميـة، بيروت،1997م .

-**المكي**، عبد **الملك** بن حسين بن عبد الملك الشافعي العاصي (ت1111هـ/1699م)

61- سمط النجوم العوالي ج4،تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد عوض،دار الكتـب العلمية د.ط بيروت1419هـ 1998م .

-**الماوردي**، علي بن محمد بن حبيب ت (450 ه / 1058 م):

62- الأحكام السلطانية، تحقيق،محمد فهمي السرجاني، ط 1، المكتبة التوفيقية، مصر، د.ت.

- **المقدسي**:

63- أحسن التقاسيم فـي معرفـة الأقـاليم، وضـع مقدمتـه وهوامشـه وفهارسـه، محمـد مخزوم،(بيروت، دار إحياء التراث، ١٤٠٨ ه/ ١٩٨٧ م).

-ابن ناصر الدين محمد بن أبي بكر بن ناصر الدمشقي الكتاب :

64 -(الرد الوافر)،ت زهير الشاويش، الناشر : المكتب الإسلامي - بيروت1393هـ.

-النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي (ت303هـ/915م) :

65-"سنن النسائي" ، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، د.ط.

- **النعيمي**، عبد القادر بن محمد النعيمي(ت 978هـ/ 1570م):

66- الدارس في تاريخ المدارس، تحقيق إبراهيم شمس الدين، 2 جزء، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1410هـ.

- **النويري**، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، (ت 733هـ/1332م):

67-"نهاية الأرب في فنون الأدب"، 31جزء، مركز تحقيق التراث، القاهرة، 1412هـ/1992م.

ابن الوردي زين الدين عمر ابن المظفر بن أبي الفوارس (749هـ/1348م):

68 -"تتمة المختصر في أخبار البشر"، المعروف بتاريخ ابن الوردي، تحقيـق أحمـد رفعـت البدراوي، ط1، دار المعرفة بيروت، 1970م.

- ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم (ت697هـ/1298م):

69- "مفرج الكروب في أخبار بني أيوب"، ج1-3، تحقيق جمال الدين الشيال، مطبوعات إدارة إحياء التراث القديم، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1953 /1957.

-اليونيني، قطب الدين أبو الفتح موسى بن أحمد، (ت 726هـ/1325م):

70- "ذيل مرآة الزمان"، 4أجزاء، ط2، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، 1413هـ/1992م

71-اليافعي، أبو محمد بن عبد ا بن أسعد بن علي بن سليمان(ت768هـ/1366م)

-مرآة الجنان،4ج،د،ت،نشر دار الكتاب الإسلامي،القاهرة،سنة 1413هـ .

ثالثاً: المراجع:

1- أحمد عبد الرازق أحمد:

البذل والبرطلة زمن سلاطين المماليك (دراسة عن الرشوة)، الهيئة العامة للكتاب، 1979م.

2- أمين ، محمد محمد ، "الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر 648هـ

1517 م" دار النهضة العربية ، القاهرة ، 1401 ه/ 1980 م.

3- ابو زيد ،سهام مصطفى،الحسبةفي مصر الإسلامية،الهيئة المصرية العامة.1986

4- بدران،العلامة عبد القادر(1346هـ/1927):

منادمة الأطلال ،1ج،تحقيق زهير الشاويش،نشر المكتب الإسلامي،بيروت،ط2،سنة1985م.

5- البيومي إسماعيل:

النظم المالية في مصر والشام زمن سلاطين المماليك،د.ط،الهيئة المصرية العامة للكتاب فـرع الصحافة،1998م.

6- البدري ، عبد العزيز :

-الإسلام بين العلماء والحكام،دط ،المكتبة العلمية ، المدينة المنورة، دت.

7- بدوي ، أحمد أحمد ، "الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام " ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة ، د.ت.

8- البيطار، عبد الرحمن:

التعليم في دمشق،دط،دت، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة اليرموك، اربد، الأردن.

9-البغدادي، إسماعيل بن محمد بن سليم البابابي (ت، ١٣٣٩ ه/ ١٩٢٠ م).

هدية العارفين، أسماء المـؤلفين، وآثـار المصنـفين، مـن كشـف الظنـون (بيـروت، دار الكتب،١٩٩٢م)، العلمية، ١٤١٣.

10- التطواني ،ابو أويس محمد بن الأمين : نظرات في تاريخ المذاهب الإسلامية، ورد في الموسوعة الشاملة.

11-جودة ، صادق أحمد داود ، "مدينة الرملة منذ نشأتها حتى عام 492 ه / 1099 م" ، ط 1 مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1406 ه/ 1986 م.

12-الجبرتي:

تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، 3 أجزاء، دار الجيل، بيروت.

13-الحجي،حياة، صور من الحضارة العربية الإسلامية،القاهرة دار الكتب العلمية دط ،دت.

14- حسن ، حسن إبراهيم ، "تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي " ، ط 1 مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1387 ه/ 1967 م.

15- حسن ،علي إبراهيم :

تاريخ المماليك البحرية، مكتبة النهضة المصرية.دط تاريخ الأسلام أجزاء.

16-حطيط:أحمد

قضايا من تاريخ المماليك السياسي والحضاري، الطبعة الأولـى، بيـروت، لبنـان، الفـرات، 2003م.

17-حمادة ، محمد ماهر ، "المكتبات في الإسـلام نشـأتها وتطورهـا ومصـائره ا" ، ط 2 ، مؤسسةالرسالة للطباعة والنشر ، بيروت ، 1398 ه/ 1978 م.

18-الخالدي ، أحمد سامح ، "أهل العلم والحكم في ريف فلسطين" ، ط 1 ، جمعية عمال المطابع التعاونية ، عمان.

19- الخطيب ، إبراهيم ياسين ، "دور التعليم في تحرير بيت المقدس إبـان العصـر الأيـوبي عمان، 1414 ه/ 1993 م.

20-دعبول ، رضوان ، "تراجم أعلام النساء " ، ط 1 ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر

والتوزيع ، بيروت ، 1419 هـ/ 1998 م.

21- الزركلي ، خير ا ، "ترتيب الأعلام على الأعوام " ، جـ زءان ، دار الأرقـم للطباعـة والنشروالتوزيع ، بيروت ، د.ت.

22- سالم سحر السيد عبد العزيز:

دراسات في تاريخ مصر في العصـرين الأيـوبي والمملـوكي، مؤسسـة شـباب الجامعـة، الإسكندرية،2002م.

23- سليم ،محمد:

تاريخ الأدب العربي،الهيئة المصرية العامة للكتاب العربي، دط ، 1987م.

24- سعيد عبد الفتاح عاشور:

المؤسسات المملوكية،في مصروالشام دار النهضة العربية،القاهرة دط ،دت

الأيوبيين والمماليك في مصر والشام دار النهضة العربية،القاهرة طبعة جديد1996م.

العصر المماليكي في مصر والشام دار النهضة العربية،القاهرة طبعة جديد1976م

25- شبارو،عصام محمد:

القضاء في الإسلام دار النهضة العربية، بيروت، 1995م.

26- شلبي محمود:

حياة الظاهر بيبرس،الأسد الضاري،قاهر التتار ومدمر الصليبيين،ط1،نشر دار الجيل،بيروت، سنة1992م

- سيد ،جمال، ابن القيم حياته آثاره وجهاده،ط1، دار العلم للملايين،بيروت.

27- شهاب ، خليل أحمد:الحياة العلميةفي القدس، ط1،دار صادر للنشر والتوزيع،1999م.

28-طوقان ، قدري حافظ ، "العلم مع الحياة" ، ط 2 ، بيروت ، 1408 هـ/ 1987 م.

29-العريني السيد الباز ،

المماليك، دار النهضة العربية، بيروت.الشرق الأدنى في العصور الوسطى،الأيوبيون،د.ط، دار النهضة العربية، بيروت،1967م.

30- -العقل ،ناصر بن عبد الكريم : أثر العلماء في تحقيق رسالة المسجد ط.1

31-عبد العاطي،عبد الغني محمود،التعليم في مصر زمن الأيوبيين والماليك،دار المعارف،دت.

32-عبد الدائم ، عبد ا ، "التربية عبر التاريخ من العصور القديمة حتى أوائل القرن العشرين "،ط 2 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1395 ه/ 1975 م.

34- عز الدين ،محمود ،التاريخ والمنهج في كتاب ابن حجر العسقلاني،ط1،دار صادر للكتاب، بيروت، 1996.

35- عبد الحليم ،حسن، (ابن قيم الجوزيه علمه وجهاده)،ط1،دار الكتب العلمية 1987.

36-العلبي،أكرم حسن ،خطط دمشق،ط1،دار الطباع،دمشق،1989.

37-عبد المهدي ، عبد الجليل حسن :

- "المدارس في بيت المقـدس فـي العصـرين الأيـوبي والممـلوكي " ، جـزءان ، ط 1 ، مكتبةالأقصى ، عمان، 1401 ه/ 1981 م.الناشر : وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، تاريخ النشر : 1418هـ.

38-العارف،عارف:

المفصل في تاريخ القدس،ط2،نشر مكتبة الأندلس في القدس،،1406هـ/1986م.

39- العبادي أحمد مختار:

قيام دولة المماليك الأولى فـي مصـر والشـام، دار النهضـة العربيـة للطباعـة والنشـر، بيروت،سنة1969م.

40- عبد التواب ،نصر ا ،(قايتباي المحمودي) ط1دار الجيل بيروت،1986.

41-بدوي، أحمد أحمد:

"الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام"، دار نهضة مصـر للطبـع والنشر، القاهرة، د.ط، د.ت.

42-العزة،رئيسة عبد الفتاح:

نابلس في العصر المملوكي،ط1،منشورات دار الفاروق،سنة1999م.

43-العسلي،كامل جميل:

مج1،وثائق مقدسية تاريخية،مع مقدمة حول بعض المصادر الأولية لتاريخ القدس،ط1،مطبعـة التوفيق،عمان،1983م.

معاهد العلم في بيت المقدس،نشر بدعم من الجامعة الأردنية.

44-علي، علي السيد:

-"القدس في العصر المملوكي"، القاهرة، 1986م، د.ط، د.ن.

45-علال، خالد كبير، :

- التعصب المذهبي في التاريخ، ط1، دار المحتسب، القاهرة 2008م.

46-العدواني ،محمد علي:(المكتبة)ط1،وزارة التعليم العالي والبحث العلمي،1979م.

47-عطا ،محمود علي خليل :

-نيابة غزة في العهد المملوكي،ط1،دار الأفاق الجديدة،بيروت،1986م.

48-الغامدي ،عبد ا سعيد محمد:

جهاد المماليك ضد المغول والصليبيين(في النصف الثاني من القرن السابع الهجري)،عبارة عن رسالة ماجستير منشورة،معهد البحوث العلمية،مكة المكرمة،1410هـ.

49-غوانمة،يوسف غوانمة:

تاريخ نيابة القدس في العهد المملوكي،ط1،دار الحياة للنشر والتوزيع،الزرقاء،1982م.

50- فوزي،فاروق عمر وحسين محسن محمد:

الوسيط في تاريخ فلسطين،في العصر الإسلامي الوسيط،ط1،دار الشرق للنشـر والتوزيـع،رام ا ،1999م.

51-فرغلي:محمد:

كتاب الحركة التاريخية،دار العلم للملايين،ط1،1996.

52-فهيم، محمود نديم أحمد:

الفن الحربي للجيش المصري في العصر المملوكي البحري (648ـ783هـ/1250ـ1383م)، د.ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1983م.

53-قاسم عبده قاسم

عصر سلاطين المماليك، التاريخ السياسـي والاجتمـاعي،ط1، عـين للدراسـات والبحـوث، القاهرة،1998م.

54-القطان أحمد:شيخ الإسلام ابن تيمية ،دار الإيمان ،ط1،الإسكندرية د.ت.

55-قاسم الشماعي الرفاعي : بعلبك في التاريخ ،بيروت ، المكتب الإسلامي،1984.

56-كرد، علي، محمد:

-"خطط الشام"، بيروت، 1971م. -"الإسلام والحضارة العربية"، دار الكتب المصرية، 1934م، د.ط.

56-كحالة ، عمر رضا ، "معجـم المـؤلفين " ، 15 جـزء ، دار إحيـاء التـراث العربـي للطباعةوالنشر والتوزيع ، بيروت ، د.ت.

57-الكيلاني،ماجد عرسان:

-هكذا ظهر جيل صلاح الدين، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ،دط،1414هـ/1994م.

58-منصور،احمد صبحي:

-العقائد الدينية في مصر المملوكية، دط ، الهيئة المصرية للكتاب،2000م.

59-مؤنس، نور الدين: أطلس الخرائط، دار الكتب العلمية ط2، دت.

60-محمود رزق: عصر سلاطين المماليك ،ط1،دار الجيل،دت.

61- نصار. لطفي احمد نصار: وسائل الترفية في عصر سلاطين المماليك فـي مصـر،ط1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،1999م

خامساً: المراجع الأجنبية المعربة.

1-لابيدوس،**ايرمارفين**:

مدن الشام في العصر المملوكي،ط1،نقله إلي العربية وقدم له،سهيل زكار،دار الإحسان للطباعة والنشر،دمشق،1985م.

2-زيادة،نقولا: (مترجم)دمشق فـي العصـر المملوكي،مؤسسـة فـرنكلين للنشـر،نيويورك وبيروت1966م. والحياة العلمية في بلاد الشّام في أيام المماليك .

3-فنديك، إكتفاء القنوع بما هو مطبوع ، من المكتبة الشاملة الإصدار الثالث.

سادساً: الموسوعات

1-الدباغ، **مراد** مصطفي الدباغ:

موسوعة بلادنا فلسطين،10ج،ط1، دار الهدي، كفر قرع،2000م.

2-زكار،سهيل زكار:

الموسوعة الشاملة في الحروب الصليبية،تأليف وتحقيق وترجمة،50ج،ط1، دار الفكر، دمشـق، 1995_2001م.(كتاب فلسطين).

3-موسوعة التاريخ الإسلامي(العصر المملوكي)،دار اسامة للنشر،الأردن،2003م. :

4- لويس معلوف ، المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق، بيروت ، دت.

سابعاً: الرسائل العلمية:

1-الأغا، **حسام** حلمي يوسف الأغا:

الأوضاع الاجتماعية في فلسطين زمن الحروب الصـليبية (492_690هـ ـ/1099_1291م) رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية، غزة،1428هـ ـ/2007م.

2-حشيش،رياض صالح " الحركة الصوفية في بلاد الشام خلال الحـروب الصـليبية" رسـالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية، بغزة 2005 م.

3-المدني، رشاد عمر المدني:

الحيـ ـاة العلميـ ـة فـ ـي فلسـ ـطين فـ ـي مرحلـ ـة الصـ ـراع الصـ ـليبي الإسلامي"491_690هـ ـ/1098_1291م" رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، الجامعـة الإسلامية، غزة،1426هـ ـ/2005م.

4-المصري ،جهاد، "التعليم في بلاد الشام في العهد الأيوبي"رسالة ماجستير غير منشـورة،كلية الأداب، جامعة آل البيت ،1999،الأردن.

5-الفراني ،عبد الحميد ، "المقاومة الشعبيةللاحتلال الصليبي في الشام" رسالة ماجسـتير غيـر منشورة ،من كلية الآداب بالجامعة الإسلامية ،غزة،مايو 2005م

6-إبراهيم، عبد المجيد إبراهيم:

الحياة الاجتماعية في بلاد الشام العصر الأيوبي، رسالة دكتوراه غير منشورة، معهـد التـاريخ العربي والتراث العلمي،اتحاد المؤرخين، بغداد،2000م.

7-ابو دية،عدنان ،الزوايا الصوفيه في الخليل، رسالة ماجستير غير منشورة.

8-شلوف،نسيم،"الأوضاع الإجتماعية في فلسطين في العهد المملوكي" رسالة ماجسـتير غيـر منشورة ،من كلية الآداب بالجامعة الإسلامية ،غزة2009م

ثامناً: البحوث

1-عدوان،احمد:

دور العلماءفي إصلاح المجتمع زمن الحروب الصليبية ،الجمعية التاريخية ، بحث محكـم مـن الدراسات التاريخية والحضارية ،الإصدار الحادي عشر ،صفر 2001/1422م.

2-حجة،علي : مواقف بطولية للعلماء المسـلمين،بحث محكـم مـن الدراسـات التاريخيـة والحضارية ،الإصدار الثالث عشر،2001/1422م.

3-حسن، عثمان، أماكن دينية أنشئت في العصرين الأيوبي والمملوكي،بحث محكم صحيفة الخليج الإماراتية، http://www.alkhaleej.co.ae/portal/4e6f809c-8d12-4ff7-8bf3-de4431b9b0ee.aspx.

ملاحـــــق البـــحث

ملحق رقم (1)

جدول بأهم المدارس التي أنشئت في العهدين الزنكي والأيوبي وأشهر مدرسيها والتي ظلت تؤدي دورها في العهد المملوكي:

مسلسل	المدرسة	المدينة	العهد	مدرسوها في العهد المملوكي
1-	الأتابكية	دمشق	الزنكي	1-صفي الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الرحيم الأرموي الشافعي (ت715هـ)(1). 2-جمال الدين الزرعي(2). 3-محيي الدين أبو الفداء إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن جهبل، توفي 740هـ(3) 4-ابن جملة(4) 5-شهاب الدين بن المجد(5). 6-صدر الدين ابن قاضي القضاة جلال الدين القزويني(6)، ثم درس درس 8- تقي الدين أبو الحسن علي بن عبد الكافي بن علي السبكي ت756هـ(7). 7- ولي الدين أبو ذر عبد الله بن التقي السبكي(8). 8- زين الدين أبو حفص الملحي(9). 9- بدر الدين أبو عبد الله محمد ابن أبي البقاء، توفي سنة 803هـ(10) 10-فتح الدين محمد بن محمد بن محمد بن محمد الجزري الدمشقي توفي 814هـ(11). 11-شهاب الدين أبو العباس أحمد بن حجي توفي سنة 816هـ(12).

---

(1) النعيمي، الدارس، ج1، ص99.
(2) النعيمي، الدارس، ج1، ص99. ابن العماد، شذرات الذهب 6: 107.
(3)النعيمي، الدارس، ج1، ص99. ابن العماد، شذرات الذهب 6: 104.
(4) ابن كثير، ج14، ص. النعيمي، الدارس، ج1، ص100.
(5)النعيمي، الدارس، ج1، ص100.
(6)ابن كثير، ج14، ص. النعيمي، الدارس، ج1، ص100.
(7)النعيمي، الدارس، ج1، ص100.
(8) المصدر نفسه، ج1، ص101.
(9)النعيمي، الدارس، ج1،، ص101.
(10) المصدر نفسه، ج1، ص101.
(11)المصدر نفسه، ج1، ص102.

				816هـ(1). 12-شمس الدين أبو عبد ا محمد بن محمد الأخنائي الشافعي تـوفي سنة 816هـ(2). 13-كاتب سر نوروز ناصر الدين البصروي. 14- كمال الدين بن ناصر الدين بن البصروي(3) 15- نور الدين بن قوام(4). 16-علاء الدين بن سلام(5). الشهاب أحمد بن علي بن عبد ا الدلجي الشافعي، توفي 838هـ(6). 838هـ(6).
2-	الأسدية	دمشق	الزنكي	1- ركن الدين أبو يحيى زكريا بن يوسف البجلي(7). 2-خليل بن كيكلدي بن عبد ا الدمشقي الشافعي(8) 3-نجم الدين ابن فهد أحمـد ابـن حمـدان الأذرعـي الشـافعي ت 783هـ(9)، اة 4-شرف الدين موسى بن أحمد بن موسى الرمثـاوي الشافعي(10). 5- تاج الدين عبد الوهاب بن عبد الرحيم الشهير بالحباب(11).
3-	الإقبالية	دمشق	الأيوبي	1-ابن سني الدولة أحمد صدر الدين بن يحيى(ت 658هـ)(12). 2-ولده نجم الدين بن سني الدولة. 3-بدر الدين بن خلكان. 4-شمس الدين بن خلكان. 5-محيي الدين النواوي إلى آخر سنة 669هـ. 6-تاج الدين المراغي المعروف بابن الجواب (ت 729هـ)(13).

---

(1)النعيمي، الدارس ، ج1، ص104.
(2)المصدر نفسه، ج1، ص108.
(3)المصدر نفسه، ج1، ص108. شذرات الذهب ج7، ص209.
(4) النعيمي، الدارس، ج1، ص108.
(5)النعيمي، الدارس ج1، ص109. اشذرات الذهب ج7، ص190.
(6) النعيمي، الدارس، ج1، ص109.
(7) ابن كثير، ج14، ص. النعيمي، الدارس، ج1، ص116.
(8) ابن كثير، ج14، ص. ، النعيمي، الدارس، ج1، ص46، 116.
(9) النعيمي، الدارس، ج1، ص43-44، 116.
(10)المصدر نفسه، ج1، ص116.
(11)المصدر نفسه، ج1، ص117.
(12)، النعيمي، الدارس، ج1، ص119.
(13) النعيمي الدارس، ج1، ص120.

				7-شهاب الدين بن المجد عبد ا بن الحسين سنة 700هـ(1). 8-عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن خليفة (ت 778هـ)(2). 9- سنة خمسين وسبعمائة الكمال أبو بكر بن الشريشي(3).
4-	الصلاحية	القدس	الأيوبي	1- محيي الدين أبو حفص عمر بن السعيد عز الدين موسى بن عمر الشافعي ت679هـ/1280م(4). 2-جمال الدين أبـو محمـد عبـد الـرحيم بـن عمـر البـاجريقي ت699هـ/1299م(5). 3-شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محيي الدين يحيى بن إسـماعيل الشافعي ت733هـ(6). 4- علاء الدين أبو الحسن علي بن أيوب بن منصـور المقدسـي ت 748هـ(7). 5- صلاح الدين أبو سعيد خليل بن كيكلدي بـن عبـد ا العلائـي ت761هـ(8). 6- برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم ابن الخطيب زيـن الـدين عبـد الرحيم الكناني ت 790هـ(9). 7-نجم الدين أبو عبد ا محمد بن عبد الرحمن بن جماعة الشـافعي ت795هـ(10). 8-عماد الدين أبو عيسـى أحمـد بـن موسـى الكركـي الشـافعي ت801هـ(11). 9- شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد الجزري الدمشقي الشافعي ت 833هـ(12). 10- زين الدين أبو بكر بن عمر بن عرفات القمني ت 833هـ(1).

(1)النعيمي، الدارس، ج1، ص121.

(2)النعيمي، الدارس، ج1، ص121.

(3)المصدر نفسه، نفس الجزء والصفحة.

4) المصدر نفسه ، جـ2 ، صـ104.

5) العليمي ، الأنس ، جـ2 ، صـ104-105. ابن العماد ، شذرات ، جـ6 ، صـ123.

(6) ابن كثير، البداية، ج14، ص189. العليمي ، الأنس ، جـ2 ، صـ105-106.

(7)ابن كثير، البداية، ج14، ص305. العليمي ، الأنس ، جـ2 ، صـ106.

(8)العليمي ، الأنس ، جـ2 ، صـ106-107.

(9)العليمي ، الأنس ، جـ2 ، صـ107-108.

(10)العليمي ، الأنس ، جـ2 ، صـ108-109.

(11)العليمي ، الأنس ، جـ2 ، صـ109.

(12)العليمي ، الأنس ، جـ2 ، صـ109-110.

				11- شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن علي المقدسـي ابـن الهائم ت 815هـ(2).
5-	الفتحية	دمشق	الأيوبي	
6-	الفلكية	دمشق	الأيوبي	1- برهان الدين أبو الثناء محمود بـن عبـد ا المراغـي ت 681هـ. 2- لاء الدين علي بن زيادة بن عبد الرحمن الحبكي. 3- قي الدين أبو بكر بن ولي الدين عبد ا بن عبـد الـرحمن الشهير بابن قاضي عجلون. 4- برهان الدين إبراهيم بن شمس الدين محمد بن إبـراهيم بـن المعتمد.
7-	القليجية[3]	دمشق	الأيوبي	1-جمال الدين بن عبد الكافي. 2-علاء الدين بن العطار. 3-أبو سليمان داود ابن إبراهيم الدمشقي. 4-شهاب الدين ابن النقيب. 5- شهاب الدين الزهري. 10-ولده جمال الدين ثم نزل عنها لأخيه قاضي القضاة تاج الدين في أول سنة 808هـ.
8-	القوصية	دمشق	الأيوبي	1- شمس الدين محمد بن عيسى ابن محمود البعلبكي المعـروف بابن المجد الشافعي. 2- بهاء الدين بن إمام المشهد. 3- تقي الدين ابن الذرعي. 4- بدر الدين بن قاضي شهبة. 5- محب الدين أبو الفضل محمد بن برهان الدين بـن قاضـي عجلون. 6- كمال الدين ابن السيد عزالدين.
9-	الكلاسة	دمشق	الزنكي	1- أحمد بن محمد بن الخلاطي الصوفي ت سنة 671هـ. 2- بهاء الدين ابن الزكي. 3- محمد بن إبراهيم الصفدي. 4- عز الدين أبو المفاخر محمد بن عبد القادر بن عبد الخالق. 5- ابنه محيي الدين أحمد.

(1)العليمي ، الأنس ، جـ2 ، صـ110.

(2)العليمي ، الأنس ، جـ2 ، صـ110-111.

(3) ذكرت هذه ا درسة ومايليها من مدارس وعلماء من كتاب النعيمي الدار ن ص100ومابعدها.

				6- جمال الدين بن الرهاوي. 7- شمس الدين الصرخدي.
10-	المجاهديـــة الجوانية	دمشق	الزنكي	1-تقي الدين بن قاضي شهبة سنة 826هـ 2-الزيني عبد القادر بن تقي الدين بن قاضي شهبة. 3- قطب الدين الخيضري. 4-برهان الدين بن المعتمد 5-زين الدين الطرابلسي. 6- شمس الدين الكفرسوسي
11-	المسرورية	دمشق	الزنكي	1- جمال الدين يوسف بن علي االجميزي المصـري الدمشـقي ت659هـ. 2- الصدر ركن الدين يونس ت693هـ. 3- جلال الدين أبو عبد ا محمد بن عبـد الـرحمن العجلـي ت739هـ. 4- كمال الدين بن الزملكاني. 5- حسام الدين القرمي. 6- جمال الدين بن الشريشي. 7- جمال الدين بن جملة 8- تاج الدين المذكور وهو محمد بن إبراهيم بن يوسف بن حامد المراكشي. 9- تقي الدين السبكي. 10- تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي.
12-	المجنونية	دمشق	الأيوبي	1- عز الدين أحمد بن محمد بن علي الموصلي. 2- جمال الدين أحمد بن إسماعيل الهكاري. 3- كمال الدين ابن بنت نجم الدين بن سلام.
13-	النجيبية	دمشق	الأيوبي	1- شمس الدين بن خلكان. 2- كمال الدين موسى. 3- الخطيب عزالدين الفاروثي. 4- عبد العزيز بن محمد بـن علـي الطوسـي ثـم الدمشـقي ت706هـ. 5- بهاء الدين يوسف بن كمال الدين أحمد بـن عبـد العزيـز العجمي الحلبي. 6- نجم الدين أحمد بن عبد المحسن بـن حسـن بـن معـالي الدمشقي.
14-	البدرية	دمشق	الأيوبي	1- شمس الدين سبط ابن الجوزي.

				2- زكي الدين زكريا بن عقبة. 3- صفي الدين يحيى بن فرج بن عتاب الحنفي. 4- الرضي شمس الدين محمد بن علي بن هاشم الحنفي
15-	البلخية	دمشق	الزنكي	1- كمال الدين أبو الفضائل عبد اللطيف بن محمد. 2- صدر الدين إبراهيم الهندي.
16-	التاجية	دمشق	الأيوبي	شعبان بن أبي بكر بن عمر الإربلي ت701هـ.
17-	التاشية	دمشق	الزنكي	1- أوحد الدين بن الكعكي 2- تاج الدين بن الأرشد 3- عماد الدين داود البصروي. 4- التقي إبراهيم الرقي. 5- فخر الدين موسى الحنفي 6- شرف الدين الرسعني 7- مجد الدين بن فخر الدين موسى 8- بدر الدين محمد بن يحيى بن محمد بن عبد الرحمن الحنفي ت735هـ.
18-	الخاتونيـــة البرانية	دمشق	البوري	1- فخر الدين موسى ابن هلال بن موسى. 2- جلال الدين أبو محمد عمر بن محمد بـن عمـر الحنفـي الخجندي ت691هـ. 3- شمس الدين بن الحريري ت715هـ. 4- بدر الدين أبو نويرة الحنفي.
19-	الخاتونيـــة الجوانية	دمشق	الأيوبي	1- كمال الدين عبد اللطيف بن عزالدين السنجاري. 2- صدر الدين إبراهيم بن عقبة الحنفي. 3- شمس الدين عبد ا بن محمد بن عطاء الحنفي. 4- مجد الدين عبد الرحمن بن عمر بن أحمد الحنفي. 5-أبو الموفق مسعود بن الموفق شجاع الأموي الحنفي. 6- حسام الدين أبو الفضائل الحسن بن أحمد بن أنو شروان الحنفـي الرومي. 7- جلال الدين أبو المفاخر أحمد بن حسام الدين الحسن بـن أحمـد الحنفي. 8- شهاب الدين بن العز.
20-	الدماغية	دمشق	الأيوبي	1- عماد الدين محمد . 2- مجد الدين أبو محمد عبد الوهاب بن أحمـد بـن سـحنون الحنفي.
21-	الركنية البرانية	دمشق	الأيوبي	1- محيي الدين الأسمر الحنفي .

الرقم	المدرسة	المدينة	العصر	المدرسون
				2- شمس الدين الرقي الأعرج 3- عماد الدين بن محيي الدين الطرسوسي 4- عماد الدين بن الكيال. 5- برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن خضر الحنفي.
22-	الريحانية	دمشق	الزنكي	1- جمال الدين محمد بن كمال الدين بن العديم 2-تاج الدين محمد البجلي 3-شمس الدين عبد ا الحنفي. 4- بدر الدين مظفر بن رضوان بن أبي الفضل الحنفي. 5- محيي الدين محمد بن يعقوب بن إبراهيم بن النحاس. 6- محيي الدين محمد بن يعقوب بن إبراهيم بن النحاس. 7- فخر الدين أبو طالب أحمد بن علي بن أحمد الهمداني الكوفي ثم الدمشقي الحنفي.
23-	الزنجارية	دمشق	الزنكي	1- كمال الدين عبد اللطيف بن السنجاري. 2- تاج الدين عبد الرحمن بن عبد الباقي المعروف بابن النجار. 3- عماد الدين ابن الشماع. 4- فخر الدين بن عثمان المعروف بالزقزوق. 5- شمس الدين سليمان بن إسماعيل المعروف بالملطي. 6- شهاب الدين يوسف بن محيي الدين بن النحاس. 7- شمس الدين محمد الحجيني الحنفي. 8- الحسين بن سليمان بن فزارة القاضي شهاب الدين الكفري. 9- شمس الدين محمد بن محمد بن عبد ا ابن مؤذن الزنجيلية الحنفي.
24-	الشبلية البرانية	دمشق	الأيوبي	1- عزالدين عبد العزيز. 2- بدر الدين ابن القويرة. 3- رشيد الدين سعيد بن علي بن سعيد البصروي. 4- شمس الدين أبو عبد ا محمد بن إبراهيم بن داود بن حازم الذرعي الحنفي. 5-بدر الدين محمد بن إبراهيم بن محمد بن طرخان الأنصاري.

25-	الظاهرية الجوانية	دمشق	الأيوبي	1- الصدر سليمان بن أبي العز بن وهيب بن عطاء أبو الربيع الحنفي. 2- شمس الدين أبو محمد عبد ا بن محمد بن عطاء الأذرعي الحنفي. 3- محيي بن النحاس. 4- ركن الدين عبيد ا بن محمد السمرقندي. 5- محمد بن عثمان بن الحريري الحنفي. 6- شمس الدين بن أبي العز محمد بن أبي العز بن وهيب الأذرعي الحنفي. 7- نجم الدين علي بن داود بن يحيى بن كامل القرشي القحفازي الحنفي. 8- عفيف الدين إسحاق بن يحيى الآمدي الحنفي.
26-	الحنبلية	دمشق	الزنكي	1- زين الدين أبو البركات بن المنجا الدمشقي (ت695هـ/1295م). 2-تقي الدين بن تيمية الحراني ثم الدمشقي(ت728هـ/1327م).
27-	المسمارية	دمشق	الأيوبي	1-فخر الدين عبد الرحمن بن يوسف البعلي الحنبلي(ت688هـ/1289م). 2-ابنه شمس الدين أبو عبد ا (ت699هـ/1299م).
28-	العمرية	دمشق	الزنكي	1-عز الدين عبد الرحمن بن تقي الدين احمد بن محمد المقدسي (ت661هـ/1262م)، و 2- شمس الدين عبد الرحمن بن الشيخ أبي عمر المقدسي(ت682هـ/1283م) ، 3-نجم الدين أحمد بن قدامة(ت689هـ/1288م). 4- أبو الحسن علي بن القاضي شمس الدين المقدسي(ت699هـ/1299م). 5- تقي الدين إبراهيم بن علي الدمشقي الحنبلي(ت692هـ/1292م).

ملحق رقم (2)

جدول بأهم المدارس المذهبية في الشام المصدركتابي الدارس للنعيمي لمدارس دمشق ،والأنس الجليل للعليمي فيما يختصبمدارس فلسطين :

مسلسل	المدرسة	المؤسس	تاريخ التأسيس	المدينة	المذهب
	الكروسية	محمد بن عقيل بن عبد الواحد بن أحمد بن كروس	قبل 641هـ	دمشق	الشافعي
	الطبرية		قبل 657هـ	دمشق	الشافعي
	الظاهرية الجوانية	أحمد بن الحسين العقيقي	676هـ	دمشق	الشافعي
1-	الدوادارية	علم الدين سنجر الداودار	695-696هـ	القدس	الشافعي
2-	الوجيهية	وجيه الدين محمد بن المنجا	حوالي 690هـ	القدس	الحنبلي
3-	السلامية	مجد الدين إسماعيل السلامي	700هـ	القدس	المالكي
4-	الجالقية	ركن الدين بيبرس الجالق	حوالي 700هـ	القدس	الشافعي
5-	الجاولية	علم الدين سنجر الجاولي	715هـ	القدس	الشافعي
	التقطائية	سيف الدين طقطاي الناصري	حوالي 716هـ	دمشق	الشافعي
6-	الكريمية	كريم الدين عبد الكريم بن مكانس	718هـ	القدس	الشافعي والمالكي
7-	التنكزية	سيف الدين تنكز	729هـ	القدس	الشافعي
8-	الأمينية	أمين الدين عبد ا	730هـ	القدس	الشافعي
	القواسية	عزالدين إبراهيم بن عبد الرحمن بن محمد بن القواس	733هـ	دمشق	الشافعي

9-	الملكية	ملك الجوكندار الملكي الناصري	741هـ	القدس	متعددة المذاهب
	الخليلية	سيف الدين بكتمر الخليلي	قبل 746هـ	دمشق	الشافعي
10-	الكيلانية	جمال الدين بهلوان الكيلاني	753هـ	القدس	الشافعي
11-	الخاتونية	أغل خاتون القازانية البغدادية	755هـ	القدس	الحنبلي
12-	الفارسية	فارس البكي	755هـ	القدس	الشافعي
13-	الأرغونية	أرغون	759هـ	القدس	الحنفي
14-	الأسعردية	الخواجا مجد الدين بن عبد الغني الأسعردي	760هـ	القدس	الصوفية
15-	المحدثية	عز الدين الأردبيلي	762هـ	القدس	الشافعي
16-	الحسنية	شاهين الحسني الطواشي	762هـ	القدس	الشافعي
17-	المنجكية	سيف الدين منجك اليوسفي	762هـ	القدس	الشافعي
	الجقمقية	السلطان الظاهر جقمق.	762هـ	دمشق	الحنفي
18-	الطازية	طاز بن قطغاج	763هـ	القدس	الشافعي
19-	البارودية	أبي بكر محمود البارودي	768هـ	القدس	الشافعي
20-	القشتمرية	قشتمر السيفي	قبل 775هـ	القدس	الشافعي
21-	الحنبلية	بيدمر الخوارزمي	781هـ	القدس	الحنبلي

22-	اللؤلؤية	بدر الدين لؤلؤ غازي	781هـ	القدس	الشافعي
23-	البادية	سيف الدين منكلي بغا البادي	782هـ	القدس	الشافعي
24-	الطشتمرية	سيف الدين طشتمر العلائي	784هـ	القدس	الشافعي
25-	الجهاركسية	جهاركس الحنبلي	حوالي 788هـ	القدس	
26-	الموصلية	الخواجا فخر الدين الموصلي	797هـ	القدس	
27-	الطولونية	شهاب الدين أحمد بن محمد الطولوني	قبل سنة 800هـ	القدس	الشافعي
28-	الفنرية	شهاب الدين أحمد بن محمد الطولوني	قبل سنة 800هـ	القدس	الشافعي
29-	الصبيبية	علاء الدين علي بن محمد	قبل سنة 809هـ	القدس	الشافعي
30-	الكاملية	كامل الطرابلس	816هـ	القدس	الشافعي
31-	الباسطية	زين الدين عبد الباسط بن إبراهيم	834هـ	القدس	الشافعي
32-	الغادرية	ناصر الدين محمد بن دلغادر	836هـ	القدس	متعددة المذاهب
33-	الحسنية	حسام الدين الحسن بن محمد الكشكلي	837هـ	القدس	الحنفي
34-	العثمانية	أصفهان شاه خاتون العثمانية	840هـ	القدس	الحنفي
35-	الجوهرية	صفي الدين جوهرالقنقبائي	848هـ	القدس	الشافعي
36-	الأشرفية	السلطان الأشرف قايتباي	872هـ	القدس	الشافعي
	الحاجبية	ناصر الدين محمد بن مبارك النوروزي	قبل 878هـ	دمشق	الحنفي

37-	الزمينية	شمس الدين محمد بن الزمن	881هـ	القدس	الشافعي
38-	المزهرية	زين الدين بن مزهر	885هـ	القدس	متعددة المذاهب
39-	السيبائية	أمير السلاح في مصر المحروسة سيباي		دمشق	الحنفي
40	الزيدية	ابراهيم بن ابراهيم الكيال	655	حلب	الحنبلي
41	الفاتكية	عز الدين ابو الفتح بن فاتك	652	حلب	الشافعي
	مدرسة النقيب	النقيب عز الدين ابو الفتوح المرتضى	654	حلب	الحنفي
42	مدرسة المالكية والح	الأمير سيف الدين بن جندر	665	حلب	المالكي والحنبلي
	الدقاقية	مهذب الدين ابو الحسن بن دقاق	649	حلب	الحنفي
	الخبيصية		814هـ	دمشق	الشافعي
	الشاهينية	جددها الأمير شاهين الشجاعي	قبل 816هـ	دمشق	الشافعي

ملحق رقم(3)

جدول بأهم المدارس في مدينة القدس[1]

اسم المدرسـ ـ ـة	مؤسسهـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـا	سنـ ـ ـة التأسـ ـيس
المدرسة الصلاحية	السلطان صلاح الدين الأيوبي	583هـ/1187م
المدرسة الدوادارية	الأمير علم الدين سنجر بن عبدا بن عبد ربه بن عبدا لباري الدوادار الصالحي	695هـ/1295م
المدرسة الوجيهية	الشيخ الإمام وجيه الدين محمد بن عثمان بن أسعد بن المنجا التنوخي	701هـ/1302م
المدرسة السلامية	الخواجا مجد الدين إسماعيل السلامي	743هـ/1342م
المدرسة الكريمية	الصاحب كريم الدين عبد الكريم بن المعلم	718هـ/1318م
المدرسة التنكرية	الأمير تنكز نائب الشام	729هـ/1328م
المدرسة الأمينية	أمين الدين عبد ا	730هـ/1330م
المدرسة الملكية(الجوكندار)	سيف الدين الحاج الملك الجوكندار	741هـ/1340م
المدرسة الفارسية	الأمير فارس البكي ابن الأمير قطلو ملك ابن عبد ا	755هـ/1354م
المدرسة الخاتونية	الأميرة أغل خاتون بنت شمس الدين محمد بن سيف الدين القازانية البغدادية	755هـ/1354م

(1) نقلاً عن الأوضاع الإجتماعية في فلسطين في العهد المملوكي ص300،رسالة ماجستير ،للباحث نسيم ابو شاوف.

المدرسة الأرغونية	الأمير أرغون الصغير الكاملي وأكملها الأمير ركن الدين بيبرس السيف	759هـ/1358م
المدرسة القشتمرية	الأمير قشتمر السيفي	759هـ/1358م
المدرسة الأسعردية	الخواجا مجد الدين عبد الغني بن سيف الدين أبي بكر	نهاية النصف الأول من القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي
المدرسة المحدثة	المحدث عزا لدين عبد العزيز العجمي الأردبيلي	762هـ/1360م
المدرسة الحسنية	الطواشي شاهين الحسني	762هـ/1361م
المدرسة المنجكية	سيف الدين منجك اليوسفي الناصري	76هـ/ـ1374م
المدرسة الطازية	الأمير سيف الدين طاز بن قطغاج	763هـ/1362م
المدرسة الحنبلية	الأمير بيدمر الخوارزمي	775هـ/1373م
المدرسة البارودية	الأميرة سفري خاتون ابنة شرف الدين أبي بكر بن محمود المشهور بالبارودي	768هـ/1367م
المدرسة اللؤلؤية	الأمير بدر الدين لؤلؤ غازي	غير معروف
المدرسة البلدية	الأمير سيف الدين منكلي بغا الأحمدي	782هـ/1380م
المدرسة الطشتمرية	الأمير سيف الدين طشتمر بن عبد ا العلائي في أواخر حياته	

المدرسة الموصلية	أبي بكر بن علي الشبياني	797هـ/1395م
المدرسة الجهارسكية	الأمير جهاركس(أوجركس) الخليلي(أمير أخور الملك الظاهر برقوق)	قبل 790هـ/1398م
المدرسة الطولونية	شهاب الدين أحمد بن الناصري محمد الطولوني الظاهري	زمن الملك الظاهر برقوق
المدرسة الفنرية	شهاب الدين الطولوني	
المدرسة الصبيبية	الأمير علاء الدين علي بن ناصر الدين محمد	
المدرسة الباسطية	زين الدين عبد الباسط بن خيل الدمشقي	834هـ/1431م
المدرسة الغادرية	مصر خاتون	836هـ/1433م
المدرسة العثمانية	أسفهان خاتون بنت محمود العثمانية	1436هـ
المدرسة الجوهرية	صفي الدين جوهر القنقبائي الخازندار	عهد السلطان الظاهر سيف الدين جقمق
المدرسة الزمنية	التاجر شمس الدين محمد بن عمر بن الزمن الدمشقي	897هـ/1492م
المدرسة الأشرفية	حسن بن ططر الظاهري ناظر الحرمين الشريفين بالقدس	875هـ/1470م
الخانقاة الفحرية	القاضي فحر الدين أبو عبد ا محمد بن فصل ا	732هـ/1332م

الزاوية الوفائية	تاج الدين أبو الوفاء محمد	782هـ/1380م
زاوية المغاربة	الشيخ عمر بن عبد ا بن عبد النبي المغربي المصمودي المجرد	703هـ/1304م
الزاوية البسطامية	الشيخ الإمام علي الصفي البسطامي	760هـ/1359م
رباط علاء الدين البصير	الأمير علاء الدين أيدغدي بن عبد ا الصالحي	666هـ/1268م
الرباط المنصوري	السلطان المنصور قلاوون	681هـ/1282م

ملحق رقم (4)

بعض المؤلفات التي ألفت في العهد المملوكي في شتى العلوم:نقلاً عن كتاب محمود رزقمن ص11 وما بعدها: عصر سلاطين المماليك:

ومن المؤلفات التاريخية:

1- وفيات الأعيان لابن خلكان المتوفى عام 681هـ وبه أكثر من ثمانمائة ترجمة.

2- الطالع السعيد الجامع لأسماء نجباء الصعيد، تأليف كمال الدين جعفر بن ثعلب الأدفوي المتوفى عام 748هـ وهو معجم حافل به أكثر من 590 ترجمة لأعلام الصعيد من معاصري المؤلف.

3- تاريخ النحاة، مؤلفه تاج الدين أبو محمد أحمد بن عبد القادر محمد بن مكتوم المتوفى عام 749هـ.

4- الوافي بالوفيات، وهو لصلاح الدين الصفدي المتوفى عام 764هـ وهو في نحو خمسين مجلدا.

5- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني، وهو أربعة أجزاء تحتوي على أكثر من ألف ترجمة لأعلام هذه المائة مرتبة حسب الحروف، وغير ذلك.

تاريخ الخطط والآثار:

وهي المؤلفات التي تحدثت عن البلاد والمدن والمواضع، ومن مؤلفات:

1- الروضة البهية الزاهرة في خطط المعزية القاهرة: مؤلفها محيي الدين عبد الظاهر المتوفى عام 692هـ.

2- نهاية الأرب في معرفة كلام العرب: مؤلفه شهاب الدين القلقشندي المتوفى عام 821هـ.

3- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار: مؤلفه تقي الدين المقريزي المتوفى عام 845هـ وهو أربعة أجزاء.

المؤلفات الدينية:

1- الروضة: مؤلفه محيي الدين النووي المتوفى عام 676هـ.

2- الشامل: مؤلفه بهرام بن عبد ا   بن عبد العزيز المتوفى عام 805هـ.

3- الفتاوى المصرية، لتقي الدين بن تيمية الحراني المتوفى عام 728هـ، وهو سبعة مجلدات وغير ذلك من الكتب الكثيرة.

تفسير القرآن الكريم:

1- تفسير القرآن الكريم: مؤلفه عبد العزيز أحمد بن سعد الديريني المتوفى عام 697هـ.

2- إتحاف الأريب بما في القرآن من الغريب، لأثير الدين بن حيان شيخ المرادي، المتوفى عام 745هـ. وغير ذلك من الكتب.

القراءات:

1- شرح الشاطبية: مؤلفه الحسن بن أم قاسم المرادي المتوفى عام 749هـ.

2- المقدمة الجزرية: وهي منظومة في علم التجويد من وضع شمس الدين الجزري المتوفى عام 833هـ. وغير ذلك1. مؤلفات عربية:

كتب النحو والصرف:

1- الألفية والتسهيل والكافية الشافية وهي أرجوزة في أكثر من 2750 بيتا لخص منها ألفيته وسبك المنظوم وفك المختوم، ولامية الأفعال لابن مالك المتوفى عم 672م.

2- شرح التسهيل، وشرح الألفية، والجنى الداني في حروف المعاني، ورسالة في الجمل التي لا تكون لها محل من الإعراب، وشرح باب وقف حمزة وهشام على الهمزة من الشاطبية، وشرح المقصد الجليل في شرح علم الخليل، والمفيد وهو شرح عمدة المفيد وعدة المجيد في التجويد، وشرح الاستعاذة والبسملة، لبدر الدين وهو ابن أم قاسم حسن بن قاسم المرادي المتوفى عام 749هـ.

3- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، وقطر الندى وبل الصدى، وشذور الذهب، وأوضح المسالك والجامع الصغير، والروضة الأدبية، وموقد الأذهان، والإعراب عن قواعد الإعراب، لابن هشام المصري المتوفى عام 761هـ.

4- المساعد في شرح التسهيل، وشرح الألفية، لبهاء الدين بن عقيل المتوفى عام 769هـ.

5- شرح الألفية ولم يكمله، وشرح التسهيل، لجمال الدين عبد الرحيم الأسنوي المتوفى عام 777هـ.

6- شرح الألفية، لشمس الدين بن الصائغ محمد بن عبد الرحمن بن علي الزمردي المتوفى عام 777هـ.

7- شرح الألفية وشرح التسهيل، لناظر الجيش محب الدين محب محمد بن يوسف بن أحمد بن عبد الدائم الحلبي المتوفى عام 778هـ.

8- شرح ألفية ابن مالك، لأكمل الدين البابرتي المتوفى عام 786هـ.

9- حاشية على مغني اللبيب، لبدر الدين الدماميني المتوفى بالهند عام 827هـ.

10- الألغاز النحوية، والتصريح بمضمون التوضيح، وشرح الآجرومية، وإعراب الألفية، لخالد الأزهري الجرجاوي المتوفى عام 905هـ.

11- البهجة المرضية في شرح الألفية، الأشباه والنظائر في النحو، والفريدة في النحو والصرف والخط والنكت على الألفية والاقتراح في أصول النحو، وهمع الهوامع، وشرح شواهد المغني... لجلال الدين السيوطي المتوفى عام 911هـ[1].

علم العروض:

فعلى سبيل المثال:

1- كتاب في العروض لابن مالك النحوي الأندلسي المتوفى عام 672هـ.

2- شرح المقصد الجليل في شرح علم الخليل، لابن أم قاسم المرادي المتوفى عام 749هـ.

3- كتاب القوافي، وجواهر البحور في العروض، لبدر الدين الدماميني المتوفى عام 728هـ[2].

علوم البلاغة:

أما علوم البلاغة فالمعروف أنها نضجت قبل هذا العصر نضوجا محمودا، فقد هذب عبد القاهر الجرجاني المتوفى عام 471هـ مسائلها ووجه أنواعها ورتب قواعدها في كتابيه: أسرار البلاغة في قالبها الأخير في كتابه مفتاح العلوم، وجاء العصر المملوكي فاشتغل علماؤه بالشرح والتفصيل أو الاختصار وعلى رأسهم جلال الدين القزويني وهو محمد بن عبد الرحمن المتوفى عام 739هـ فوضع تلخيص المفتاح من كتاب السكاكي، وسأذكر بعض المؤلفات على سبيل المثال:

1- المسترجل في الكنى، والمقتنى في سرد الكنى، لشمس الدين الذهبي المتوفى عام 748هـ.

2- مختصر أساس البلاغة للزمخشري، لشهاب الدين بن حجر العسقلاني المتوفى عام 852هـ.

3- الإفصاح، وهو نكت على التلخيص في البلاغة، وعقود الجمان في المعاني والبيان، وشرح أبيات تلخيص المفتاح، لجلال الدين السيوطي المتوفى عام 911هـ1.

الكتب الجامعة:

1- لسان العرب. المعجم اللغوي المشهور، لابن منظور الأفريقي المتوفى عام 711هـ.

2- طبقات الشافعية: وهو في تراجم أعلام الشافعية: لتاج الدين السبكي المتوفى عام 771هـ.

3- تاريخ ابن إياس، وهو المعروف ببدائع الزهور في وقائع الدهور، لابن إياس المتوفى عام 930هـ2.

ملحق رقم (5)

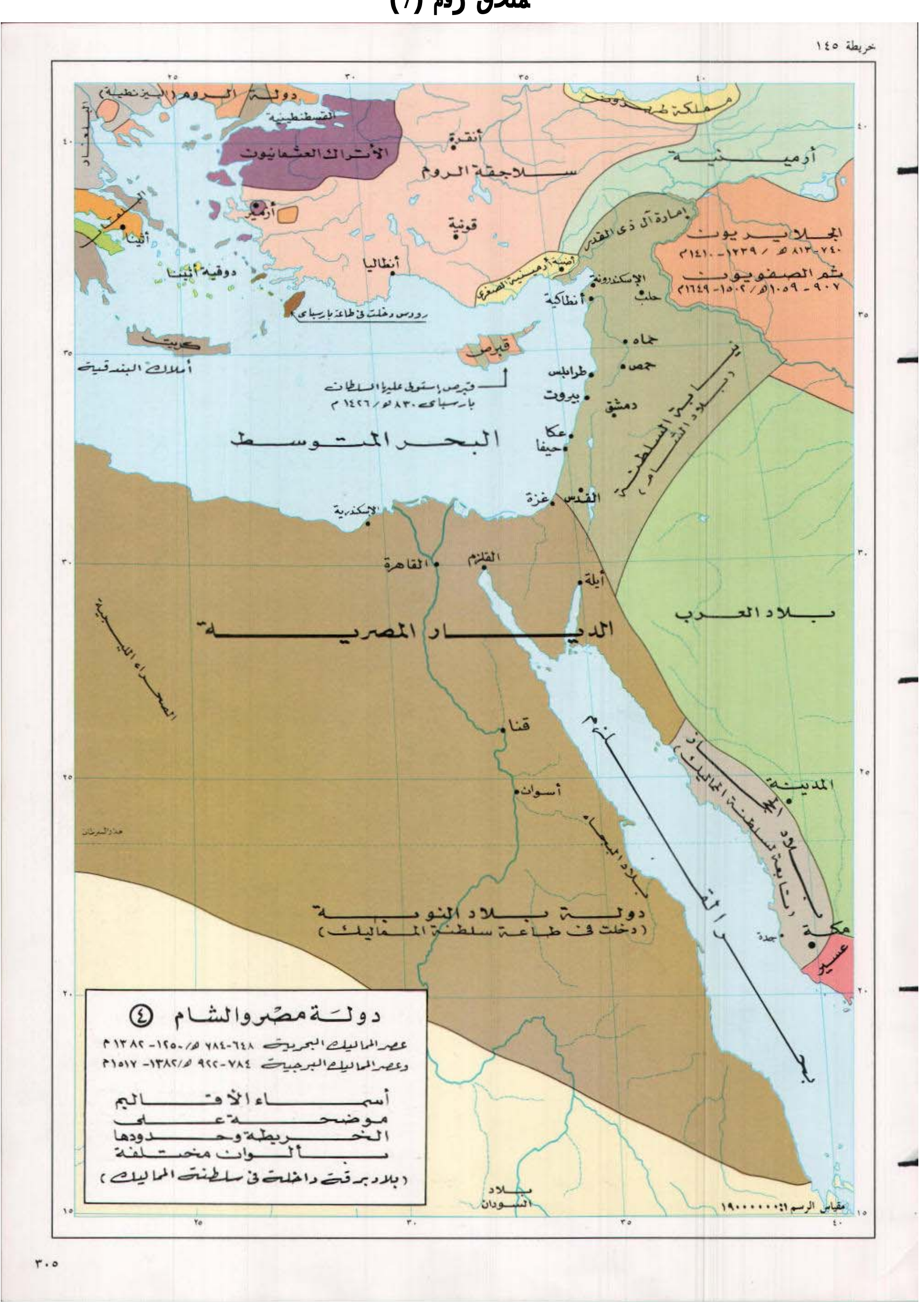
اسماء بعض قضاة الشام نقلاً عن العليمي ،الأنس الجليل،ج2،ص394ومابعدها:

قاضي القضاة برهان الدين ابن الخطيب ، و قاضي القضاة عماد الدين أحمد الأزرقي الكركي وشيخ الاسلام شمس الدين محمد الجزري الدمشقي و العلامة زين الدين ابن عمر القمني المصري و شيخ الاسلام شهاب الدين المقدسي ابن الهائم و قاضي القضاة شمس الدين محمد بن عطا الرازي و شيخ الاسلام محمد بن عبد ا الدائم العسقلاني و قاضي القضاة شهاب الدين احمد بن الصلاح و شيخ الاسلام عز الدين بن عبد السلام السعدي و قاضي القضاة ابو حفص عمر بن موسى الحمصي و قاضي القضاة نجم الدين محمد بن جماعة الكناني

القضاة الشافعية بالقدس وبلد الخليل :

قاضي القضاة سالم بن صاعد الباهلي وقاضي القضاة محمد بن هبة ا بن بندار و قاضي القضاة يحيى بن هبة ا العلثي والقاضي ابو عبد ا محمد بن صاعد بن القرشي وقاضي القضاة أبو عبد ا محمد بن ابي الغنائم والقاضي ابو الحسن علي بن صاعد بن السلم والقاضي صفي الدين بن مكتوم القيسي والقاضي شهاب الدين محمد بن ناصر بن العالمة والقاضي شرف الدين موسى بن جبريل والقاضي ابو محمد بن ابي حامد الجعبري والقاضي جلال الدين ابن ابي الفرج الخزاعي وقاضي القضاة أبو عبد ا محمد بن جعفر و القاضي أبو عبد ا بن ابي الغنائم والقاضي شرف الدين منيف بن سليمان و القاضي فخر الدين بن علم الهلالي والقاضي نجم الدين أحمد بن محمد الانصاري والقاضي شمس الدين محمد بن أبي الفرج والقاضي نجم الدين عبد المحسن بن معالي والقاضي ابو عبد ا بن حامد والقاضي شمس الدين التدمري و القاضي شهاب الدين أحمد التدمري والقاضي شمس الدين محمد بن أبي عمرو عثمان والقاضي شهاب الدين احمد السلاوي والقاضي تقي الدين أبو الأيادي والقاضي زين الدين عبد اللطيف والقاضي سعد الدين بن يوسف النواوي والقاضي شمس الدين بن قرموز الزرعي و القاضي بدر الدين بن مكي والقاضي جمال الدين عبد ا العراقي والقاضي شرف الدين بن القرقشندي والقاضي برهان الدين ابراهيم والقاضي شهاب الدين أحمد بن الحكمة والقاضي شهاب الدين أحمد بن رشيدة و القاضي شمس الدين محمد أبو الانفاق والقاضي علاء الدين أبو الحسن الرماوي و قاضي القضاة علاء الدين علي التميمي والقاضي شمس الدين النقوعي وقاضي القضاة ناصر الدين البصروي و قاضي القضاة علاء الدين ابن السائح و قاضي القضاة شهاب الدين أحمد السعدي .

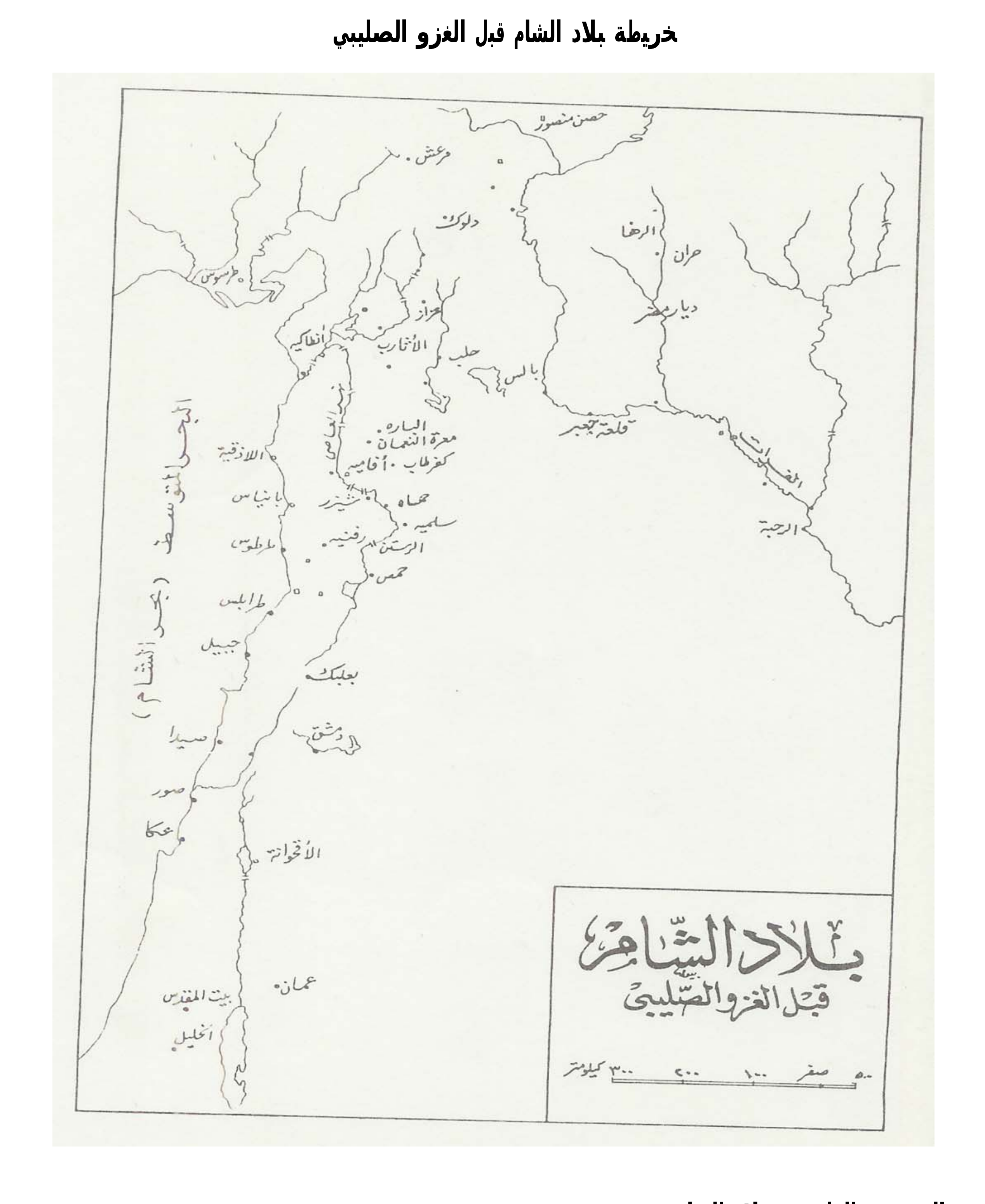
ملحق رقم (7)



المصدر: نقلاً عن أطلس تاريخ الاسلام، حسين مؤنس، ص305. خريطة(9)

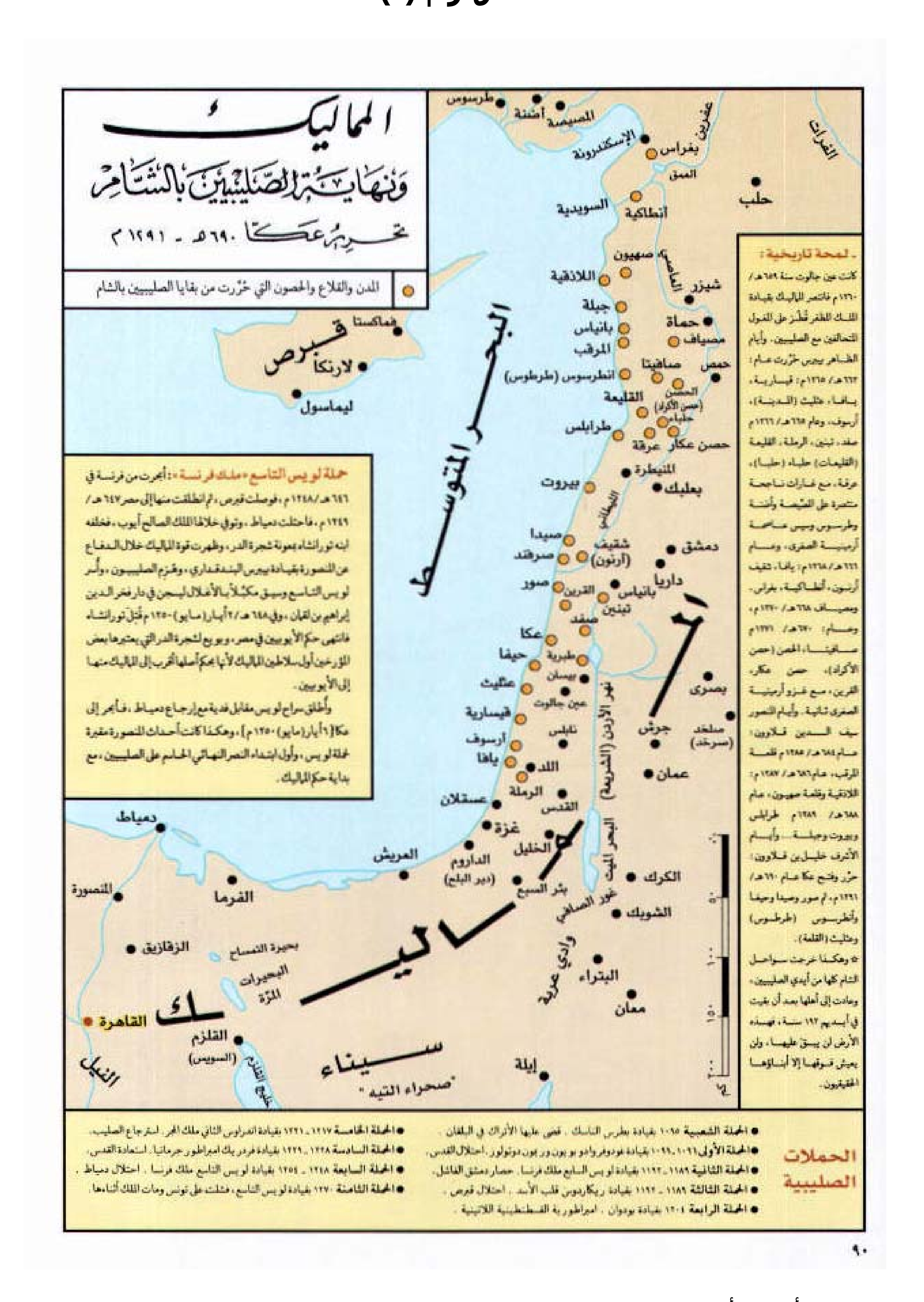
ملحق رقم (8)

خريطة بلاد الشام قبل الغزو الصليبي



المصدر: الغامدي، بلاد الشام، ص357.

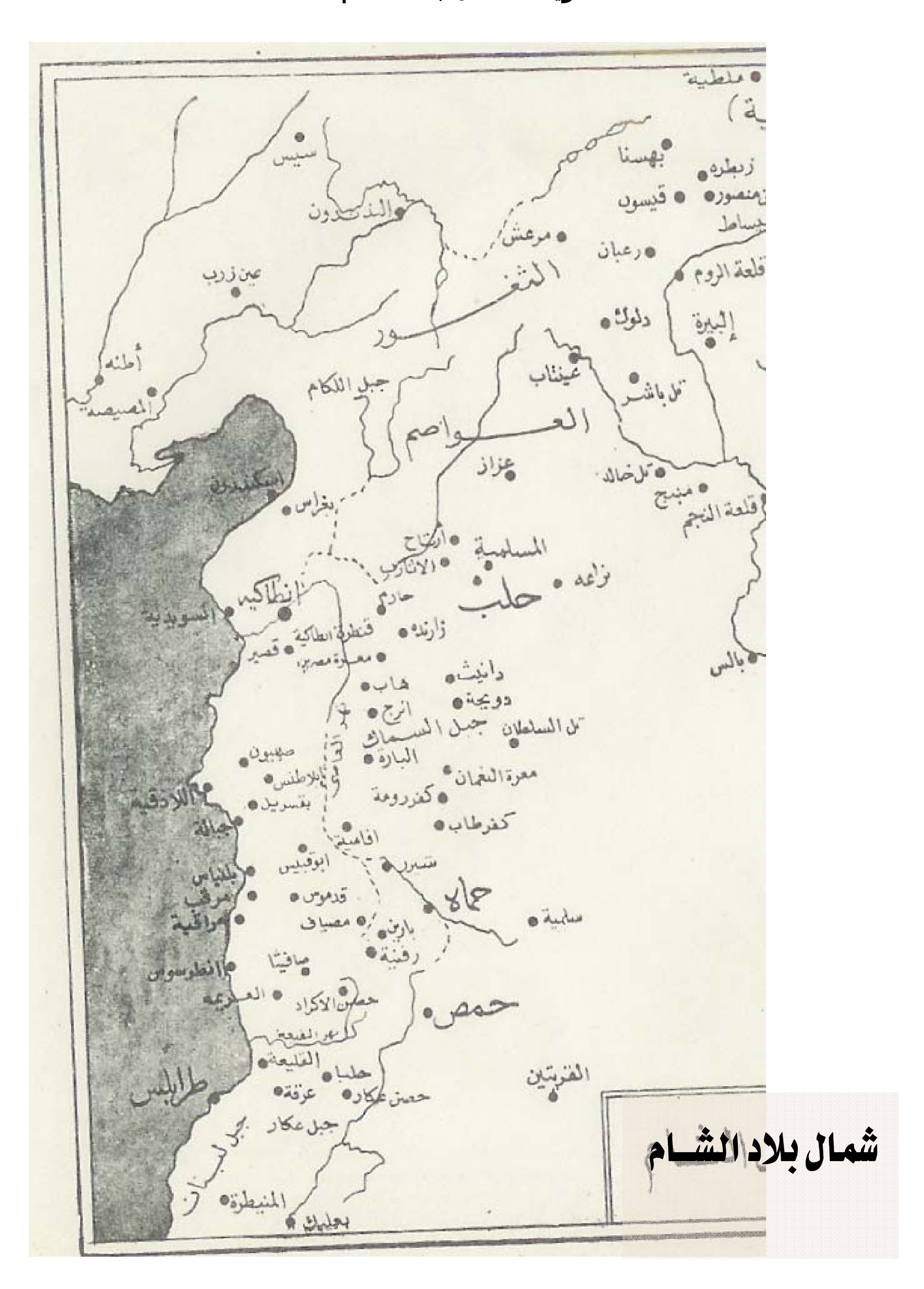
ملحق رقم (9)



نقلاً شوقي أبوخليل أطلس التاريخ العربي **الاسلامي، ص90. خريطة (9)**

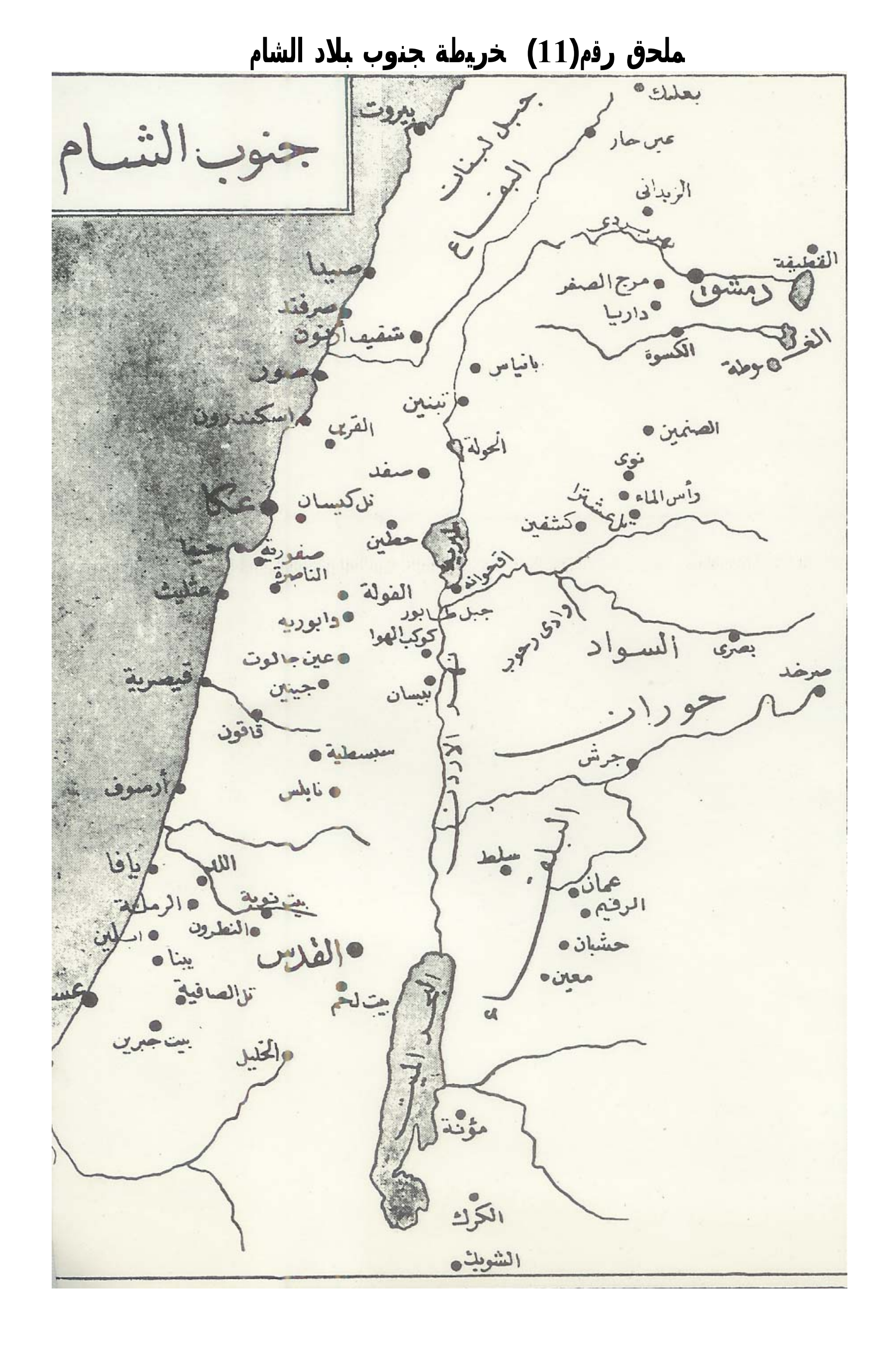
ملحق رقم(10)

خريطة شمال بلاد الشام



المصدر: مؤنس، نور الدين، ص 418.

ملحق رقم(11) خريطة جنوب بلاد الشام



المصدر: مؤنس، نور الدين، ص 419.

Summary of the Study

This study addressed the religious situation in the Levant of the Mamluk period, where the study was divided into five chapters divided into several points where the researcher has focused initially on the religious situation in the Levant, such as the Mamluk era, and the researcher spoke in the first chapter of the letter on the role of sultans in support of the religious life in the Levant and contributions to the welfare and motivation of the religious life and support her, and spoke about the role of the second quarter Shaamiyeen scientists in the religious life through the Promotion of Virtue and Prevention of Vice and their struggle and their term of office administrative and governmental organizations in the Mamluk state and their impact in society Shami in that period.

The researcher and in the third quarter of the doctrines of the religious situation in the Levant during this era by presenting the chapter of the four Sunni religious doctrines, and the impact of those doctrines of religious institutions and the educational community and the impact of those doctrines, then addressed the role of the of sultans in support of these doctrines, and attempts to exploit for the policy of the Mamluk Empire, did not overlook the researcher from exposure to sectarian differences and their impact on society Shami in that period.

Also the researcher addressed the study during the fourth quarter of religious institutions that contributed to the cultural and intellectual renaissance of the Mamluk state, and has been a researcher for the study of those institutions through a review of the financing of those institutions and purpose of its establishment and knowledge of types and forms, and the researcher listed in that chapter of religious institutions speaking on the best-known instructors , and their locations in the science of studying them and see all their conditions.

and he gave a special importance to the study of science and knowledge taught in the religious institutions through the Chapter V, which was the review of the religious sciences of the Quran and modern science, jurisprudence and interpretation of readings and also reported to help science to religion Kaalom language and literature, history, geography, and mysticism.

He finished his seal cited by the findings, and a list of sources and references that were used, and some of his tail supplements necessary for consideration.

It is the hope of the researcher in this study have been detailed more fully the religious situation in the Levant and the right have taken the subject in all its aspects in an objective way, and gave a clear idea of the efforts of

Arab and Islamic people in the Levant in support of the religious life, especially that this effort had been neglected by the majority of historians, not being exposed to most researchers, and to be the beginning of this study for further studies on other stages of the history of the Mamluk socio-cultural through different times.

Islamic University High student
Collage of art
Department of History
Master degree



The Religius Situation for muslims in el-sham during mamluke reign

By:
Mansour Ihmayed Soufi

Supervised By :

Full Professor . Riad Mustafa shahin

Professor in the Islamic History

Submitted in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of Master of Arts in Islamic History, Faculty of Graduate Studies, at The Islamic University Gaza, Palestine.

2010-2011